كتابي

جريمة حب

وكتب أخرى

حلمي مراد

٨ كتب

٨ قروش

جريمة حب

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) — الناشر « كتب للجميع »

اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومأساته) — الناشر « البــلاغ »

قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج — الناشر « روايات الهلال »

انا كارنينا لتولستوى — الناشر « روايات الهلال »

رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن — الناشر « روايات الهلال »

ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز — الناشر « روايات الهلال »

ابنة البخيل (أوجينى جرانديه) لبلزاك — الناشر « روايات الهلال »

الذئب الاغبر (مصطفى كمال) — الناشر « كتاب الهلال »

« كتابى » الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى — مارس سنة ١٩٥٢

« كتابى » الثانى : « قلب عذراء » وكتب اخرى — ابريل سنة ١٩٥٢

« كتابى » الثالث : «الهاربة من الجنة» وكتب اخرى — مايو سنة ١٩٥٢

« كتابى » الرابع : « حواء الجديدة » وكتب اخرى — يونيو سنة ١٩٥٢

« كتابى » الخامس : «احدب نوتردام» وكتب اخرى — يوليو سنة ١٩٥٢

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة - تليفون ٦٥٦٠٨

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان: ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب السادس - أغسطس ١٩٥٢

رمز الكتاب : مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

الصياد!
قصة مصرية: للمحرر .....

كان البيت يموج بالانوار ، والسيارات لاتنقطع عن الوقوف بالباب ، كى تفرغ من فيها من المدعوين ، ثم تمضى لتنتظرهم فى شارع جانبى ...

ووقفت بالباب سيارة مقفلة ، أطل من نافذتها وجه امرأة - فى الاربعين - استوفت حظها من ربيع الحياة مضاعفا ، فذبلت قبل أن يدركها الخريف !

أجفان ثقلت قبل الاوان ، ونظرات تعبت من الحياة ، وجبين خططته الغضون ، وشعر دب فيه المشيب ، وفم ... ماعاد ظمآن !

لكنها لم تكن كذلك .. فى شبابها !

❖

فى سنة ١٩٢٩ كانت (ناهد) فتنة الاسكندرية : عينان فى لون الليل ، وبشرة فى لون الخمر ، وشعر يفوح منه العطر ، وبدن عارم ريان ، وفم .. دائما ظمآن !

كانت نظراتهاتورث السهاد ، وضحكتها تجلب الدوار ، ودلالهايطمع فيها الشباب .. ويوقظ حسرة الشيوخ !.. ومن ثم كان صالونها أحد صالونات الاسكندرية العامرة : فيه تلتقى ، وتصخب ، وتسهر ، زبدة المجتمع الراقى ونخبة الاسر الكبيرة ، فى جو طروب مرح ، كانت هى تخلق فيه من روحها ونزقها وشبابها ، بقدر ماكان زوجها (قدرى) يفيض عليه من كرمه وبشره ودماثته ..

وفى كل صيف ، حين يعج (الرمل) بالمصطافين ، كان الشاطىء كله يتحدث عن (الشاليه) الفاخر حيث لاتهدأ الحركة ولاتخمد ضوضاء الولائم البهيجة .. وحيث يلعب

كان صالونها عامرا .. !

الورق فى الضحى والغروب ، ويحتدم الرقص فى الليالى المقمرة ..

.. وحيث كانت ناهد تلهو وتعبث .. فى غفلة من زوجها !

❖

كانت قد نشأت وحيدة أمها فدللتها . أحاطتها بكل مايروقها ، طفلة ، فصبية ، فامرأة .. فشبت وليس من طبعها أن تقمع شوقها الى مشتهى ، أو تغل حواسها عما تراه فى متناولها ، ولو كان ملكا لغيرها !

ومن هنا اختارت لحبها الاول – وهى بعد فتاة – زوج أعز صديقاتها !.. بنفس الروح التى كانت تجور بها ، وهى طفلة ، على قطعة الحلوى الوحيدة فى يد احدى لداتها ، تاركة صندوق حلواها هى عامرا بكل ماهو ألذ وأشهى !

وكلما كبرت كانت حماقاتها تكبر معها . كان العبث أصيلا فى نفسها ، والغواية لعبتها الكبرى !.. وفى كل مرة أفلحت فيها فى صرف غلام عن دروسه أوفتى عن فتاته ، كانت ترتد الى نفسها مزهوة بالنصر ، فخورة ببداية الشوط ، زاهدة فى المضى فيه !

.. حتى جاوزت العشرين ، وعرفت قدرى ، فأغراها كل مافيه .. وحين طلبها لم تتردد في قبوله زوجالها !

❖

لكن عاما واحدا كان كافيا لاظهار أن بين طباع قدرى وطباعها هوة واسعة ، وأنهما ٠٠ طرفا نقيض !

كان هو مثال الرجل المهذب والجنتلمان الكامل : سمحا ، رقيقا ، يرعاها ضعف ماترعاه ، ويمنحها بقدر ماتسلبه ٠٠ فكانت هذه عندها كل علته !٠٠ وبقدر ما أعجب النساء أحست هى أنها تكرهه : هدوؤه يثيرها ، وحساسيته توغر منها الصدر ، وصبره يفقدها الصبر !٠٠ أشعرها بشخصيتها فتجاهلته ، ومنحها حريتها فاستغلته ، واحترمها فامتهنته ٠٠ وأمعنت فى الالتواء !٠٠ فانها لم تكن تفهم الرجولة المثلى الامرادفة للخشونة ، والسيطرة ، والجبروت !

وكانت أطوارها عجبا : التمرد من طبيعتها ، فاذا لم تجد ماتتمرد عليه ، تمردت على نفسها !٠٠ تؤثر التحرر من شتى الاغلال ، فلاتكاد تحطم كل قيد ٠٠ حتى يعاودها الحنين للاسر !٠٠ **لذتها فى أن تخضع الرجل ، فاذا ما تم لها اخضاعه ٠٠ استيقظت فيها طباع العبيدفاشتاقت لطغيانه !٠٠ وكأنها قد فطرت كالطبيعة ، ذات نزوات ، فيها عتو العاصفة حين تثور ، ودلال الاغصان حين تميس ٠٠!**

❖

فلم تمض على زواجها شهور ٠٠ حتى وضح لها ، ولقدرى ، أن شركتهما فى الحياة كانت شركة خاسرة لم يلازمها التوفيق ، ومصيرها الى الافلاس ٠٠ وأن الرصيد الباقى من عواطفهما المتبادلة لم يكن غير رصيد زائف ، لايصلح الالتغطية مركزهما أمام الناس ، ووراء ستار من التفاهم الصورى ، والحياة المختلطة الصاخبة ٠٠ وفيما عدا هذا المظهر المصطنع – النفاق أمام المجتمع ! – لم تكن عملتهما الخاصة ، الرائجة فيمابينهما ،

الا عملة يكسوها الصدأ ، هى خليط من النفور والسأم ٠٠ لايجدى الاالىحين !٠٠ ولم يطل الزمن حتى بدأ ذلك الحين يقترب ٠ كان كلاهما قد يئس ولم ير بدا من مواجهة الواقع ، فراح يتعجل النهاية ، كى يؤسس حياته من جديد ٠٠ مع شريك يفهمه !

٠٠ لولا أن الاقدار كانت تبيت للشركة الخاسرة مصيرا آخر بعد الافلاس : هو رد الاعتبار !٠٠ ففرضت عليهما «شريكا ثالثا» ، برصيد جديد !

وجاء «الطفل» أخيرا ، برغمهما !٠٠ ومنذ صار مجيئه محتوما ، واستعصى عليهما رده عن الحياة ، أعد قلباهما له استقبالا فاترا يليق بضيف ثقيل ، مبعوث ليقلب خططهما٠٠ ويشدهما مرة أخرى الى ركاب واحد بغيض ٠٠!

لكن عذوبة (نبيل) ، وعينيه الضاحكتين ، وابتسامته٠٠ سرعان ما اغتصبت له مكان الصدارة من قلبيهما ، فتعلق به أبوه ٠٠ وشغفت به أمه ٠٠ وشغلت عن كل شىء ، بتطرفها المعهود !٠٠ فلما مضى عام ، ثم عامان ، وهى عاكفة على طفلها ترعاه ٠٠ بدا أن الام فيها قد غلبت المرأة العابثة ، وأن حيلة الاقدار قد أفلحت ٠٠ وكأن عواطف الزوجين قد تلاقت فى مجرى واحد ، ووجدت لها منصرفا فى مصب مشترك : عبادة الطفل !

٠٠ حتى قدر لذلك السلام المبارك أن يهجر البيت ٠٠ ذات صيف !٠٠ ألأن (نبيل) كان قد كبر ، وقل احتياجه لامه ٠٠ فى ظنها ؟ أو لانهاكانت قدسئمته ، واشتاقت لهواية جديدة ؟٠٠ أوكان قد خطر لنزوة طارئة أن تلفتها الى مباهج ذلك الصيف ، و «مواهب» الجماعة الجديدة التى جذبها صالونها ؟٠٠ أولكل هذه الاسباب مجتمعة ؟ مهما يكن منشىء فقد استيقظ شبابها فجأة ، وتمطى فى جسدها ٠٠ فذكرت

أنها لم تزل فى الخامســة والعشرين !٠٠ ومضت تبحث عن السعادة ، فى غفلة من زوجها !

❖

ولم يطل بحثها !٠٠ أحاطت نفسـها ببطانة من العابثين انتقتهم بعناية ، وتوسمت فيهم الخسة ، فحرصت على أن تزرع فى قلب كل منهم على حدة بذور الشغف بها ، والطمع فيها ! ثم مضت تستعرضهم ٠٠ حتى انتهى بها المطاف الى (فؤاد) ، فوجدت فيه ضالتها : أعجبها فيه أنه قاومها ، وهزأ بشبابها ، وأشعرها بضآلتها ٠٠ فعبدت فيه ضعفها ، واستعذبت منـه أنه منحها لذتها الكبرى : ذلتها !٠٠ فكانت كلما أهملهـا ، ارتمت عند قدميه !٠٠ وكلما استعلى عليهـا سعت اليه ٠٠ حتى وثق أنه روضها ، فجاوبها !

وأسـلمها وصاله لنزق طائش ، أنساها كل شىء !٠٠ فمضت شهور وهى ترشف معه من خمرة الملذات ٠٠ وزوجها عنها كالغـافل !٠٠ وهى لاتدرى أنه انما يتربص ويترقب ، ويجمع أدلة الادانة ٠٠ باتزان القاضى العادل ـ لاباندفاع ممثل النيابة ! ـ كى يقذف بها فى وجهها ٠٠ ذات مساء !

فلما واجه المساء العاصف أخيرا ، لم يتردد ٠٠ أراها طريق الباب !

❖

٠٠ **الباب** الذى تراه الآن ، من نافذة سيارتها المقفلة ، وتطل عليه ـ بوجه فى الاربعين ! ـ ساهمة ، حائرة ، لاتدرى أتعرف الباب أم تنكره !٠٠ لكأنها ماغابت عنه قط !٠٠ بل لكأنها مارأته قط ، ولالفظتها عتبته ٠٠ فى ذلك المساء !

منذ خرجت منه ، تحمل عارها ، تلقفتها بطانتها المنتقاة ، واحتضنتها زمنا ٠٠ ثم صارت ربة بيت ٠٠ فأكثر من بيت !٠٠

وتقلبت بين أحضان زوج ، ثم زوج !.. ومضت تخوض فى بحر الشهوات ، فى استماتة المشرفة على الغرق .. ولكن دون جدوى ، فانهالم تعرف الراحة العذبة يوما ، ولا ذاقت السعادة مصفاة ! دائما كانت قطرات من المرارة تطفو من قاع أشهى كأس ، لتعكر صفوها ، وتشوب حلاوتها .. فتنصرف عنها وهى تلعق شفتيها ، كى تمحو ماعلق بهما من غضاضة !

.. ودائما كان يضنيها احساس من فى المنفى : كلماحط رحاله فى بلد ذكره بوطنه .. وكلما ضرب فى الارض عاوده دوار الغربة .. ومهما ذاق من متع الدنيا نغصته غصته ، فود لوذاق المتعة .. فى بيته !

وهكذا لم تنس ناهد بيتها الاول .. الذى فيه طفلها !

منذ تركت (نبيل) فى الرابعة ، وحرمتها خطيئتها من حضانته .. لم تره ! وكلما اشتاقت اليه كانت آخر كلمات قدرى ، وصوته العاصف ، تدوى فى أذنيها : « منذ الساعة لم تعودى أمه !.. فلاتحاولى يوما رؤيته ، ولاتدعى ظلك يقع عليه فيلوث مستقبله !.. أماهو ، فلن يأتى الصباح حتى يعلم بموتك ، وبأنك قد دفنت !»

« الصباح » ؟.. نعم فان الطفل كان لحظتها فىفراشه ، باسما يحلم !

❖

.. **كما** كانت هى فى فراشها ، بعد ظهر اليوم ، حين ذكرت (نبيل) .. وصممت أن تراه !

بينما هى تتصفح العدد الاخير من مجلة مصورة ، وثب قلبها !.. قرأت اسمه تحت احدى صور الاحتفال بتخريج الفوج الجديد من طلبة الكلية الحربية .. وكان ترتيبه بين المتخرجين : الاول !

زاغ بصرها بين الوجوه التي في الصورة ، لكنها عجزت

وظل وجهها مشرئبا ..

عن أن تميزه .. فقـد كان واقفا بين كثيرين !

وظل بصرها زائغا ، ولكن من تأثير الدموع !

❖

وحين بلغت بيته - بيتها القديم ! - رأته يموج بالانوار .. فان ضيف الوزير أول أمس ، هو الليلة موضع حفاوة أبيـه «الاعزب» .. وأفواج الاصدقاء

أطلت من نافذة السيارة ، ولم تنزل !.. فاقترب منهـا البستانى - نفس البستانى ! - لكنه لم يعرفها .. فسألته أن يدعو سيده «نبيل»

وظل وجهها مشرئبا ، ونظرها يتطلع .. لكن فكرها قد توزع ! لكأن الانوار قدأزعجتها . أيقظت الذكريات التى تعيش فى الظلام ، فهبت كالخفافيش المذعورة العمياء ، تحـوم فى فضاء رأسها ، وتتخبط بين الجدران !

وفى لحظات تجرعت آلام أعوام !.. فهاهى الاقدار قد أفاقت ، فبدأت تتقاضاها - من حاضرها وآتيهـا - ضرائب ماضيها ! وهاهى تخور مرهقة من الضريبة الاولى : رؤية نفسها أمام الباب ، لاتفصلها عنه سوى خطوات ، لكنها كالاميال !.. وسوى لحظات ، لكنها كالاجيال !

أخيرا لاح لها نبيل ، مقبلا من آخر الممشى .. مزهـوا بقوامه الفارع ، وخطوه الرشيق ، وبزته العسكرية .. وشباب الثامنة عشرة !

ــ طوع أمرك يا « هانم » !

ــ مبروك يا «ابنى» ، مبروك ٠٠ أعلم أنى أزعجتك ، بتطفلى عليك ٠٠ لكن اعذرنى ٠٠ وسامحنى ! فقد كان لى ابن ٠٠ فى مثل سنك ٠٠ وفقدته ٠ لكم كان يشبهك ! قلت لنفسى لعلنى لورأيتك أتعزى ٠٠ وكأننى رأيته ! ولو قبلتك ٠٠ أتسمح ؟»

وتناولت وجهه بين راحتيها : شارب غزير ، ومحيا ينضح بالرجولة ، لكن الطفولة لم تزل تقيم فى عينيه ٠٠ كما كانت !

وغمرت وجهه بالقبلات ٠٠ والعبرات !

❖

وحينما مرقت بها السيارة فى أقصى سرعتها ، نحو قلب المدينة ٠٠ كانت الضاحية السعيدة تطلق وراءها ضحكاتها الساخرة ٠٠!

لكأن المسكينة تريد الفرار !

ولكن أين الفرار ٠٠ من نفسها ؟

عندما ترفع الستار..

روائع المسرح العالمى
(التمثيلى ... والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة من «كتابى» ، المسرحيات العالمية الآتية .. على التوالى : «خطايا الحب» لاوسكار وايلد .. ثم «الحب الاثم» أو (سلطان الظلام) لتولستوى.. و«نزاهة الحكم» او (المفتش العام) لجوجول .. و«سلاح المرأة» لاريستوفان .. واخيرا «فولبون» او (الثعلب) لـ «بن جونسون» .. واليوم اقدم لك فيما يلى مسرحية دانونزيو المشهورة «جيوكندا» .. تليها فى الاعداد القادمة باذن الله المسرحيات الخالدة الآتية : اوسكار وايلد : (مروحة الليدى وندرمير) جون درنكواتر (ابراهام لنكولن) ـ برنارد شو : (بيجماليون) ـ مكسيم جوركى : (الصعاليك) ـ تشيكوف : (الشقيقات الثلاث) ـ جوزيه اشيجاراى : (كلام الناس) ـ ابسن : (مهزلة الحب) ـ هوجو : (هرنانى) ـ موليير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل .. الخ) ـ شكسبير : (عطيل ، هملت ، ماكبث، ترويض النمرة ، تاجر البندقية، حلم ليلة صيف ، قيصر وكليوباترة ، روميو وجولييت .. الخ) ـ سوفوكل: (اوديب الملك) .. الخ

جيوكندا

قصة تمثيلية كبرى

للأديب الإيطالى الأشهر : جبريل دانونزيو

المؤلف

(١٨٦٣ ـ ١٩٣٨)

.. هو «جبرييل دانونزيو» ، الرجل الذى كانت حياته اشبه بالاسطورة الخيالية !.. فقد شب منذ صباه الباكر واسع الآمال ، طموحا ، متوثبا ، كالشعلة النارية أو البركان الثائر الذى لا يهدأ .. واعانه ذكاؤه على أن ينبغ فى كل ميدان اتجه اليه بعقله وقلبه .. فبدأ حياته اديبا ، ينظم الشعر ويؤلف القصة والمسرحية .. فلما نشبت الحرب العالمية الاولى كان قد لفت انظار اوربا باسرها باعتباره اعظم ادباء ايطاليا قاطبة .. وفى سنة ١٩١٥ عاد من زيارة لميدان القتال فى فرنسا ليؤلب الرأى العام الايطالى ضد «وحشية» الالمان ، فمهد بحملته لدخول ايطاليا الحرب فى صفوف الحلفاء .. وعندئذ ، انقلب الاديب الذى كان يلهب المشاعر

شخصيات الرواية

لوشيو : مثال شاب — Lucio

سيلفيا : زوجته — Silvia

لورنزو : صديق العائلة — Lorenzo

كوزيمو : صديق الزوج — Cosimo

بقصصه واشعاره فى زمن السلم ، الى جندى محارب يترجم خياله النارى الى أفعال جريئة لها طابع الاندفاع والتهور .. فتطوع فى سلاح الطيران الايطالى - وهو فى سن الخمسين - وسرعان ما اطلق عليه طيارو الاعداء لقب ((الشيطان ذو اللحية الغبراء !)) .. وفقد احدى عينيه فى معركة جوية ، وكسر معصمه فى الاخرى .. !

وحين انتهت الحرب ، وحنثت دول الحلفاء فى وعدها لايطاليا بشأن ضم ميناء ((فيومى)) الهنغارى اليها ، ((الف)) دانونزيو جيشا من المتطوعين زحف به على الميناء فاحتله ونصب نفسه حاكما عليه ، وبقى فى منصبه حتى يناير سنة ١٩٢١ .. وحين تولى موسولينى الحكم فى ايطاليا اتخذ دانونزيو داعية ادبيا لسياسته .. فظل حتى وفاته - سنة ١٩٣٨ ، فى سن الخامسة والسبعين - الفنان الثورى الاكبر فى اوربا بأسرها !

اما أدب دانونزيو فيتسم - كحياته - بتغليب العاطـفة على الحكمة ، والحماسة على التعقل ، والشعر على الفلسفة ! .. واشهر رواياته الطويلة : ابن اللذة (وقد تاثر فيها بادب موباسان) ، وانتصار الموت ، والبريئة (التى تاثر فيها بأدب دستوفسكى) .. على أن عبقرية دانونزيو الحقيقية تبدو فى مسرحياته العنيفة ، واروعها : حلم ربيع ، ابنة جوريو ، جيوكندا .. وفيها كلها ، كما فى شعره ، جمال نارى .. لكنه جمال النار التى تحرق ، لا النار التى تبعث الدفء !

فرانشسكا : شقيقة الزوجة	Francesca
جيوكندا : «نموذج» الفنان	Gioconda
لاسيرينيتا : قروية فقيرة	La Sirenetta
بياتا : ابنة الزوجين	Beata

زمان الرواية : العصر الحالى
مكان الرواية : ايطاليا

- ١ -

◆ «لوشيو سيتالا» مثال شاب ، بارع فى فنه ، تعذبه الحيرة بين عاطفتين تتنازعان قلبه : عاطفته «الرقيقة» نحو زوجته المخلصة «سيلفيا» .. وعاطفته «الجارفة» نحو نموذجه الفاتنة « جيوكندا » !.. فلقد كفلت له الاولى راحة البيت الهادىء .. وألهمته الثانية عبقرية الفن المبدع !.. وتتساوى العاطفتان فى نظر لوشيو ذى الطبيعة العاصفة - من حيث ضرورة كليهما لحياته ! - لكن الطبيعة تقتضى دائما أن تطرد عاطفة منهما الاخرى .. فلايجد الفنان الشاب مخرجا لنفسه من هذا المأزق الا فى الموت ، فيطلق الرصاص على نفسه محاولا الانتحار !

وحين ترفع الستار نعلم أن محاولته قد خابت ، بعد أن تأرجح بين الحياة والموت أياما يئس خلالها الاطباء من شفائه ، ولم تنقذه غير عناية زوجته سيلفيا به وسهرها على تمريضه !.. ونحن نراه الآن على فراش النقاهة ، وزوجته سعيدة بأن تسترده .. فهى تقول لصديق العائلة لورنزو : «لقد مرت العاصفة .. وكأننا ولدنا من جديد ! » .. ولسوف يستأنف الزوجان حياتهما العائلية الصافية ، هما وابنتهما الصغيرة (بياتا) .. «**أنظر اليها فى الحديقة ، تمرح بين براعم الورد .. الآن فقط أستطيع أن أفهم فرحة الازهار حين تمتلىء حتى حافتها بالندى !** »

◆ لكن فرحة سيلفيا لاتخلو من مرارة .. مرارة توقع الشر المستطير !.. فهى تدرك أن غريمتها «جيوكندا» لن تتخلى عن لوشيو بغير صراع .. وسيلفيا تعلم أن النموذج تملك مفتاحا آخر لاستديو حبيبها ، وانها تتردد عليه كل يوم فى انتظار عودة صاحبه البه بعد ابلاله من جرحه !.. وكان لوشيو قد بدأ قبل الحادث فى نحت تمثال جديد رائع ، اتخذ جيوكندا

نموذجا له ٠٠ واذن فهو لابد عائد يوما الى الاستديو ، راغب فى اتمام تمثاله الناقص ٠٠ ولسوف يجد جيوكندا هنـاك فى انتظاره ٠٠ وعندئذ ؟!

وهذا الخوف من الخطر المرتقب ، الذى تحسه سـيلفيا ، تشاطرها اياه أختها «فرانشسكا» ٠٠ كما يشاطـرهما اياه صديق لوشيو الحميم «كوزيمو دالبو» ، الذى عاد لتوه من رحلة الى الشرق ٠٠ يصفها لصديقه لوشيو بقوله : «**رأيت فى مصر أبا الهول ٠٠ رأيته أول مرة فى الليل ، عـلى ضوء النجوم ، فبدا لى وجهه وقتئذ رائع الجمال٠٠ثم رأيته فى المرة الثانية أثناء النهار ، فكان وجهه مخيفا ، وحشيا ٠٠** وعندئذ تذكرت تمثالك «أبو الهول» الذى أكملته قبل رحيلى ، وتذكرت «النموذج» التى نقلته عنها ٠٠ يالجمال التحفة الرائعة المثيرة ٠٠!»

لوشيو : لقـد تركت كل ذلك الماضى ورائى ، فى قاع البحـر ، حين غرقت سفينة حياتى ٠٠ والآن ، وقد نجوت ، لم أعد أستطيع أن أسترده ٠٠ انه يفر منى !

◆ لكن «كوزيمو» يشك فى صدق نية صديقه على هجـر جيوكندا ٠٠ وكان قد أحضر معه عددا من الهدايا للزوجين ، من بينهما تميمتان ضد الشر : احداهما للوشيو ، والاخـرى لسيلفيا ٠٠ التى تدخل لتنضم اليهما فى هذه اللحظة ٠٠ ثم يحيى كوزيمو الزوجين ويخرج ، فيقلب لوشـيو التميمة بين أصابعه ، بينما تنسق سيلفيا باقة من الازهار فى آنية ٠٠ ويسود الصمت برهة ، يسمع كلاهما خلالها دقات قلبه القلق!

لوشيو : سيلفيا ٠٠ سيلفيا !

سيلفيا (فى انزعاج) : مالك ٠٠ لشد ماتبدو شاحبا ٠٠ أتحس بألم ؟

لوشيو : أبدا ، أبدا ياسيلفيا ٠٠ بل انى لم أحس يوما بالنشاط الذى أحسه اليوم ٠٠ **دعينى أجلس عند قدميـك ٠٠ دعيني أعبدك ، بكل قواى ٠٠ انني أبارك كل الاحـزان التى**

قاسيتها ، كل الدموع التى أخفيتها ، والبسمات التى جعلتها نقابا لعذابك ‥ وشجاعتك فى مواجهة الموت ، وصراعك فى سبيل حياتى !‥ أبارك الليلة التى تلقيت فيها مرة أخرى على يديك - هاتين اليدين الآلهيتين ، الجميلتين ، الشجاعتين - نعمة الحياة الغالية !

ويرتجف الزوج رجفة محسوسة وهو يتكلم ، وتسقط التميمة منه الى الارض ‥

سيلفيا (وهى تنهض مسرعة لتلتقطها) : يقولون ان هذا فأل سيىء ‥!

ويبتسمان كلاهما للآخر ‥ ابتسامة يغشاها ضباب الخوف الذى يحجب مشرق شمس أملهما المشترك !

- ٢ -

◆ فاذا كان الفصل الثانى فقد تلقى لوشيو خطابا من «جيوكندا» ، وهو يصارح صديقه كوزيمو بسره :

كوزيمو : أوماتزال تحبها ؟

لوشيو : كلا ، كلا ، كلا !‥ لكنها تنتظرنى ‥ فى الاستديو ‥ عند قدمى التمثال ‥ وحيدة !

كوزيمو : يجب أن تذهب بعيدا ‥ فر منها !

لوشيو : انها سوف تنتظرنى ‥!

كوزيمو : أنت تحبها !

لوشيو : كلا ، لست أحبها ‥ **ولكنها تريدنى ‥ وسوف تظل دائما الاقوى ! انها تعلم أنها تستطيع السيطرة على وتقييد وثاقى ‥ انها مسلحة بسحر لا أملك أمامه الاحتفاظ بارادتى بغير أن أمزق قلبى شر ممزق ‥ وهى تنتظرنى واثقة من النتيجة !**

كوزيمو : لابد من وضع حد لهذا كله ‥ سأطلب منها أن تعيد المفتاح اليك ‥

لوشيو : سوف ترفض ٠٠ سوف تنظر اليك باعتبارك غريبا ، أجنبيا ٠٠

كوزيمو : اذن فعليك أنت أن تسترده !

لوشيو : أنا ؟٠٠ أنا أواجهها ؟

◆ وأخيرا يعترف الزوج لصديقه بأنه مايزال يحب جيوكندا: «لست أستطيع العيش سواء معها أوبعيدا عنها ٠٠ كان يجب أن تتركونى أموت ٠٠»

كوزيمو : بل يجب أن تبتعد عنها ٠٠

لوشيو : لكنى بحاجة اليها ٠٠ انها وحيى ، ومعينتى ٠٠ لقد ظلت طيلة مدة مرضى تبلل بالماء غطاء تمثال من الجبس بدأت صنعه أخيرا ٠٠ ولولا ذلك لجف التمثال وتفتت ٠٠ ان جيوكندا هى الحفيظة على فنى !

كوزيمو : وسيلفيا الحفيظة على حياتك !

لوشيو : أيهما بربك الاثمن ؟

كوزيمو : وسيلفيا ٠٠ ماذا يكون من أمرها ؟

لوشيو : ان مكيدة الاقدار قد ربطتنى بامرأة لم تخلق لمثلى ٠٠ ان نفسها نبيلة بحيث تستحق أن أركع أمامها عابدا ، لكنى لست مثال نفوس ونحات أرواح !٠٠ اننا لم نخلق أحدنا للآخر ٠٠ عندما دخلت جيوكندا الى حياتى تذكرت فجأة كل المرمر الثمين المخبأ فى كهوف الجبال البعيدة ٠٠ وفى تموجات جسمها رأيت تلك الكتل المرمرية تعود الى الحياة !

كوزيمو : ولكن ماذا ستفعل ؟٠٠ هل انتهيت الى قرار ؟

لوشيو : لست أدرى ماذا أفعل ؟٠٠ هل رأيت عذابا أقسى من هذا العذاب ؟

◆ **وهكذا نراه منقادا نحو جيوكندا بقوة لاتقاوم ٠٠ لقد أنقذوه من الموت ليقع من جديد فى وهدة اليأس ! لكنه يعرف أنه سوف يكف عن المقاومة ويستسلم للغواية ، ان عاجلا ٠٠ أو آجلا !**

وكمحاولة لانقاذه تدبر سيلفيا أمر الرحيل به الى ساحل البحر .. لكنها تخشى أن يعرج قبل سفره على الاستديو ، فيضعف .. ويعدل عن السفر !

وتقبل فرانشسكا فتقص على شقيقتها نبأ مقابلة صديق العائلة «لورنزو» لجيوكندا .. وكيف أبت هذه أن تبرح الاستديو أوتفاوض أى شخص غير لوشيو نفسه !.. فيشتعل غضب سيلفيا ويحتدم غيظها ، فتقرر أن تمضى بنفسها لتقابل جيوكندا وتتحداها .. وتلجئها بطريقة ما الى «الجلاء» عن الاستديو !

لكن فرانشسكا تتوسل الى أختها أن تعدل عن هذه الخطوة ، قائلة : «ان قلبى يحدثنى بأن لاخير يرجى من تصرف كهذا .. فاصغى الى نصيحة أختك ولاتذهبى .. أرجوك !»

غير أن عزم سيلفيا قد صح على الذهاب : « دعينى أذهب .. بسرعة .. الى بقبعتى ، ومعطفى ، وقفازى ..!»

فرانشسكا : أو مصممة أنت ؟

سيلفيا : نعم ..

فرانشسكا : اذن فسأذهب معك !

- ٣ -

◆ فاذا كان الفصل الثالث فقد وصلت الاختان الى الاستديو ، وأصرت سيلفيا على الانفراد بغريمتها !.. وتعارض أختها فى ذلك أول الامر ، ثم ترضخ لقرارها فى النهاية : «حسنا ، سأتركما وحدكما فى هذه الغرفة ، لكنى سأنتظر فى الممر ..»

وتسمع الاختان صرير الباب الخارجى .. لقد أقبلت جيوكندا !.. فتدفع سيلفيا شقيقتها الى خارج الغرفة حسب اتفاقهما .. وبعد لحظات تقف سيلفيا وجيوكندا وجها لوجه !

سيلفيا : واحدة منا دخيلة على هذا المكان ، فمن ياترى ؟

ألعلها أنا ؟

جيوكندا : ربما ·· فأنت تعلمين أننى أنا التى يحبها ويحتاج اليها !

سيلفيا : انه لايحبك ، ولايحتاج اليك ·· لقد جرفته الى حافة الموت

جيوكندا : لست أنا ، لست أنا بل أنت نفسك التى جرفته الى شفا الهاوية ·· لقد طلب الموت ليتحرر منك !

سيلفيا : كيف تجرؤين على النطق بهذه الاكاذيب ؟!

جيوكندا : انى أخشى أن أجرحك ، ولكن يجب أن تعرفى الحقيقة ·· لقد قالها لى ، هنا ·· فى هذه الحجرة بالذات دعانى بالمرأة التى وهبته أحلامه : سعادته ، حريته ، فنه ·· بل أطلق على أنى «حياة حياته !» ·· وهنا ، فى هذه الحجـرة بالذات حدثنى عن رابطة « كرم الاخلاق » التى تربطه بك ، والتى لم يعد يحتملها ·· وفى سبيل الفكاك من هذه الرابطة سعى الى المخرج الوحيد من قيده : الموت !

سيلفيا : لا ، لا ·· أنت تكذبين !

جيوكندا : أنت تتهميننى بأنى معذبته ·· لكنه يعلم أنى ملهمته !·· يعلم أنى هنا ، وأننى أنتظره ·· وقد تسلم خطابا منى هذا الصباح ، وأنا موقنة ـ أتفهمين ؟ ـ موقنة من أنه سيحضر !

◆ وعند هذه الكلمات يطرأ على وجه سيلفيا تغير غريب ، غير عادى ·· فالمرأة الطاهرة تتحول فجأة الى وحش فى قفصه ! ·· ولكى تحمى نفسها من سلطان غريمتها و «شماتتها» ، تعمد الى الغش والخداع ، فتقول : « انى أعرف بأمر هـذا الخطاب · لقد أطلعنى عليه بمجرد استلامه ، وهو يعرب لى عن دهشته واحتقاره لكونك جرؤت على ارساله ··»

جيوكندا : هذا مستحيل !

سيلفيا : بل صحيح ·· وقد أرسلنى لانقل اليك رده

بشخصى : ان لوشيو قد نسى كل شىء عن الماضى ، وهو يأمرك بألا تقومى بأية محاولة لبعث ذلك الماضى من مرقده !

وتثور ثائرة جيوكندا حين تسمع هذا القول ، فتصيح بغريمتها : «**اذن قولى له انه منذ الآن سيفقد براعته ، وشبابه ، ونوره !.. قولى له انى أحمل معى كل ماكان يعتزبه فى نفسه وفى فنه .. كل ماتقاسمناه سويا .. وهــذا التمثال الذى يخصنى ، هــذا التمثال الذى خلقــه بوحى من حبى ، ودمى ، وحياتى .. هذا التمثال الذى هــو لى وحدى .. سأحطمه ! (وتندفع نحوالستارة التى تحجب التمثال) .. سأحيله حطاما ، كما فعل هو بحبى !**

وتهرع سيلفيا خلفها لتمنع الجريمة ، وتختفى كلاهمـا وراء الستارة .. فنسمع ضجيج عراكهما معا ..

سيلفيا : كلا ، ان ماقلته غير صــحيح ، غير صحيح .. لقد كذبت !

ويسمع صوت التمثال وهو يقع على الارض ، تعقبـه صرخة ألم مروعة من سيلفيا !.. فتندفع فرانشسكا الى داخل الغرفة .. بينما تخرج منهـا جيوكندا:

فرانشسكا : **(وهى تنحى الستائر)** : سيلفيا ، أختاه ! ماذا فعلت لك الشريرة ؟ يداك .. ماذا أصاب يديك ؟

سيلفيا : خذينى من هنا ! خذينى من هنا ..!

فرانشسكا : يا الــهى ! يداك قد انسحقتا تحت التمثال؟ .. انسحقتا تماما !

وفى هذه اللحظة يصل الزوج «لوشيو» فيهرع الى داخل الاستديو ..
فرانشسكا (الى لوشيو) : أسعفها يالوشيو .. انها توشك أن يغمى عليها !
سيلفيا (هامسة ، وهى تسقط اعياء) : شكرا لله .. ان التمثال قد نجا !

- ٤ -

◆ فاذا كان الفصل الرابع فقد ذهبت سيلفيا الى شاطىء البحر ، وقد بترت يداها ، انقاذا لحياتها !.. وهى ترتدى ثوبا ذا أكمام طويلة ، كى تخفى عاهتها !.. نراها تتحدث مع «السيرينيتا» وهى فتاة فقيرة من سكان القرية :
السيرينتا : عيناك حزينتان ، تشيان بشجن عظيم .. ماذا ترى فعلوا بك ؟
وتقدم الى سيلفيا سمكة شهية مما فى سلتها لتأكلها ، فترفض هذه معتذرة ، بحركة من رأسها .. لا يديها !)
السيرينيتا (فى دهشة) : هل يداك أصابهما سوء ؟.. هل احترقتا بالنار ؟
سيلفيا : ليس لى يدان ..
السيرينيتا : ماذا جرى لهما ؟
سيلفيا : وهبتهما ..
السيرينتا : وهبتهما ؟.. لمن ؟
سيلفيا : لحبيبى ..!
السيرينتا : ياله من حبيب قاس !
◆ **وانه لقاس بالفعل .. فان تضحيتها بيديها قد راحت سدى ، فقد هجرها لوشيو كى يعيش مع جيوكندا !.. انه ضحية ـ ومطية ـ لقدره ، لايستطيع الأن يطيعه .. شأنه شأن سيلفيا ، وغيرها من المخلوقات التي خلقت كى تقاسى**

وتتألم ، وتسبب الالم لغيرها !٠٠ وهل الاحياء جميعا الا عبيدا للقدر الغشوم !؟

على أن أسوأ مافى الامر ، وأدعاه للرثاء ، مايصيب الاطفال التعساء فى مثل هذه الاحوال !٠٠ ان «بياتا» المسكينة لم يسمح لها برؤية أمها طيلة مدة علاجها الطويل ٠٠ وماتزال يحال بينها وبين سيلفيا ٠٠ لكنها هذه المرة تدبر خطة للفرار من عين خالتها فرانشسكا الساهرة ٠٠ وتقبل على أمها تحمل باقة من الازهار ، وهى ترتجف من رأسها الى قدمها ، من شدة اللهفة والانفعال :

سيلفيا : بياتا ٠٠!

بياتا : أماه !٠٠ أماه !٠٠ انهم يمنعوننى من رؤيتك ، فلم أجد بدا من الفرار ٠٠ لماذا لايدعوننى أراك ؟

سيلفيا : انك تقطرين عرقا ٠٠ دعينى ٠٠

لكنها تدرك أنها لن تستطيع أن تجفف وجه ابنتها ، بغير يدين !

بياتا : لماذا لاتحتضنيننى بين ذراعيك يا أماه ؟ ألست مسرورة برؤيتى ؟

تحاول سيلفيا أن تبتسم ، لكن فيضا من الدموع ينهمر من عينيها ٠٠!

بياتا : أتبكين يا أماه ؟ لماذاتبكين ؟

ويستبد بالصبية الخوف ، فترتمى على صدر أمها ٠٠ ويهبط الستار !

وهكذا ٠٠ يأكل الآباء الحصرم ، والابناء يضرسون !

اقرأ فى «كتابى» .. قريبا

الابواب الجديدة التالية :

لكل رسالة قصة

اشهر الرسائل المتبادلة بين العظماء وقصة الظروف التى احاطت بكل منها : رسائل لنابليون ، جوته ، ليدى هاملتـــون ، مدام دى سيفينيه ، مدام دى بومبادور ، الامبراطورة كاترين ، عشيقة جان جاك روسو ، لورد بيرون ، بلزاك ، هاينى ، بودلير ، بسمارك ، ميكيافيللى ، جورج صاند ، دانتى ، تشيكوف ، كبلنج ، لورنس بلاد العرب .. الخ

شهيرات النساء

باقة عطرة من سير نساء خلدت اسماؤهن وتفوقن على الرجال : كليوباترة ، تيودورا ، جان دارك ، مارى ملكة اسكتلندة ، كريستينا ، مدام دى مانتنون ،شارلوت برونتى ، نل جوين ، «جورج» اليوت ، اليزابيث باريت براوننج ، فلورنس نايتنجيل ، سارة برنار ، ايزادورا دنكان ، مدام شيانج كاى تشيك ، هيلين كيلر .. الخ

اعظم الخطب

خطب شائقة لاعظم خطباء العالم القديم والحـديث ، فى كل موضوع : فى السياسة والوطنية ، السلم والحرب ، الادب ، والفن ، والعلم ، والاختراع ، والدين ، والفلسفة ، وتابين العظماء ، والدفاع عن النفس لنفى تهم ظالمة ، وخطب العظماء المحكوم عليهم بالاعدام ، على اثر صدور الحكم.. الخ .. الخ

اقرا فيه خطبا لهؤلاء : بركليس ، سقراط ، ديموستين ، كاتو ، هانيبال ، شيشرون ، يوليوس قيصر ، مارك انطونى ، كرومويل ، فردريك الاكبر ، كامى ديمولان ، ميرابو ، دانتون ، مارا ، روبسبير ، لنكولن ، رابندرانات تاغور ، غاندى ، هتلر .. ومن عظماء مصر : محمد فريد ، مصطفى كامل ، سعد زغلول .. الخ .. الخ

الخالدون

عظماء .. في غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و((غاريبالدى)) - من انبياء الوطنية وعظماء السياسة - ثم ((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركونى)) - من العظماء فى غير السياسة : فى الطب ، والادب ، والاختراع .. الخ

واليوم اقدم لك هذه السيرة الشائقة التى تصور حياة عظيم آخر - فى الموسيقى هذه المرة - هو الموسيقى الروسى الاشهر تشايكوفسكى ، الذى كانت حياته مزيجا من الاشواك والورود، من الالم .. والمجد !

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براوننج ، دانتى .. بيتهوفن ، شوبان، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو ، افلاطون .. بوذا ، كونفوشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، روكفيلر ، اديسون ، فورد .. بلزاك ، ديكنز ، والتر سكوت ، ديماس ، دستويفسكى ، موباسان .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

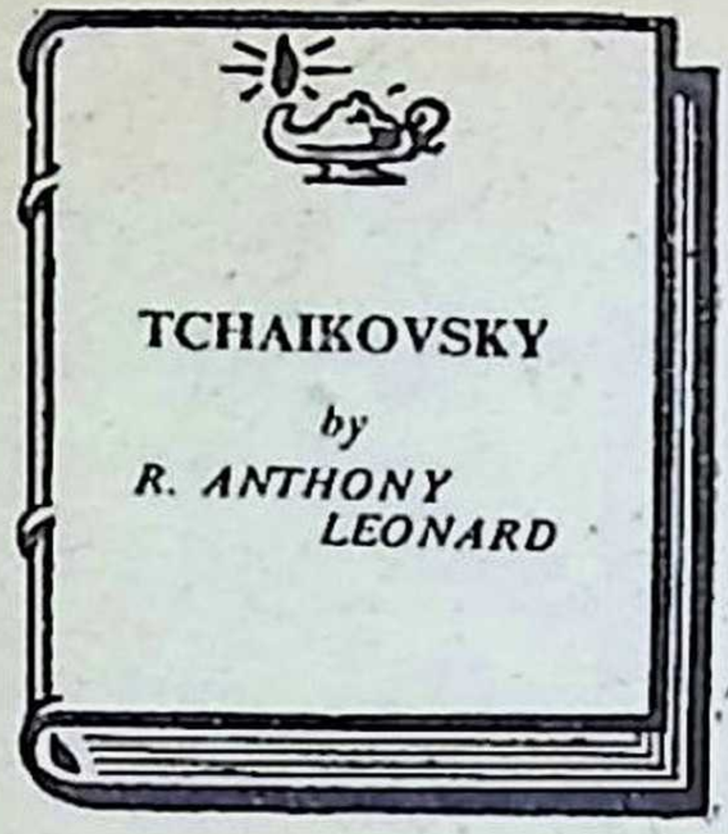

صور من شقاء عبقري

تشايكوفسكي

يطرب بموسيقاه الملايين .. وهو يبكي !

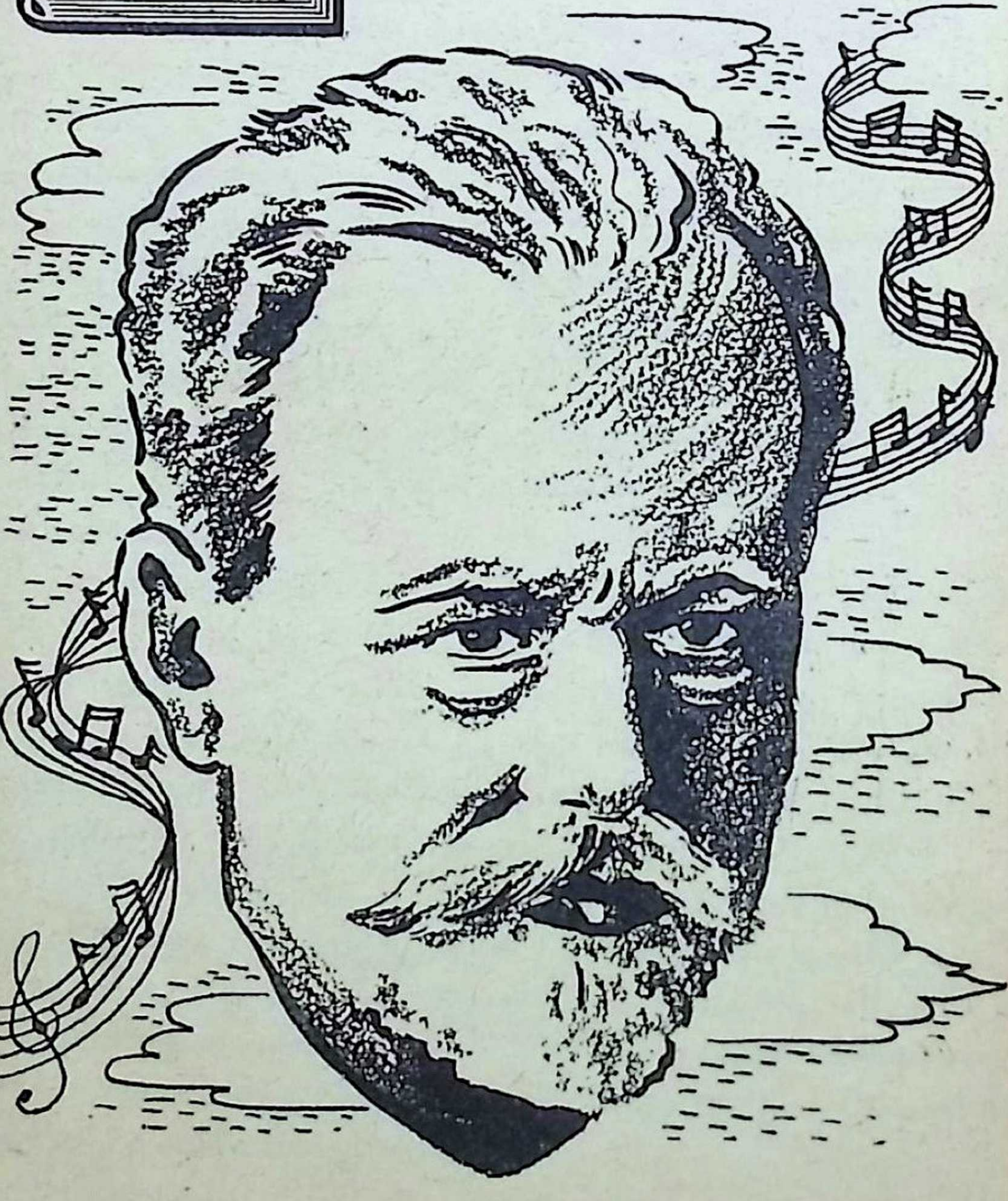

.. اجتمعت له كل أسباب السعادة ، لكنه كان شقيا !.. فرقصت على وقع موسيقاه ملايين القلوب ، الا قلبه هـو !.. وأحبته النساء من كل فج وصوب ، لكن نسائم الحب لم تهب يوما على وجدانه ، وعينيه لم تتفتحا قط لامرأة ، ولأذنيـه لهمسات الهوى من الشفاه الناعمة ..!

كان رجلا جذابا ، وسيم الطلعة ، تنافست على تكريمه «دوقات» روسيا وحسان أمريكا .. فلم يعبأ بالشهرة ، بل عمد الى التنكر في أسفاره خشية أن يموت من الزحام تحت أقدام المعجبات والمعجبين ..!

وكان رجلا مهذبا ، «جنتلمان» حتى أطراف أصابعه .. يتكلم بطلاقة ، ويشرب الخمر بافراط ، لكن أحدا لم يره يوما ثملا !.. أعجبت به امرأة من أغنى نساء موسكو ، فتـولت امداده بالمال طيلة ثلاثة عشر عاما ، دون أن تراه أوتلقـاه ، أوتطمع في مقابل ممن ترعاه !.. وبالاختصار فقد قيل عنه : «اذاكان ثمة رجل يستحق أن تحسده ، فهـذا الرجل هو تشايكوفسكي !»

ورغم ذلك فقد كان شقيا .. يخاف الحب ، ويخـاف الصداقة ، ويرتعد فرقا من كل صلة بشرية !.. حيثما حضر حفلة تعزف فيها موسيقاه ، حرص على أن يجلس في « أعلا التياترو » ، خشية أن يتعرف عليه أحد !.. وفي هـذا قال يوما لصديق : «أيدهشك من شخص أحرز النجاح أن يشكو من القدر ؟.. ان النجاح لايعوض الشخص مطلقا عن آلامه ..»

كان يلازمه احساس غريب ، سواء وهوسائر في الطريق أو وهو يقود العازفين في معهد الموسيقى (الكونسرفاتوار) : كان يحس كأن رأسـه يوشـك أن يسـقط بين كتفيه ، نتيجة حالة عصبية مستعصية !.. وكان ينتابه صداع شبه دائم ، وعسر هضم مستمر ، فكان يحمل معه أينما ذهب جرعة من «بيكربونات الصودا» !

بين الهندسة .. والقانون .. والموسيقى !

◆ ولد «بيتر ايلتش تشايكوفسكى » فى ٧ مايو سنة ١٨٤٠ فى بلدة صغيرة باقليم «فياتكا» الذى يقع فى الجزء الاوسط من روسيا ، الى الغرب من جبال الاورال ، حيث كان أبوه يعمل مهندسا فى المناجم .. لكن الاسرة لم تلبث أن انتقلت الى العاصمة «سانت بطرسبرج» - ليننجراد الآن .

وكانت حالة الاسرة المالية متقلبة على الدوام ، فقد جمع عائلها - ثم بدد - ثروات لابأس بها .. أكثر من مرة !.. وكان «بيتر ايلتش » واحدا من ستة أبناء - بنت وخمسة ذكور - وقد أعده أبوه فى البداية كى يخلفه فى مهنة هندسة المناجم . ثم عدل عن ذلك ، حين رأى نفوره منها ، وقرر أن يدخله كلية الحقوق . ورغم نفور الفتى من القانون بدوره ، فانه أتم دراسته وعين فى وظيفة حكومية بوزارة العدل . لكن ذلك لم ينسه هوايته المفضلة - الموسيقى - فظل يمارسها فى أوقات فراغه ممارسة جدية ، الى حد تلقى الدروس الخصوصية فى علم تناسق الالحان - «الهارمونى» - وان لم تظهر على الشاب حتى ذلك التاريخ «مخايل النجابة » أوبوادر الموهبة الممتازة فى هذا الفن .

.. حتى وقع «حدث» موسيقى هام فى سانت بطرسبرج سنة ١٨٦٢ ، هو افتتاح معهد للموسيقى كان الاول من نوعه فى روسيا كلها فى ذلك الحين .. فكان بيتر ايلتش تشايكوفسكى من أوائل الطلبة الذين التحقوا بالمعهد الجديد .. وحين تخرج منه بعد سنوات ، بتفوق كبير ، عين «أستاذا» للموسيقى فى المعهد المماثل الذى أنشىء فى العاصمة الثانية - موسكو - سنة ١٨٦٦ ..

وهكذا استقال الشاب من وظيفته الحكومية بوزارة العدل كى يتسلم مهام منصبه الجديد فى موسكو . وهناك حاول أن يزيد ايراده باعطاء دروس خصوصية فى الموسيقى لمقدرى

موهبته وعارفيه ٠٠ دون أن يكف فى الوقت نفسه عن مواصلة دراسة أصول الموسيقى وقواعدها ، أملا فى بلوغ مرحلة النضوج فى فنه ٠ وفى تلك الفترة بدأ ينتج ألحانه الموسيقية الباكرة التى يعتبر أكثرها اليوم قليل الاهمية بالقياس الى انتاجه الرئيسى الذى أخرجه للعالم فيمابعد ، والذى خلد اسمه وكتب مجده وشهرته ٠٠

وهكذا لم تمض خمس سنوات حتى كان الموسيقى الشاب قد وضع : ثلاث سيمفونيات ، ومجموعة كبيرة من ألحان الاوبرا ، والاغانى ، ومقطوعات البيانو القصيرة ٠٠ وقد كلفه كل ذلك ليالى طويلة من الارق ، انتهت بانهيار عصبى شديد٠٠ لكن مجهوده هذا كان فى الوقت ذاته بمثابة «حجر الاساس» لشهرته التى سنرى كيف ذاعت بعد ذلك فى كل مكان ، سواء داخل روسيا أوخارجها ٠٠!

وحين بلغ تشايكوفسكى الرابعة والثلاثين وضع لحنا طويلا للبيانو «كونشرتو» ، فدعا صديقه صاحب المعهد «نيكولا روبنشتاين» ـ الذى كان يعد وقتئذ من أشهر عازفى البيانو فى أوربا ـ كى يقضى ليلة عيدالميلاد (سنة ١٨٧٤) فى الاستماع الى لحنه الجديد ، تمهيدا لابداء رأيه فيه ٠٠ فلما انتهى صاحبنا من العزف كان رأى العازف الشهيرمخيبا لآمال تشايكوفسكى ! ٠٠ لكن هذا أبى أن يأخذ برأى « أستاذه » فيجرى فى اللحن أدنى تعديل أوتغيير ، وانما عرضه على ناقد آخر رأى أن يجرى على اللحن «تجربة عملية» : فأخذه معه فى رحلته الى أمريكا ، حيث عزفه أمام الجمهور لاول مرة فى مدينة بوسطن يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٥ ٠٠ فقوبل بعاصفة مدوية من التصفيق واستعادته الجماهير اياه مرارا ٠٠ واليوم ، يعتبر ذلك اللحن قاسما مشتركا لايخلو منه برنامج أية حفلة ممتازة من حفلات البيانو المنفرد !

السر الرهيب !

◆ وان من يسمع اللحن المذكور بغير أن يعرف شيئا عن واضعه ، لخليق بأن يعتنق فكرة خاطئة عن طبيعة الرجل ٠٠ فهو لحن عنيف ، يفيض قوة وحيوية عاطفية ، الامر الذى يوحى « برجولة » مؤلفه العارمة !٠٠ فى حين كان الواقع هو العكس تماما ، **فان تشايكوفسكى لم يكن خجولا ورقيقا الى درجة غير طبيعية ، فحسب ٠٠ وانما كان فوق ذلك مصابا بالشذوذ الجنسى !٠٠ ذلك كان سره الرهيب الذى أشقاه ، والذى كتمه عارفوه عن العالم زمنا ٠٠ لكنه اليوم لم يعد سرا مجهولا ، بل حقيقة معترفا بها من جميع مؤرخيه ٠٠!**

وقد كان ذلك الشذوذ خليقا بأن يهمل شأنه عند تأريخ سيرة صاحبه وموهبته الفنية ، لولا أن تصرفاته هو حيال ذلك الامر ، وفزعه الدائم من أن يكتشف الناس سره ، قد ألقى ظله القاتم على حياته كلها ، بل وعلى فنه !

وفى العصر الذى عاش فيه تشايكوفسكى كان مثل هذا الشذوذ يحاط ـ حتى فى دراسة الطب له ـ بنطاق صارم من السرية والتكتم ، بحيث لايكاد يشار اليه فى حديث أو يهمس به الناس فى أى مجتمع أخلاقى ٠٠ واذا تهامسوا به فعلوا ذلك فى ذعر ، أوعلى سبيل المزاح !٠٠ وقد كانت اصابة تشايكوفسكى بهذا «المرض» موضعا لسريان الشائعات بين الكثيرين من أصدقائه فى موسكو ، ومن ثم كان المسكين يعيش فى حالة رعب قاتل دائم ، خشية أن تتعدى الشائعات ذلك النطاق الى محيط أوسع ، فتؤثر فى سمعته بين عشاق موسيقاه ٠٠ وتصبح «فضيحة دولية » !

وزاد من ارهاق هذا السر لاعصاب الفنان الكبير انه لم يجرؤ على الافضاء بدخيلة نفسه لاحد ، الا لاخيه الاصغر «موديست» ـ الذى صار فيمابعد مؤرخه ـ وكان هو بدوره

مصابا بنفس الشذوذ ٠٠ وقد أشار الاخوان أكثر من مرة ، فى رسائلهما المتبادلة ، الى هـــذا «السيف» المصلت فوق رأسيهما !

امرأتان فى حياته !

◆ ولكن ٠٠ يشاء القدر الساخر أن تلعب الدور الرئيسى فى حياة هذا الرجل الذى لم يكن للنساء وزن فى اعتباره ٠٠ امرأتان ! : احداهما أرملة غنية كانت تدعى «ناديجافون ميك» ٠٠ والاخرى شابة حسناء أقدم الفنان عـــلى حماقته الكبرى حين ٠٠ تزوجها !٠٠ وقد كانت صلات تشايكوفسكى بهـاتين المرأتين من أغرب الصلات التى يرتبط بها أى رجـــل ، عادى أو شاذ ٠٠!

أما الاولى ـ مدام فون ميــك ـ فكانت أرملة مهنـــدس مشهور ، له فى تاريخ انشاء السكك الحديدية فى روســـيا سجل حافل ٠ وقد ترك لها عند موته ثروة ضخمة ، من بينها قصر كبير فى موسكو ، وضيعة شاسعة فى الريف ، وخطـان حديديان !٠٠ وكانت الزوجة فى ذلك الوقت تناهز الاربعين ، امرأة أوتوقراطية المولد ، عاشت بعد وفاة زوجهـــا أشبه «بالناسكة» ، فى قصرها بموسكو ، تســـيطر على حياتهـــا هوايتان : أطفالهـــا ـ وكان لها منهم لأقل من اثنى عشر ! ـ ثم الموسيقى ٠٠٠ وكانت تغدق رعايتها الكريمة عـــلى معهد الموسيقى ، وتستقبل صاحبه «روبنشتاين» فى بيتها مرحبة ، على قلة من كانت تستقبل من الرجال ٠٠ وعن طريقه تعـــرفت الى موسيقى تشايكوفسكى ، وأعجبت بها ٠٠ وسرعان ماتطور اعجابها الى عاطفة ملتهبة ، فبدأت تراسل الفنان ويراسلها ٠٠ صارا يكتبان كلاهما الى الآخـــر بانتظام وكثرة ـ وفى بعض الاحيان يوميا ! ـ طيلة أربعة عشر عاما (من عام ١٨٧٦ الى عام ١٨٩٠) ٠٠ وخلال تلك المدة كلها لم يتقابلا قط !

وقد نشر جانب كبير من تلك الرسائل باللغة الانجليزية حديثا فى كتاب عنوانه «الصديق المحبوب» ، وضعته باربره فون ميك أرملة حفيدصاحبة الرسائل، وكان الحفيدقداحتفظ بها حتى صودرت مع بقية أملاك الاسرة عندنشوب الثورة الروسية سنة ١٩١٧ ، ولم يكشف عنها الستار الا حين نشرت الحكومة السوفيتية محتوياتها فى سنة ١٩٣٥ .

◆ ورسائل تشايكوفسكى الى صديقته المحبوبة هى صورة دقيقة لخلق الرجل ، فى كل شىء عدا أمر واحد : شذوذه الجنسى !.. الذى لم يشر اليه فيها بحرف واحد ، والذى يبدو أن المرأة لم تعرف بأمره قط !.. أمافيماعدا ذلك فقد فتح الفنان لصديقته قلبه ونفسه على مصراعيهما ، فسرد لها فى تلك المئات من الرسائل أفراحه وأحزانه .. وآلامه الحقيقية والوهمية .. وأسرارانتاجه الموسيقى وحياته الفنية الخالقة .. الخ

ولم يمض على صلة تشايكوفسكى بمدام فون ميك وقت قصيرحتى صارت راعية حياته وليست مستودع أسراره فقط .. **فقد رصدت له راتبا شهريا سخيا من مالها الخاص صارت ترسله اليه بانتظام ، كما أوفدته فى رحلات عديدة الى الخارج .. وفتحت له خزانتها فأغرقته بالهدايا فى كل مناسبة طلب فيها عونها . وبالاختصار فانها صارت سند حياته ، ودعامتها الرئيسية .. وبلغ من اعتماده على رعايتها وعطفها أنه كان يقاسى عذابا مروعا اذا انقضى أسبوع لم تصل اليه خلاله رسالة منها ..!**

والواقع أن شدة تعلق مدام فون ميك بموسيقى تشايكوفسكى كانت من أعراض حالة مرضية بها ، فمثل كثيرات من النساء ذوات الارادة الحديدية كانت هى هدفا لكثير من الدوافع الغريبة المتعارضة ، فكانت الموسيقى تؤثر فيها تأثيرا عميقا .. ولاسيما موسيقى تشايكوفسكى ، التى كانت تخلفها مهدمة الاعصاب !

تمقت الصلة الجنسية !

◆ وكانت هى التى فرضت عليه شرط أن لايلتقيا قط !٠٠ ولئن لم يهتد المؤرخون الى التعليل القاطع لذلك الشرط الشاذ، فان أغلب الظن أن المرأة خشيت أن يبدد تشايكوفسكى الرجل سحر أوهامها وتصوراتها التى رسمتها فى خيالها موسيقاه !٠٠ كما لعلها خشيت على نفسها من التورط معه فى صلات جنسية ، الامر الذى كانت زاهدة فيه من كثرة ماعانت من متاعب الحمل والولادة ٠٠ اثنى عشر مرة !٠٠ ولقد صورت نفورها هذا من العلاقة الزوجية بقولها فى احدى رسائلها الى تشايكوفسكى : «**انه لامر يدعو الى الحسرة حقا ان الانسان لايستطيع أن ينجب نسلابالطرق الصناعية ، كماينجب السمك ٠٠ فى حين أنه لو أصبح ذلك فى حيز الامكان لما احتاج الناس الى الزواج ، ولاستراحوا بذلك راحة عظمى !**» ٠٠ وهو قول لايصدر الا من امرأة تنظر الى العلاقات الزوجية والصلات الجنسية نظرتها الى شىء بغيض تمقته !٠٠ ولماكانت الارملة فى حاجة الى متنفس آخر لعواطفها وأشواقها ، فقد وجدت هذا المتنفس فى تلك المغامرة الغرامية، الشاذة الاطوار !

أما بالنسبة لتشايكوفسكى نفسه ، فكل القرائن تدل على أن ذلك الشرط الذى فرضته عليه صديقته ـ شرط عدم اللقاء ـ قد نزل على قلبه بردا وسلاما !٠٠ فهوقد أدرك ولاريب أن بين اعجاب هذه الارملة الغنية بموسيقاه ، وبين اعجابها «الجنسى» به كرجل ، خطوة واحدة قصيرة وسهلة !٠٠ الامر الذى كان خليقا أن يوقعه فى مأزق رهيب ، قدر التعس مدى فظاعته ٠٠ مقدما !

على أنه اذا كان قد نجا من هذا المأزق فى علاقته مع مدام فون ميك ، فانه لم ينج منه فى علاقته مع « أنتونينا مليوكوف » !

وهذا يقودنا الى قصة المرأة الاخرى فى حياته :

التلميذة التى وقعت فى هواه !

◆ فى ربيع سنة ١٨٧٧ كان تشايكوفسكى مايزال فى نظر جميع فتيات معهد الموسيقى لغزا عصيا على الحل !٠٠ فقد كن موضع اعجاب ومغازلة جميع مدرسيهن ، عداه هو ٠٠ الذى لم يكن يستجيب لمفاتنهن ، بل كان فى تصرفاته معهن مثالا للبرود ، والارستقراطية ، والعزلة !٠٠ وقد حدث أن التقت به فى المعهد فى الاشهر الاولى من تلك السنة فتاة جذابة وجريئة تدعى «أنتونينا» ، فأعجبت به ـ وان لم يولها هو التفاتا ! ـ ومن ثم راحت تمطره بوابل من الرسائل اليائسة التى تفيض جوى وتوسلا ورجاء ، مناشدة اياه أن يزورها فى بيتها ، لانها تحبه حبا جنونيا ٠٠ وتبغى الزواج منه !٠٠ وهددته بالانتحار اذا لم يفعل !

واستجاب تشايكوفسكى لتوسلات تلميذته الولهى ، ضعفا منه ، فذهب ٠٠ ورأى ٠٠ وانتصرت هى !٠٠ فقد أفلحت فى اقناعه بالزواج منها ، ولكن بعد أن أنذرها فى صراحة بأنه لايحبها ٠٠ وانه فقير ٠٠ ميال الى العزلة ٠٠ عصبى بطبعه ٠٠ ومن العسير معاشرته ٠٠ الخ ٠٠ ولم يدرك المسكين أن الفتاة مصابة بلوثة فى عقلها تصور لها ان جميع الرجال متدلهون فى حبها !

وعلى أثر عقد «خطبتهما» كتب تشايكوفسكى الى أخيه يقول : « فى النصف الاخير من شهر مايو وجدت نفسى فجأة ، على غير انتظار منى ، خطيبا لها !» ٠٠ **وقد علل تشايكوفسكى ـ فيمابعد ـ قبوله الزواج من الفتاة بخوفه من أن تنفذ تهديدها بالانتحار اذا لم يفعل !٠٠ لكن الواقع ان المسكين كان مدفوعا الى ذلك القبول بدافع آخر شخصى لم يصرح به : هو خوفه من أن ينكشف شذوذه الجنسى للناس ٠٠ وشوقه الى الزواج ولو دفعا للشبهات ونفيا للظنون ٠٠ أو ذرا للرماد فى العيون !**

وكان الشقى قد حاول أن يلوذ من قبل بهذا الحصن الواقى من الشكوك ، لكنه فشل ٠٠ ففى سنة ١٨٦٨ ـ وكان فى الثامنة والعشرين ـ التقى بمغنية فى الاوبرا تدعى «ديزيريه ارتو » ، فأسره جمالها ٠٠ وكتب الى أبيه يعلن اليه اعتزامه الزواج منها ٠٠ ولكن فجأة هجرته المغنية وأحبت رجلا آخر ٠٠!

ولعل تشايكوفسكى قد أحس نحو «ديزيريه ارتو » بقدر من الحب ـ بالاضافة الى هدفه الآخر الرئيسى الدفين ! ـ أمافى المرة الثانية فالمؤكد أنه لم يشعر بأدنى ميل أوانعطاف نحو «أنتونينا ميليكوف » هذه ، وان أحس على أثر اتمام زواجه منها بغير قليل من الارتياح ٠٠ فقد أفلح على الاقل فى أن يخرس ألسنة الشائعات ٠٠ ولو الى حين !

ليلة الزفاف ٠٠!

◆ وحانت ليلة الزفاف المفجعة ـ فى ١٨ يوليو سنة ١٨٧٧ ـ فاستقل العروسان القطار من موسكو الى حيث اعتزما قضاء «شهر العسل» !٠٠ فأحس تشايكوفسكى وهو جالس بجوار عروسه أنها مخلوقة بغيضة الى أقصى حد ، حتى لقد خيل اليه أنه يوشك أن يفقد عقله !٠٠ وفى هذا يقول فى مذكراته : «عندما تحرك بنا القطار أحسست بميل الى أن أصرخ مستغيثا!» ٠٠ لكنه حاول تهدئة ثائرته جهد طاقته ، معللا نفسه بأنه اذا كان قد أخطأ فى زواجه ، فان زوجته ـ على الاقل ـ تكن له حبا قويا لاينتظر معه أن تفعل شيئا ينغص عيشه ٠٠ وهكذا أجبر نفسه على مجاذبتها أطراف الحديث ، بالرغم من رغبته فى الانزواء فى طرف العربة وحيدا مع مخاوفه ٠٠!

وابتسمت أنتونينا فى شجاعة ، وهى تجهل العاصفة العاتية التى تجتاح أعماقه ٠٠ وأخيرا اضطر الى أن يصارحها بالحقيقة قائلا : «ان من واجبى ألا أضللك ، فلاتنتظرى من جانبى أكثر من الحب «الاخوى!» ٠٠ ذلك انه قد أحس بنفور

جسمانى منها ، كما من جميع النساء ٠٠ وعبثا حاول مكافحة طبيعته تلك بكل قواه ٠٠ فانه خسر المعركة !

أما قصة الثلاثة أشهر التالية فهى قصة الجحيم بعينه ٠٠ قصة العذاب النفسى المرير الذى لايستطيع غير قلم «دستويفسكى» أن يصوره !٠٠ فلكى «يتجنب» زوجته ، صار تشايكوفسكى يضطر الى مغادرة بيته فى الليل ، فيروح يذرع شوارع موسكو ٠٠ ساعات طويلة ٠٠ حتى يعجز عن مواصلة السير ، فيعود أدراجه وقد هده التعب ٠٠ «ليحاول» النوم !

يشكو الزوجة الى الصديقة !

◆ ولم يكن تشايكوفسكى قد كتب الى صديقته مدام فون ميك حرفا عن مشروع زواجه ، الى ماقبل الزفاف بيوم واحد ! ٠٠ فلما علمت المرأة بالامر كاد يقتلها الشجن ، لكنها أخفت عواطفها ٠٠ بل جاءت ردودها على خطاباته اليها آية من آيات اللباقة والعطف ٠٠٠ لاسيما حين صارحها بفشله فى زواجه ونفوره من زوجته ـ وان لم يصارحها بسبب هذا النفور ! ـ ولنقرأ مايقوله لها فى احدى رسائله : « ناديجا ٠٠ اليك صورة للعذاب الذى أقاسيه منذ الثامن عشر من شهر يوليو : يوم زواجى !» ٠٠ ثم يصف لها شعور البغض والكراهية الذى توحى به اليه زوجته ٠٠ وكيف اضطره هذا الشعور الى مغادرة موسكو بعد أسبوع واحد من الزواج ، متعللا بسوء صحته

وحاجته الى تغيير الهواء !٠٠ «واستمرت حياتى الرهيبة عل
هذا المنوال أياما أخرى ٠٠ كنت أشرب الخمر بلا حساب
ولاأقوى على رؤية وجه أنتونينا ٠ انها توحى الى بالانقباض
والكآبة !٠٠ ياللمسكينة ، انها قد فعلت كل مافى طاقة البش
كى تسعدنى ٠٠ ورغم ذلك فانى لاأستطيع أن أحس نحوه
بغير الاشمئزاز !»

الفزع من الفضيحة !

وأخذت تدوى فى أذنيه صرخة داخلية مروعة : « انن
شاذ !» ٠٠ وعبثا حاول التظاهر بأنه مثل كل الرجال ٠٠ فم
جدوى هذا التظاهر ، وموسكو بأسرها لن تلبث أن تعرف
الحقيقة ، وتتهامس بها ؟!

وان زوجته لتجلس فى مواجهته باسمة ، تفعل كل ماهو
خليق بأن يريحه ويجلب له السعادة : تصب له الشاى ، وتحل
له رباط حذائه ، وتحنو عليه ٠٠ لكنه برغم ذلك يمقتها مقتا
مدمرا مجنونا !٠٠ حتى ليود لو أخذ عنقها الصغير بين قبضتيه
وقضمه ، كى لايعود أحد يسأله أينما ذهب : « كيف حال
أنتونينا ، زوجتك الحسناء الصغيرة ؟٠٠ ولماذا أنت تذرع
الشوارع فى الليل وحيدا ؟٠٠ لم لاتخرج برفقتها لزيارة بيوت
أصدقائك ؟» ٠٠ الخ ٠٠ الخ

ياللسماء !٠٠ انه لعاجز عن احتمال ذلك بعد الآن ؟

ويندفع يائسا الى الطريق كى يذرع مرة أخرى شوارع
المدينة المظلمة الساكنة ، وقد رفع ياقة معطفه على رقبته ،
وغطى بحافة قبعته عينيه !٠٠

**وفى احدى هذه الجولات الليلية وجد نفسه ذات مرة على
ضفة النهر ٠٠ فهبط الى الماء الذى كان باردا كالثلج ٠٠ حتى
غطى الماء صدره ٠٠ وبقى على هذا الوضع ، نهبا للصقيع
القارس ، أقصى مدة استطاع احتمالها ٠٠ آملا أن يصاب**

من جراء ذلك بالتهاب رئوى حاد يقضى عليـــه ، ويجنبه عار ومذلة الانتحار عامدا !

ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى خف أصدقاؤه قلقين الى جوار فراشه ، حيث رقد محموما يهذى ·· ولم يكن لدى الاطباء أكثر من أمل واه فى شفائه !·· بل لقد خشوا ـ فيما لوشفى ـ أن يصاب بالجنون ، الااذا غادر موسكو من فوره الى جهة نائية كي ينال قسطا طـويلا من الراحة ، بعيــــدا عن الناس !·· **ثم يهز الاطباء رؤوسهم قائلين ، فى لهجة العليمين ببواطن الامور : «لقد أجهد نفسه فى العمل أكثر من اللازم »·· أما اخوته فكانوا يهزون رؤوسهم ساخرين ، ويضغطون على شفاههم فى تحسر ·· فانهم كانوا يعرفون جلية الامر !**

وأخيرا شفى تشايكوفسكى ·· ففر من موســـكو الى سانت بطرسبرج ، لاجئا الى أخيه الاكبر «أناتول» ، لـكنه أصيب هناك بانهيـــار عصبى كامل ·· وكان علاجه الحقيقى يستلزم أمرا رئيسيا لابدمنه : أن لايرى زوجته مرة أخرى !·· فاضطر أناتول الى ارسالها مع أمها الى أوديسا ، ثم حمل أخاه المحطم الى سويسرا ، الى مصحة للناقهين تقع على ضفاف بحيرة جنيف ·

السيمفونية الرابعة

·· وهناك تلقى المريض من صديقته الارملة الثرية مدام فون ميك رسالة تشجيع تقول له فيها : «بمعونة الله سوف تشفى يابيتر ·· سوف تعود الموســـيقى فتملأ حياتك ، وعندئذ تستأنف عملك فى سيمفونيتنا القـــادمة ·· سيمفونيتك أنت وأنا !»

وحدث ماتوقعته ، فكتب اليها فى نوبة عرفان بالجميـــل ينبئها بأنه قرر أن تكون عبارة اهداء السيمفونية موجهة اليها ! ·· وحين أتمها وأطلق عليها «السيمفونية الرابعة » كتب الى

مدام فون ميك يقول : «عزيزتى الغاليــــة ناديجا ··· لعلنى مخطىء فى ظنى ، ولكننى أعتقد أن هذه السيمفونية شىء فوق العادة ، بل لعلها أحسن ماوضعت من موسيقى حتى الآن··»

وأرسلت له ناديجا مبلغا من المال كى ينفق منه على طبع نوتة السيمفونية ، آملة أن ترى شهرتها تغمر أوربا بأسرها ـ رغم أنها لم تكن قد سمعت أواطلعت عــلى أى جزء منها ! ـ وكيف لا ؟ ألم يضعها « بيتر » ؟·· انها اذن لايمكن أن تكون غير لحن من السماء !

هكذا كان مبلغ ايمان ناديجــا فون ميك بصديقها العبقرى تشايكوفسكى ·· أماهو فكان أشد منها قلقــا على مصير السيمفونية الرابعة ·· « ترى ماذا يكون من أمرها ؟·· هل تعيش طويلا بعد أن يختفى مؤلفها من على ظهر الارض ؟ انى لاتساءل !»

البشرى ··!

وحين عزفت السيمفونية أمام الجماهير فى موسكو لاول مرة كان صاحبها فى مدينة فلورنسا ـ بايطاليا ـ فكتبت اليه صديقته تبشره بأن اللحن قد استقبل استقبالا حســـنا !·· لكنه لم يتلق حرفا بشأن ذلك من زملائه فى معهدالموسيقى!·· والفنان حين يضع روحه كلها فى عمل فنى ، ينتظــر نوعا من «الاعتراف» بمجهوده ، ان لم يكن من الثناء والمديح ·· فلمــا ضن النقاد عليه بهذا أو ذاك كتب الى راعية حياته خطابا جاء فيه : «اننى لفى أشد حالات الاسى والشجن ، بل والدهشة ، ازاء الصمت المطبق غير المفهوم من جانب الجميع نحوالسيمفونية التى توقعت لها أن تثير على الاقل «اهتمام» عشاق موسيقاى ، ان لم تحرك أعماق نفوسهم !»

◆ وأخيرا وصل اليه خطاب من زميل له من مدرسى المعهد، كله نقد وطعن فى السيمفونية ·· فرد عليــه تشايكوفسكى

بدفاع حار عنها قال فيه : «**ليس فى اللحن مقطع واحد لم ينبع من أعماق احساسى ، ولا « نوتة » واحدة الا وهى صدى دقيق مخلص لطبيعتى ذاتها ٠٠ أما ضجيج البوق الذى تعيبه على فى مطلع السيمفونية فهو رمز للقدر الاعمى الجبار الذى يعترض تحقيق أعذب آمالنا ٠٠ انه سيف «ديموكليس» المصلت فوق رؤوسنا ، والذى نقاسى منه عذاب الشهداء ٠٠ حتى يغلبنا اليأس فنحاول الفرار من الحقيقة الى الاوهام والاحلام ٠٠ لكننا لانكاد نجد سعادتنا المنشودة فى عالم الاحلام حتى نصحو من غمرتها مرة أخرى على نداء القدر ، كى نواجه الواقع !**»

وهكذا كانت حياة تشايكوفسكى فى حقيقة الامر : أرجوحة بين الوهم والواقع ، بين السعادة واليأس ٠٠٠ السعادة حين ينفرد بموسيقاه ، واليأس ــ الى حد التفكير فى الانتحار ــ حين يضطر الى مواجهة الدنيا ، والى التظاهر بأنه رجل ، بينما هو يحمل نفسية امرأة !

صداقة العمر

٠٠ واستمرت فى غضون ذلك صلة الصداقة المثالية الشاذة بين تشايكوفسكى وبين مدام فون ميك ، المرأة التى لم تعرف عن شكله ومظهره غير مابدا لها من صوره التى أرسلها اليها ٠٠ فى الوقت الذى عرفت فيه أدق خلجات فكره ٠٠ كانت قد استحوذت على ثقته الكاملة ، بفضل عطفها الانثوى ولباقتها ٠٠ فلم تك تستطلع من أمره أكثر مما يروقه أن يطلعها ٠٠ وفى ساعات يأسه كانت تواسيه فى رسائلها ، وتستمع الى شكاته ، وتمده بالشجاعة على مواصلة الكفاح ٠٠ وماكانت امرأة غيرها لتستطيع أن تجرى اعانة مالية على رجل مثله مرهف الاحساس بالغ الاعتداد بكرامته !٠٠ فقد صاغت الامر له فى قالب لبق قائلة انها تعطيه أجرا مقابل موسيقاه التى يضعها

من أجلها !٠٠ ولماكان هو كريما مع الناس فى معاملاته المالية فقد تقبل منها هذا الكرم دون ماحرج ، بمثل السهولة التى تقبل بها شذوذ العلاقة التى أنشأتها معه ، والتى كانت أشبه بعلاقة أم مع ابنها ٠٠ مع استبدال رابطة الدم برابطة الموسيقى !٠٠ ومن أجل دوام هذه الرابطة فى نطاقها الروحى، دون أن يفسدها الواقع والمادية ، فرضت عليه أن لايراها أو تراه مطلقا !٠٠ **وحين أزمعت القيام برحلة الى الخارج كتبت تطلب اليه أن يزور بيتها فى غيبتها كى يتصفح الكتب التى تقرأها ويرى اللوحات الزيتية التى تزين جدرانها ، وكى تحس عند عودتها بالجو الذى أسبغته على الدار شخصيته !**

بل انها فى شتاء سنة ١٨٧٨ طلبت منه أغرب من ذاك الطلب ٠٠ أرسلت اليه من مدينة فلورنسا ـ حيث كانت تقضى فترة من الزمن ـ ترجوه أن يحضر الى تلك المدينة كى يقيم فى عش صغير هيأته له على بعد بضعة أميال من حيث تقيم هى ٠٠ وفعلا لبى دعوتها ، وانتظمت بينهما سلسلة من الرسائل عبر المسافة الضئيلة التى تفصل بينهما ٠٠!

تتفانى فى اسعاده !

◆ وفى مرة أخرى كان ضيفا عليها فى قصرها الصيفى بأوكرانيا ـ أثناء غيبتها ـ فكان يصدر أوامره الى خدمها ، ويستخدم فى تنقلاته عربتها التى تركتها تحت تصرفه ، ويمارس رياضة السير على قدميه كل يوم الى دار البريد ، فى القرية القريبة ، مارا بالبيت الذى تقطنه !٠٠ فيسمع أصوات أطفالها ٠٠ ويتلقى منها كل حين رسائل الاستفسار عما اذا كان جناحه الخاص دافئا الى الدرجة الكافية ؟ وهل لديه كفايته من الكتب والثياب ؟ الخ ٠٠ وهكذا لم يكن لديها شغل شاغل غير التفكير فى توفير وسائل الراحة له ٠٠

ورغم ذلك لم يلتقيا قط !

أقصى ما ناله منها أنه كان يراها أحيانا فى المسرح عن بعد.. فيعرفها ، من صورتها ! .. كان يجلس فى مقصورته فيضع على عينه منظار المسرح المكبر ، ليتأمل المرأة ذات القوام الفارع والرداء الاسود ، التى تجلس فى أحد المقاعد الامامية والى جوارها ابنتها الاثيرة عندها «ميلوشكا» .. وقد كاد يقع فى هوى الفتاة الصغيرة ، فكتب الى أمها يقول « أخبرى ميلوشكا أن لها معجبا شديد التحمس لها ! »

وفى ساعة معينة من بعد ظهر كل يوم ، كانت الارملة وأسرتها يقومون بنزهتهم على الاقدام ، مارين بمقر تشايكوفسكى ، فكان هو يرقبهم من وراء خصاص نافذته بعينين قلقتين ، خشية أن يرفعوا أبصارهم فيلمحوا ظله ..!

صخرة نجاحه !

وأبدا لم تحاول مدام فون ميك أن تتطفل على حياة صديقها الخاصة ، بل كانت تعتبرها شبه مقدسة !.. وذات مرة ألمعت فى رسالة الى أن ابنتها ميلوشكا تتحرق شوقا وفضولا الى رؤية ذلك «العم بيتر» الذى لاتفتأ أمها تتحدث عنه !.. لكن تشايكوفسكى ، رغم حيائه ، كان حازما فى رده عليها .. فقال : «اغفرى لى ياصديقتى العزيزة واضحكى على شذوذ تصرفى ، لكنى لن أدعو ميلوشكا لزيارتى !.. ان صلتى بك هى مصدر سعادتى العظمى ، والصخرة التى يرتكز عليها

توفيقى فى حياتى ·· ولست أريد لهذه الصلة أن تنحـرف أدنى انحراف !»

◆ لكن المحظور وقع ·· ذات يوم !

كان الصديقان قد اتفقا على تنظيم أوقات خـروج كل منهما بحيث يبقى الواحد اذا خرج الآخر ، كى لايلتقيـا فى طريق !·· لكن نظامهما اختل ذات يوم فخـرجا فى وقت واحد ··· وصادف أن تقابلت عربتاهما فى منتصف الطريق، فلما تحاذتا لم يملك تشايكوفسكى عينيه من الالتقاء بعينى مدام فون ميك ·· وحدق كلاهما فى صاحبه بضع ثوان ، ثم أحنى هو رأسه دون أن ينطق بكلمة ·· فردت له هى التحية بنفس الطريقة ، وأمرت حوذيها بمواصلة السير !·· وحين بلغ تشايكوفسكى بيته كتب اليهـا : « اغفرى لى حماقة عدم مبالاتى ياناديجا ··» فردت عليه مبدية ابتهاجها باللقـاء العابر : «فلقد أقنعنى بحقيقة وجودك بالقرب من بيتى !»

ومرة أخرى ·· كانت مدام فون ميك تحتفل بعيد أحـد أطفالها ، فأقامت لهذا الغـرض مأدبة شاى فى الحديقة ·· ورغم أنها لم تدع صديقها الموسيقى الى الحفلة ، فانه قدتسلل الى حيث اختبأ خلف احدى الاشجار ووقف يرقب موكب المرح، دون أن يلحظه أحد !

حب سماوى ··!

◆ وعلى أثر انتهاء ذلك الصيف الذى قرب بينهما الى هذا الحد أرسل تشايكوفسكى الى صديقته نوتة احدى مقطوعات سيمفونيته الرابعة ، ولم تكن قد سمعتها تعـزف غير مرة أو اثنتين ، فوجدت فى ذلك فرصتها لاستيعاب موسـيقاها عن كثب ·· وبقيت ثمان وأربعين ساعة لاتأكل أوتنام ، قانعـة بأن تتذوق روعة اللحـن فى كامل عظمته ·· وعلى أثر ذلك

كتبت الى صديقها خطابا ضمنته اعترافا كاملا بمشاعرها : «أحبك أكثر من أى مخلوق آخر ٠٠ وأقدرك فوق تقديرى لاى شىء فى الدنيا ٠٠ فاذا ضايقتك هذه الحقيقة فاغفر لى انى صارحتك بها٠٠ واعلم اننى معذورة ، وعذرى هوسيمفونيتك!»

◆ فى تلك الاثناء كان تشايكوفسكى يعيش منفصلا عن زوجته ، لكنه لم يكن قد تحرر من قيود الزواج ، فقد رفضت «أنتونينا» أن تطلقه ٠٠ بل وراحت تلاحقه بطلب المال كل حين ، الامر الذى صار يضرم فى دمه أحيانا نار ثورة مدمرة ، فكتب مرة يقول : **«لقد أدركت الآن كيف يمكن لانسان ليس شريرا بطبعه أن يصبح قاتلا !»**

وعاودته من جديد أعراضه العصبية القديمة : الارق ، ونقص الوزن ، وتقلصات القلب ، وكابوس الليل ٠٠ فلم يكن يستريح منها ـ مؤقتا ـ الابكأس من الخمر القوية ٠٠ وهكذا صار يشرب الخمر كل ليلة ، فيحس فى مراحل ثمله الاولى بنشوة بهيجة ، لكن تأثير الخمر لايلبث أن يزول بعد فترة قصيرة فيعود الى أساه ٠٠ وموسيقاه !٠٠ أو على حد تعبيره : «ان شعورى بأنى لاأصلح لشىء ، وان انتاجى الموسيقى وحده هو الذى يستر نقائصى ويرفعنى الى مرتبة الرجولة ، بمعناها الحقيقى ، قد بدأ يطغى على حواسى ويعذبنى ٠٠ والسبيل الوحيد للفرار من هذه الشكوك المضنية والسياط النفسية هو أن أشرع فى الانشغال بعمل جديد ٠٠ هكذا أنا أدور فى حلقة مفرغة ، أوشبه دوامة ٠٠ أكافح بأعنف ما أستطيع ٠٠ ولاينقذنى من نفسى سوى عملى٠٠وانى لاعمل»

يصعد سلم المجد قفزا !

◆ عام ١٨٨٠ ٠٠٠ وقد بلغ الموسيقى ذوالوجه الصبوح والقلب الحزين سن الاربعين ، وشهرته فى ازدياد ٠٠ ومجده

فى صعود !٠٠ ورغم أن المال قد بدأ يتدفق عليه من مصادر أخرى غير ناديجا فون ميك ، فانه لم يتغير ٠٠ بل صار يمد يد العون الى الموسيقيين المعوزين فى موسكو بسخاء عجيب ٠ وحين سافر فى رحلة الى باريس بدا كأنه قد بدد همومه مع الريح ، فكتب الى اخوته يقول : « انكم لاريب تضحكون لو رأيتمونى أذرع الشوارع مثل الديك مرتديا سترتى الجديدة وقبعتى الفاخرة ٠٠ ان نزوة طارئة للاناقة قد تملكتنى ، حتى لافكر جادا فى أن أشترى لنفسى سلسلة ذهبية ومشبك ! ان النقود تطير ٠٠ وقريبا لن يبقى فى جيبى فرنك واحد » ٠٠٠ وبعد أيام غادر باريس الى برلين ، وهناك كتب الى صديقته فون ميك : «لقد رتبت ميزانيتى فى باريس ببراعة ودقة ، الى حد أنى بعد أن دفعت فاتورة الفندق لم يبق لى مايكفى كي أعود الى روسيا ! فلم أكد أصل الى برلين حتى وجدت نفسى عاجزا عن مواصلة السفر ٠ فأبرقت الى ناشرى كى يرسل الى بطريق البرق نقودا مما لى فى ذمته ٠٠ ولست أدرى لم لم يجب ؟!»

يخشى الناس ٠٠!

وأدركت ناديجا حرج مركزه ، فأرسلت له مبلغا من المال يكفى لسداد أجر فندقه فى برلين ونفقات سفره الى سانت بطرسبرج ٠ وكانت خلال فترة بقائه فى باريس قد أوصته بأن يعاشر «ذوى الخلق القويم » ٠٠ لكنه اعترف لهافىسذاجة بأنه يخشى الناس : «ولقد قاسيت من الصلات الاجتماعية طيلة حياتى !» ٠٠ لكنه لم يوضح لها بالضبط ماذا ينفره من الناس ، وأى شىء فيهم كان يسبب له ذلك الالم والعذاب المرير ، فيجعله حتى اذا ما استقل قطارا ينزوى فى ركن مقصورته ، خشية أن يتعرف عليه أحد !٠٠ بل لقد اعترف بأنه يقدر كم عاقه خجله وحياؤه الفطرى عن بلوغ النجاح فى

كثير من فرص حياته ، وأكد انه قد حاول مكافحة هذا الخجل المتأصل فيه بكل قواه ، لكن جهوده كلها منيت بالفشل .. مما جعله يكف عن الصراع !.. «أما الآن ، وقد صار فى مقدورى فى هذه البلاد الغريبة أن أنزوى فى جحرى وأكون طبيعيا فى خلوتى بنفسى ، لا رفيق لى غير الكتب والنوتة الموسيقية .. فاننى سعيد للغاية !»

يطارده المعجبون !

لكنه أخيرا استطاع أن يقتحم طريق النجاح ، برغم خجله .. فلقد لفتت سيمفونياته وألحانه المختلفة أسماع الجماهير فى كافة دول أوربا ، بل وطرقت أبواب الولايات المتحدة ، حيث عزفت موسيقاه فى كل مكان .. «فى كل بقعة تستقبل موسيقاى بالترحيب .. واننى لاقضى الصباح كله أراجع البروفات ، فلاأكاد أفرغ منها حتى تسلم الى الطابع».. وقد بلغ من التهافت على طلب ألحانه أنه خشى أن لايجد وقتا يلبى فيه كل الطلبات .. **بل بلغ من ذيوع صيته وتألق نجمه كشخصية شعبية أنه عمد - دفعا لسيل الزائرين الذين يتقاطرون على بيته من كل حدب وصوب - الى وضع لافتة على باب حديقته مكتوب عليها : «بيتر ايلتش تشايكوفسكى ، يستقبل الزائرين أيام الاثنين والخميس بين الساعة الثالثة والخامسة ، ويتغيب عن البيت بقية أيام الاسبوع .. فالرجا أن لاتطرق الباب »**

◆ وجاب تشايكوفسكى جميع ممالك القارة الاوروبية !.. وحيثما قاد جوقة عازفى موسيقاه ، كان يقابل بحماسة شديدة .. وفى هذه الاثناء أضاف الى درره الرائعة أوبرات : « الملكة السباتى » و « أوجين أونيجين » ، فكتب الى صديقته يقول انه يعود من كل رحلة له محملا بأكاليل الغار !..

ولازمه المجد فى طوافه بباريس ، ولندن ، ودرسدن ، وبرلين ، وجنيف ، وهمبورج ، وبراغ ، وليبزج ٠٠ لكن مجده فشل فى اثارة انفعاله ، فكتب وهو فى قمة شهرته يقول لمدام فون ميك : «انك ياناديجا المخلوقة الوحيدة فى العالم التى تملك أن تجعلنى موفور السعادة !» واستطرد معبرا عن أمله فى أن لايتبدل ولاينتهى الحافز الذى يوحى اليها بمشاعرها نحوه ، أياكان ذلك الحافز : «لان خسارة مثل هذه سوف تكون فوق طاقة احتمالى !»

انه الآن يدنو من « قمة » النجاح ٠٠ فيتلقى دعوة كى يقود الاوركستر فى جولة تنتظم ستا من مدن أمريكا الرئيسية ، الشرف الذى لم يسبغ من قبل على أى موسيقى روسى !٠٠ وهكذا بدا أن السماء قد أدارت نحوه آخر الامر وجهها الباسم ٠٠!

الانقلاب الغامض ٠٠؟!

◆ ولكن ، فجأة ـ قبل أن يسافر الى أمريكا ـ أصابته صدمة مباغتة ، فى صورة خطاب من صديقته ناديجا فون ميك ، كتب بلهجة فاترة لم تستخدمها معه من قبل !٠٠ قالت فيه ان ثروتها توشك أن تصاب بانهيار كامل ، وأنها منذ الآن لن تستطيع أن تمده بأى مبلغ من المال ـ كأنما هو مايزال فى احتياج الى مالها ! ـ وأخيرا ان صلتهما الوثيقة يجب أن تتوقف من تلك اللحظة !٠٠ ثم اختتمت الارملة خطابها بعبارة خالية من الحرارة ، قالت فيها : « لاتنسنى ٠٠ وفكر فى من حين لآخر»

صدمت لهجة الرسالة تشايكوفسكى صدمة مروعة ، فكتب الى صاحبته على عجل ردا يعاتبها فيه : كيف أمكن أن تتصور امكان أن يؤثر قطع مرتبه فى صداقتهما الوطيدة ؟٠٠ وبعد أن ناشدها ألا تقلق على حالته المالية بعد تضخم ايراده ٠٠

عاد يعاتبها على عبارتها الاخيرة : « **هل تحسبيننى وضيعا الى حد أن لاأتذكرك الا حين أنتفع بمالك ؟٠٠ وهل أستطيع أن أنسى ، ولو لحظة واحدة ، كل مافعلته أنت من أجلى ، ومبلغ فضل صداقتك على وعلى موسيقاى ؟ » ٠٠ ثم ختم الخطاب بهذه العبارة : «اغفرى لى عجلتى فى الكتابة ، فان اضطرابى يعجزنى عن التفكير فى وضوح »**

لكن الذى ضاعف من أثر الصدمة على المسكين أن أنباء موسكو لم تنبىء بقرب انهيار ثروة فون ميك ، بل أكدت على العكس ان الثروة كالعهد بها ٠٠ بخير ! اذن فماسر هذا الجفاء المفاجىء ؟ ٠٠ ظل تشايكوفسكى يتعلق بخيط ضئيل من الامل فى أن يكون فى الامر خطأ لن يلبث أن ينكشف فيصله منها خطاب ايضاح واعتذار ٠٠ لكن الخطاب المنتظر لم يصل ٠٠ حتى حان موعد السفر الى أمريكا ٠٠

غصة ٠٠ تشوب الكأس !

وفى نيويورك استقبل الفنان استقبال الفاتحين ، وصار فى يوم وليلة معبود الجماهير ٠٠ ينحنى له فى احترام : أصحاب الملايين ، ورجال التعليم والصحفيون ٠٠ لكنه ود لو يستبدل كل هذا المجد «الاجوف» بكلمة ايضاح واحدة من ناديجا !٠٠ وشاخ مظهره فى خلال أسابيع ، فكتبت الصحف تصفه بأنه «رجل وسيم الطلعة ، فى نحو الستين » رغم أنه كان لم يكمل الخمسين !٠٠

ولم تلبث أن أتخمته عبادة أمريكا له فقفل راجعا الى موسكو ٠٠ دون ماكلمة من فون ميك !٠٠ كانت قد انقضت على رسالتها الموجعة ثمانية أشهر ٠٠ وأخيرا وصله خطاب قصير من صديق مشترك يقول فيه : «انها مريضة جدا ، تعانى

اضطرابا رهيبا ، ولن تستطيع أن تكتب اليك كماكانت تفعل» .. فكتب ردا عاجلا جاء فيه : «لست أقبل أن أكون سببافى زيادة آلامها .. لكن الذى يحز فى نفسى ويكاد يقتلنى ليس انقطاعها عن مكاتبتى ، وانما فقدانها كل اهتمام بى . كنت أتمنى أن تظل صداقتنا كما هى بعد انقطاع مالها عنى .. وكنت أعتقد أن الارض قد تنهار على من فيها قبل أن تتغير مشاعر ناديجا من نحوى .. لكن المستحيل قد وقع ، فأطاح بكل ثقتى فى الناس ، وفى الدنيا .. بل أطاح بسكينة نفسى الى الابد .. ومهما أدخر لى القدر من سعادة بعد الآن فلن تكون غير سعادة مسممة !»

ولم يصله على هذا الخطاب الاخير أى رد !

سيمفونية الدموع

◆ وكان القدر يدخر له فعلا مزيدا من المجد ، فى سنواته الاخيرة الحزينة ، فقد انتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، وسافر الى انجلترا فمنح درجة فخرية من جامعة كمبريدج .. وصار يتنقل من مكان الى مكان ، ويقود الاوركسترا فى الحفلة تلو الحفلة ، بتتابع سريع ، شأن من يريد أن يغرق شجنه وهمومه فى العمل ...

ثم اعتكف عن الناس .. قال لاخيه انه يضع سيمفونيته السادسة ، التى يزمع أن تكون مرثية جنائزية ، وأنشودة وداع لصداقة ماتت !... وكانت دموعه تسيل وهو يضع ألحانها .. وحين انتهت سماها «السيمفونية الباكية !»

وكانت آخر ماوضع ـ وكأنها الوصية التى خلع بها على العالم لهب عبقريته وجمال أحزانه !.. فقد اجتاح روسيا فى تلك الفترة ـ عام ١٨٩٣ ـ وباء الكوليرا ، فشرب تشايكوفسكى

قدحا من الماء غير المغلى · ويرجح بعض المؤرخين أنه فعل ذلك عامدا ··· فرقد ينازع الموت أربعة أيام ·· وفى اليوم الخامس استراح !

·· نهاية تكتنفها الشكوك والاسرار ، لحياة اكتنفتها الشكوك والاسرار ··· وعبقرية جادت عليها الاقدار بمواهب الآلهة ، وضنت عليها بقوى الانسان !·· ترى ماذا كان يجول فى رأس الفنان العظيم من أفكار حزينة ، كئيبة ، وهو على قيد الحياة ؟··· هكذا راح يتساءل ألوف المعجبين به وهم يمرون فى طوابير طويلة ·· أمام جثمانه !·· ولكن ·· لم ينقض أسبوعان حتى عزفت «السيمفونية الباكية» للجماهير لاول مرة ، بكامل روعتها ، فأحنى السامعون رؤوسهم ، وبكوا ·· فقد أدركوا مأساة السر الرهيب !

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة من (كتابى) - فى هذا الباب - الكتب النفسية التالية : ((كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية)) للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل .. ثم ((طريق السعادة الزوجية)) لفردريك برينك .. و((مركب النقص - أسبابه وعلاجه وامثلته عند العظماء)) تاليف و.ج. ماكبرايد .. و((حواء الجديدة - مرشد المراة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده)) للدكتور كورتنى بيل .. واخيرا ((كيف تقهر الخجل)) تاليف س.ه تيار

واليوم أقدم لك هذا الكتاب القيم : ((كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة)) تاليف جون كينيدى .. يليه فى الاعداد القادمة باذن الله : فن الحياة (لاندريه موروا) : فن الحب ، فن الزواج ، فن الصداقة ، فن الحياة العائلية ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن الشيخوخة ، فن السعادة - كيف تنمى شخصيتك ، كيف نجحوا فى الحياة .. الخ

كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة

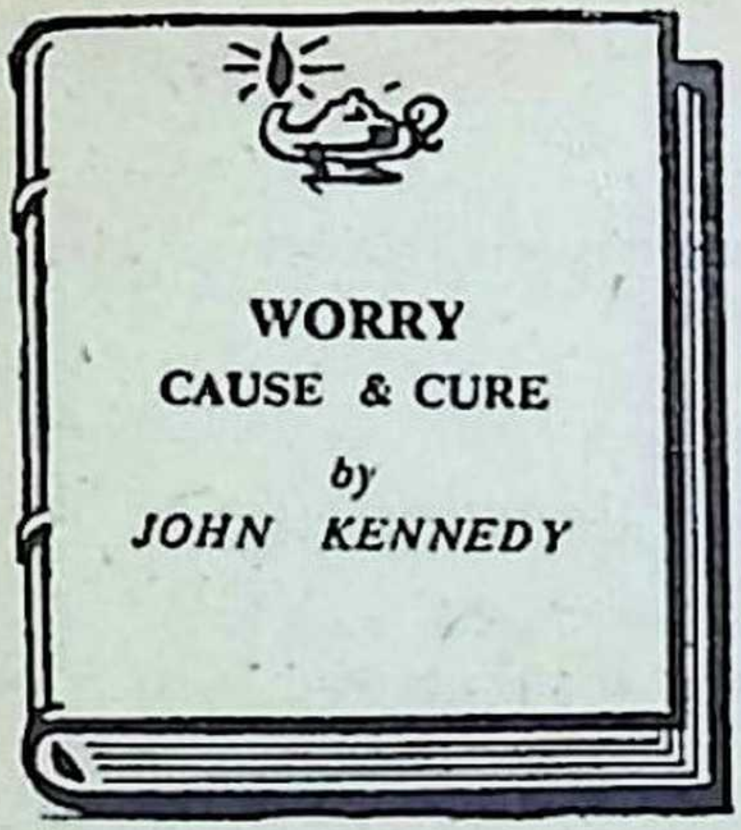

للعالم النفسانى
چون كينيدى

هــــذا الكتاب

◆ هذا الكتاب ان هو الا حديث ودى يدور حول مشكلة من اكبر المشاكل ، وهى مشكلة علاج القلق النفسى وسوء الاتجاه فى الحياة .. فليس موضوع هذا الكتاب هو النجاح المادى فى الحياة ، بل السعادة فيهــا .. !

واول ما ينبغى لمن يفتقد السعادة فى حياته أن يناقش نفسه ، ولا ياخذ موقفه من الحياة قضية مسلمة ... فذلك هو الخطوة الاولى نحو اصلاح النفس والاتجاه بها نحو السعادة الحقة . وما أصدق كلمة شكسبير على لسان يوليوس قيصر :

ـ ليس العيب فى طالعنا يا بروتس ، وانما العيب فى انفسنا ...

وهى كما ترى ترجمة امينة لقول المتنبى :

نعيب زماننا ، والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا ...

فمن كان مصرا على الرضى عن نفسه والقاء اللوم على الظروف ، فليدع هذا الكتاب جانبا ، فانه لم يكتب له ، ولن يجديه نفعا ! .. اما من اراد أن يمتحن نفسه ويصلــح من عيوبه التى تحرمه من الاستمتاع بالسعادة التى ينشدها ، فليقرأ هذه الصفحات ، فانها قد كتبت من أجله ..

والواقع أن القلق هو مشكلة هذا العصر ، ولعنة هذا الجيل الحائر . فما من احد من المعاصرين قد أعفى من هذا الداء المشترك ، لان الحياة العصرية شديدة الوطأة على أعصابنا ووجداننا .. وما من أحد مهما بلغت ثقته بنفسه قد اعفى من الشعور فى لحظة من لحظات حياته بقصوره عن حمل عبء الحياة والنهوض بتبعاتها الجسام .

وهذا الكتاب محاولة صادقة لازالة هذا الشعور ، ومساعدتك على مواجهة الحياة بعزم صادق ، ويقين راسخ فى بلوغ السعادة المبتغاة ..

لا مفر من المتاعب ..!

◆ يحسن أولا ألا نقيم مناهجنا فى الحياة على الاكاذيب . وانها لاكذوبة كبرى أن يظن انسان ـ كائنــا من كان ـ أنه مستطيع الهروب من مسئوليات الحياة وأعبائها ، فلكل انسان فى الحياة قسط من تلك المسئوليات ... ولكن الفــارق أكبر

الفارق بين الناس ، هو فى طريقة حملهم تلك الاعباء وقيامهم بمقتضياتها وتأثرهم بها .. فمنهم من تخور عزيمته فينشقى بها ، ومنهم من يواجهها فى اقتدار فيكون كفئا للقوارع قديرا على منازلتها ...

فلاتنتظر من هذا الكتاب أن يكون تعويذة تهـون عليك الاعباء ، بل توقع منه أن يكبر بك لتكون كفئا لها ، لاأن يصغر بها لتكون على قدرك !

ماهو القلق ؟

◆ ولابد أنك ـ أياكنت ـ تعانى كثيرا من القلق ، اما فى نفسك ، واما فى شخص أحد أحبائك . لهذا يعنيك أن تعرف هذا الداء وأعراضه ، لتعالج حالتك الخاصة ، أوتعـالج ذلك العزيز الذى يهمك أمره .

وأول مانبدأ به فحصنا هو تعريف القلق . وأناشخصيا أعرفه بأنه « جيشان فى العقل لايجد الفرصة للتحقق العملى ، أوتقصر الارادة عن تحقيقه عمليا » .

فالقلق أشبه بالمنشار المزدوج الذى يأكل الخشب ذهابا وايابا ، محدثا صوتا يحطم الاعصـاب . كذلك القلق : فانه يظل يأكل المشكلة التى يعالجها ذهابا وايابا دون أن يسـتقر ، محدثا فى الاعصاب ذلك الاثر المضنى !

فلوأننا اهتدينا الى طريقة تجعل عقلنا يدور حول المشاكل ـ اذا لم يتيسر له اختراقها وحسمها مباشرة ـ بحيث لايحدث ذلك الارهاق العصبى ، لانتهى القلق ، وحل محـــل الارهاق العصبى شعور بالراحة والاستقرار والطمأنينة .

فالطاقة المستنفدة فى القلق دليل على الحيوية الفائضة ، فماعلينا لكى نتغلب على القلق سوى أن نحـول هـذه الطاقة

الزائدة الى عمل ايجابى ، ولوكان بعيدا عن الموضوع الـــذى يقلقنا .. فان نقص المشاغل قد يكون من أسباب ميلنـــا الى الاخذ والرد مع أنفسنا فى أشياء بعينها ، وهذا الاخـذ والرد فى موضوع واحد هو هو القلق ..!

هل أنت سيىء التربية ؟

◆ وأول مايجب أن تسأل نفسك عنه هو « هل أنت سيىء التربية ؟ » .

وهذا السؤال قديبدو لاول وهلة «سخيفا» ، فيه شيءكثير من «سوء التربية»..ولكن الواقع أن الكثيرين جدا منا قدأسيئت تربيتهم ـ بالمعنى العلمى للتربية ـ فنشـأوا فريسة لامراض نفسية ، فى حين يسمى العرف تربيتهم الضارة هــذه تربية حسنة ، وهى سيئة للغاية ... وان كثرة عدد من أسـيئت تربيتهم منا تجعلنا لانرى بأسا كبيرا فى معالجة المشكلة بهـذه الصراحة ، لان سوء التربية ـ بهذا المعنى العلمى النفسانى ـ ليس «عارا» ، وانما هو «سوء حظ » .. فما من انسان منا قد أخذ رأيه فى اختيار أبيه وأمه ، والاب والام قد حاولا جهدهمـا اتقان التربية بقدر مافى وسعهما ، أوبقدر «معرفتهما» ..

وأول مظاهر سوء التربية فى هــذا المضمار أن يكون الوالدان الفاضلان قد درجا أثناء طفولتك على مناقشة متاعبهما أمامك ، مع ادمان القلق والاخذ والرد ، سواء كانت هــذه المتاعب مالية ، أوعائلية ، أواجتماعية ..

وثانى هذه المظاهر أن يكون الوالدان قد حرصـا على دوام تنبيهك الى الاستعداد لمواجهة الحياة ، مع الالحاح عليك بأن الحياة لاترحم ، وانها قاسية مليئة بالمتاعب التى تنوء بهـا الكواهل الشداد ... ثم يردفان ذلك النصح والتهـويل ، بقولهما مامعناه :

ــ واحسرتاه عليك ياولدى ! من ذا سيرعاك من بعدنا ؟..
فويل لك حين نذهب الى دار البقاء ، لانك لن تجد فى الدنيا بعدنا راحما ولامعينا !..

فاذا كنت ذامزاج ميال للقلق ، فحاول أن تنتهز أول فرصة تكون فيها هادىء النفس ، كى تراجع ذكريات صباك ، وتفكر فى الطريقة التى رباك بها أبواك ..

وقد يتضح لك من ذلك التفكير والتذكر أنك لم تكن موضع تدليل خاص أثناء طفولتك . فلا تظنن حينئذ أن تربيتك كانت سليمة ، وأن لا دخل لها فى مزاجك القلق . كلا ... فلعل « جو » البيت كان يوحى بعدم الاطمئنان الى الحياة ، بحيث استقر فى نفسك أنك لست كفئا لمواجهة أعبائها !.. أوكان يوحى بأن تصاريف الايام لاتسير على منطق العقل والعدل ، ومن ثم فلاسبيل الى الاستمتاع بالحياة فى مثل هذه الظروف .. الخ

ومن الجائز أيضا أن يكون أبواك قد غرسا فيك القلق وعدم الثقة بالايام ، أوبنفسك ، لابالتدليل ، أو بقلقهما الخاص ، بل بعدم ثقتهما فيك ، ودوام مراقبتهما اياك ، وعدم اطمئنانهما الى تصرفاتك .. حتى فى أسهل المشاكل !

ومن الجائز كذلك أنهما كانا من أصحاب المزاج السوداوى ، لايعيشان عيشة الفرح والمرح ، بل عيشة الجد الصارم ، كأن الحياة ثكنة عسكرية أو « محنة » مريرة .. وليست «مغامرة » أو «رحلة » أو « لعبة مثيرة » ، كما ينبغى أن ينظر اليها ..

◆ كل هذه أسباب محتملة لميلك الى القلق بحكم مزاجك.. فاذا اتضح لك سبب من هذه الاسباب ، وقلت فى نفسك مثلا : «هذا صحيح .. فقد كانت والدتى شديدة القلق ،

ميالة الى الاخذ والرد فى أتفه الامور ، فلابد أنى ورثت عنها ذلك المزاج الملعون !» .. **فلاتركن وتستسلم لهذا التفسير ، فليس ذلك سببا كافيا لان تكون أنت على غرار والدتك ، وأن يكون جيلك نسخة غير منقحة من الجيل السابق . كلا . بل ينبغى أن تكون خيرا من والدتك الفاضلة .. وليس هذا واجبا فقط ، بل هو ممكن أيضا .. وميسور الاداء !..** وليس فى الاصرار على التفوق على والديك والارتفاع عن مستواهما عيب أوخيانة ، أوسوء أدب ، بل ان هذا هو الواجب وسنة الكون على توالى الاجيال .. وثق أنه يسر والديك أن تكون خيرا منهما ، وأن تجد فى الحياة السعادة التى افتقداها !

الاسلحة التى تواجه بها مصاعب الحياة

◆ وأول مايجب عليك لكى تصل الى هذا المستوى ، أن تتخلص ممابذره والداك فى نفسك من أن الحياة ستؤذيك وتنال منك بوجه من الوجوه لاتستطيع ادراكه مقدما !.. وقد يكون هذا صحيحا ، ولكن ثق أن الحياة ليس لديها من الاسباب مايجعلها تعنيك أنت بالذات بالايذاء ، مع سبق الاصرار والترصد .. فليست هناك لعنة خاصة مصبوبة على أم رأسك .. وانما الحياة لاتعفى أحدا من أشواكها ، فنحن جميعا نقاسى منها ، ولست أنت وحدك المقصود بالالم ...

ولاتنس مايقابل ذلك الالم من لذة .. فالالم الذى فى طوايا الحياة باعث مثير للحركة والكفاح .. فاذا أوذيت ، قف على قدميك ورد اللطمة للدهر ، وثق أن فى طوايا نفسك قوى مدخرة نائمة يمكن أن تصمد لهذه المعركة ، وتضمن لك أسلحة طيبة وفرصا مناسبة للفوز ..!

وأهم هذه القوى هو الايمان ، والشجاعة ، والجلد ، والضحك ، والحب ... وحب الحياة هو أهم هذه النفائس

وأعلاها قيمة ٠٠ ومن العجيب حقا أن نلاحظ كيف تتلاشى أشد المتاعب اذا ما استقبلنا الحياة بقلب متفتح لهامتعلق بها٠٠!

ابتسم للحياة ٠٠ !

واذا كان هناك مثل يقول انه « لا خوف فى الحب » ٠٠٠ فثق أننا اذا أحببنا مغامرات الحياة ، أقبلنا عليها مستهينين بمشاقها ، كما يقبل هواة الانزلاق على تلك اللعبة رغم خطورتها ، وكما يهوى الفرسان صهوات الجياد وان كانت محفوفة بدق الاعناق وكسر العظام !٠٠ واذا تلاشى الخوف من الحياة تلاشى القلق ، فالقلق ماهو الاالمظهر الخارجى للخوف من الحياة ٠٠!

ولأحد ينكر طبعا أن الحياة شاقة محفوفة بالمكاره ، ولكن لايجب أن يحول هذا الشعور بيننا وبين الكفاح عن طيب خاطر واستمتاع ٠٠ ولتعلم تمام العلم أن الطبيعة أحسنت اعدادنا لهذا الكفاح الشاق ، ولكننا قد نجهل مصدر قوتنا الكامنة فنحسبها غير موجودة ٠٠٠ ولولا أن الطبيعة أعدتنا للكفاح ، بحيث نستطيع الانتصار على المتاعب والمشاكل ، لما أمكن لجنسنا البشرى أن يتقدم هذا التقدم الهائل منذ عصر الغابة الى عصر الذرة ، بفضل الشجاعة ولذة الكفاح والامل !

حذار من توتر الاعصاب !

◆ فاذا زاد عليك عبء الشعور بمتاعب الحياة ، فمعنى ذلك أن أعصابك وصلت الى درجة كبيرة من التوتر ٠٠ وعليك فى هذه الحالة أن توقف ذلك التوتر فورا ، بأن تجلس جلسة

استرخاء تام ، وتفرغ ذهنك من كل مشاغل الحياة الراهنة ، ثم تحاول أن تملأ صدرك أملا وثقة فيما يأتى به الغد ، لان مابين عشية وضحاها قد تتغير كل الاوضاع التى تشكومنها ..

واعلم أنك لن تستطيع السير فى موكب الحياة بدون أن تتعلم كيف تلهو بها ولاتأخذها مأخذ الجد تماما .. فلتكن دائما على استعداد لتقبل شروط « اللعبة » ، وهى أن تهزم وتنهزم ، وأن تصرع خصمك مرة ، ويصرعك خصمك مرة !.. فلاتحقد عليه فى هذه الحالة الاخيرة ولاتغتاظ ... فالنصر ليس وحده هو الغنيمة من الكفاح ، بل هناك غنيمة أخرى هى لذة الكفاح نفسه ولو أدى الى هزيمة ... كما يجرى المتسابقان مثلا فى سباق رياضى ، فمن غلب منهما كانت له لذة الغلبة ، ومن هزم منهما فقد استمتع بالجرى والنشاط . وعليه أن يجتهد كى يفوز فى المرة القادمة ..

ولعل من أحسن التشبيهات الحديثة ، أن الحياة مثل الشارع المزدحم بحركة المرور ، ونحن نقود سيارتنا فيه .. فعلينا أن نخضع لحركة المرور وقواعده ، بغير تذمر ، وأن نحاول الوصول بسلام الى هدفنا ، مع الاستمتاع بالقيادة قدر الامكان .. وطبيعى ان هذه القيادة لاتخلو بطبيعة الحال من خطر ، ولكنها أيضا لذيذة وممتعة ، ربما بسبب هذا الخطر عينه !.. واعلم أن هناك عشرات الآلاف فى نفس ظروفك ، فلا تكن أقل منهم فى الكفاءة والسرور بالكفاح ... وأهم مافى الموضوع أن تستمر فى الحركة ، ولاتقف ، ولاتتردد ، بل تربص حتى ترى ثغرة تنفذ منها ، والاأطبقت عليك السيارات الاخرى وشلت حركتك وسدت عليك الطريق !.. فالعمل المستمر ، وعدم التوقف ، وعدم التردد هو أساس الحياة . أما اذا ترددت ، ووقفت ، فانك ترتبك ... وهذا الارتباك هو أصل القلق . فثق بنفسك ، واستمر فى طريقك ، لايتطرق القلق الى نفسك أبدا !

اعراض القلق المفرط

◆ واذا كان الاستعداد العام للقلق أمرا مزعجا يجب مكافحته ، فان من القلق مايتطور وتحدث له مضاعفات ٠٠ وأهم هذه المضاعفات هى : سرعة الهياج ـ سرعة التعب ـ عدم الاستقرار ـ الارق ـ الاحلام المزعجة ٠٠

وهذه كلها ترجع الى سبب واحد فى جملتها : هو أننا نكبت شيئا شديد الوطأة على وجداننا الكامن ، بحيث نريد ألا يؤثر علينا أويطفو الى وعينا الظاهر ، فينجم عن ذلك الكبت المتصل خوف دائم من ظهور الشىء المكبوت ، وهذا الخوف هو علة القلق المضاعف الذى يعانى منه الشخص !

ويغلب فى هذه الحالة أن نجهل السبب الحقيقى لقلقنا ، فنعزوه الى الانهيار العصبى ، أوضغط العمل على الجهاز العصبى ٠٠ مع أن الواقع أن الجهاز العصبى بخير ، ولكنه لايقوم بعمله بحرية تامة ، لانه موزع الجهد بين مواجهة المشاغل اليومية الطارئة ، ومواجهة « الشىء المكبوت » حتى لايظهر !٠٠ فكأنه يحارب فى جبهتين ، احداهما ظاهرة والاخرى مستترة ٠٠ فالعقل فى هذه الحالة لايستطيع العمل المنتج الابنصف طاقته الكاملة ، لان النصف الآخر مشغول فى القيام بدور «الرقيب» بالنسبة لموضوع خوفنا المكبوت ٠٠ و «الرقابة » مهمة شاقة ، ولاسيما فى ميدان النفس ٠

فما أشبه العقل فى هذه الحالة الشاذة بشخص يقوم بعمله فى حجرة ما ، ولكنه فى الوقت نفسه مشغول بمنع شخص من الدخول من باب الحَجرة ، وهذا الشخص الذى يريد الدخول يدفع الباب بكل قوته ، والذى يمنعه يسند الباب بكل قوته أيضا ٠٠٠ فتصور بعد ذلك مبلغ تعب هذا الشخص في القيام أيضا بعمله اليومي في نفس الوقت ٠٠!

ولا عجب اذا أصبح الشخص فى هـذه الحالة سريع الهياج والتأثر ، سريع التعب ، غير مستقر ، حليف السهاد والارق ، تطارده الاحلام المزعجة كلما أغمض جفنيه للنعاس .. فالبخار المحبوس فى المرجل شديد الضغط على جدرانه ، ويجب فتح الصمام لتصريف بعض هذا البخار ، والا انفجر الاناء فى أية لحظة ..!

وذلك البخار الزائد الذى يضغط على جدران الاناء من الداخل ضغطا عنيفا هـو الذى يسبب القلق المفرط فى درجاته الخطيرة ..

الصراع بين العقل والغرائز

◆ فماهو هذا البخار الذى اذا اشتد ضغطه وهو محبوس نتج عنه القلق ؟ .. انه مايسميه النفسانيون « الغرائز » ... وهى دوافع الحياة الاساسية . فاذا عطلنا احدى هـذه الدوافع الاساسية للحياة لاى سبب من الاسباب ، أى كبتنا غريزة من غرائزنا أوأكثر من غريزة واحدة ، وتجاهلنا وجودها فينا .. اضطرت هى الى التنبيه الى وجودها والمطالبة بحقها من الرعاية ، بأن تحاول العمل والنشاط ، فيقوم «الرقيب » بشطبها أو منعها من الظهور والانتشار ... فتتمرد ، ويظهر أثر تمردها فى تعذيبنا بالقلق ، أوعدم الاستقرار الداخلى ، الذى يدل على نشوب «الحرب» .بين الغريزة المكبوتة والرقيب الـذى يمنعها ..!

ولايخطرن ببالك أن الغريزة متعنتة . كلا . فان الرقيب هو المتعنت . ولنتصور المناقشة التى تدور بينهما على الوجه التـالى :

العقل : أنا لاأستطيع الاعتراف بك ، ولن أسمح لك بالظهور ، فان ذلك يقلل من اعتباري لنفسي .

الغريزة : ولكنك يجب أن تعترف بى ، فانى جزء منك ومن فطرتك الجوهرية ، فاذا لم تستطع استخدامى فيما خلقت له ، فاستخدمنى فى شىء آخر ، ولاتبقنى قوة ناشطة ولكنها معطلة عن الحياة والعمل ...

فاذا أصر العقل بعد هذا على الشطب والمنع والمصادرة ، فالغريزة معذورة ان هى تمردت وأثارت المتاعب ، احتجاجا على اعتقالها فى تلك الحجرة المظلمة ... فمن الخير ألانكبت الغرائز أونتجاهلها ، سواء أكانت غرائز محبة ، أوطموح ، بل يحسن أن نعطيها فرصة النشاط والعمل ، مع التهذيب والتوجيه الصالح ... فهذه هى القاعدة الذهبية للقضاء على القلق ومتاعبه من أساسها ...

اليانصيب .. والمعجزات !

◆ ولكن الواقع أن القلق ليس قاصرا على متاعب النفس والكبت ، أوعدم توفيق التربية المنزلية فى تكوين الخلق المتين المكافح ، فهناك متاعب خارجية قد يتسبب عنها القلق ، وهى متاعب العمل أوالعائلة التى قد تستعصى أحيانا على الحل . وتلك أمور ليس لها علاج فى ذاتها عند الطبيب النفسانى .. وقلما يخلو منها انسان فى هذا العصر الحافل بالمزاحمة ...

فما العمل اذن فى مثل هذه الاحوال ؟

يجب أولا أن نوطن النفس على أن المسائل والمشاكل لاتحل بمعجزات ، فالسماء لاتمطر ذهباولافضة .. وانتظار المعجزات أوالتعلق بها مجلبة للقلق والهم ، لان تلك الآمال لن تتحقق ..

ولاتظنن أيها القارىء أن الناس لايؤمنون اليوم بالمعجزات؟ كلا . فهناك نسبة كبيرة جدا تتوهم أن اخراجها من مآزقها لايتم الا بمعجزة ، فتراهم يشترون أوراق اليانصيب ، أو يتعلقون بالمصادفات التى لاتتم أبدا ، أويدمنون المقامرة وسباق

الخيل .. الخ .. فتزداد متاعبهم بدلا من أن تخف .. فوق أنهم يصيرون دائما نهبا للقلق الشديد : « هل أربح هذه المرة ! هل تتم المعجزة الآن ؟ أم غدا ؟ أم متى يارب تفرجها من عندك ؟ »

وهذا السلوك هو أوخم وأسخف سلوك ممكن لمواجهة المشاكل !.. فالاولى بك أن تواجه الموقف بالعمل . « العمل » هو المفتاح .. أى عمل ايجابى .. فذلك خير من القلق والجمود والحيرة والابتئاس الذى يحطم الاعصاب ويميت النفس . وليكن رائدك قول الحكيم القديم : « على أن أسعى وليس على ادراك النجاح »

.. واياك و «الخوف» ، فالخوف قتال .. واحذر على الخصوص الخوف من الفقر ، فانه شر من الفقر .. وما أصدق الشاعر القديم هنا أيضا اذ يقول : « الناس من خوف الذل فى ذل ، ومن خوف الفقر فى فقر .. »

بل أكثر من هذا : ان الخوف من الفقر هو الكارثة ، وهو مصدر القلق !.. أما الفقر فى ذاته ، مجردا من الخوف منه ، فليس شيئا فى ذاته ولا خطر منه على الاطلاق ، من الوجهة النفسانية على الاقل ...

ونحن نذهب الى أكثر من هذا فنقول ان الفقر قد يكون دافعا وباعثا على الالهام ، اذا ماتقبله المرء بصدر رحب ، ولم ينفر منه أويستبشعه .. فانه عندئذ يحتمل متاعبه بشجاعة وصبر وايمان . فالفقر كالبحر ، لايؤذى بقدر مايخيف من يقف على الشاطىء ويجهل السباحة ... فاحزم أمرك ، واقفز الى الماء ، وواجه الموج ، تجد نفسك قد طفوت على السطح بسهولة ..!

فالخوف .. الخوف .. هذا هو مايجب أن تحذره وتتخلص منه ، فتتخلص من أهم أسباب القلق !

يد الله !

◆ وثمت عامل آخر يساعدنا على القضاء على القلق · الاوهو الايمان بالله ، وبأننا لانستطيع أن نصنع فى جميع الاحوال الا مافى وسعنا ، ولايكلف الله نفسا الا وسعها ·· وكل ماعليك أن تعرفه هو : ماذا تستطيع أن تصنع فى موقف ما ؟ ثم تمضى فى صنعه بحزم وثبات وطمأنينة ··· وقد تتغير الظروف فجأة فتجد أحوالك قد تحسنت وأنت محتفظ بشجاعتك كاملة ، وعندئذ تستطيع أن تحسن انتهاز الفرصة · وثق أن ثمت عناية عليا ترتب الامور ، فعلينا أن نعمل ، وأن ننتظر عملها أيضا فى الوقت المجهول لنا ·· ولكن لنكن دائما على استعداد ، فالله لايعين الا من يعينون أنفسهم ، ولاتطيش أحلامهم عند أول صدمة ··

كلام الناس ··!

◆ ومن الناس من يأتى قلقهم من جهة «كلام الناس» ، وماذا عساهم يقولون !·· وهؤلاء يحجمون عن العمل خوفا من أن يفشلوا فيسخر منهم الناس ، أوهم يتجنبون الاحتكاك بغيرهم خشية أن يجرح الغير شعورهم ·· أوخشية المجهول ·· الخ

·· وكل هذه أوهام فارغة ، فان الناس لايعنون أنفسهم فى الغالب الابأمورهم الخاصة ، ولسنا من الاهمية عندهم كما نتوهم ، فهم لايهتمون بنا الاقليلا ·· يضاف الى ذلك أن التردد ألم مستمر ، أما العمل والاقدام فانه ـ أياكانت النتيجة ـ أقل ألما من القلق والتردد والوسواس ··

وأما المجهول فانه ليس من السوء بالدرجة التى نتوهمها ·· فان المستقبل قد يكون خيرا من الماضى ، ثم ان المستقبل سيأتى بمجهوله وان ترددنا ، فخير أن يجدنا ناشطين للعمل من أن يجدنا جامدين حيارى خائرى العزم ··!

فدع التردد ، وأقدم على العمل ، متوكلا على الله ، وودع الخوف ، تودع القلق غير مأسوف عليه ٠٠

لذة القلق ٠٠!

◆ ولكن هل يودع كل انسان القلق غير آسف عليه حقا ؟ لانظن ذلك !٠٠ فلابد اذن أن فى القلق سحرا خاصا ، ولذة خاصة ، تجعل كثيرين من الناس يستمرئونه ٠٠!

وهذا السحر الخاص ان هو الاالتمتع بلذة المغامرة ومخاطرها ، بغير تورط فى المغامرة والخطر جديا ٠٠ فهذه أم عجوز تقول لابنتها عندما تخرج : « كونى حريصة على نفسك ، فانى سأظل قلقة من أجلك حتى تعودى ٠٠!»

وستجد الام العجوز لذة خاصة ، وهى جالسة وحدها ، فى تتبع ابنتها بعين الخيال ، وتوهم أخطار تحدق بها لاأساس لها من الواقع ، فذلك خير وأمتع من الاستسلام للسأم فى وحدتها ٠٠ فهذا القلق تعويض عن العمل المعطل والجمود عن الحركة والمغامرة ٠٠

وهذه الظاهرة ، ظاهرة تعويض الانسان عنعدم النشاط والتعطل بالقلق وتوهم المغامرات ، ظاهرة ملحوظة جدا فى بعض الاشخاص ، ولاسيما محبى العزلة المنطوين على أنفسهم !٠٠

ولذلك نجد من متع الحياة العائلية عند بعض الناس أنها توفر للشخص موضوعات يقلق من أجلها ويهتم لهاويشغل وجدانه بها !٠٠ وان كان الاجدى طبعا أن ينصرف الانسان من القلق الوهمى الى العمل المنتج ولو فى شىء تافه ، مثل الهوايات المختلفة ، أوزراعة الحديقة الخاصة ٠٠ الخ

واذا كان القلق على من نحبهم أمرا لامناص منه فى بعض الاحيان ، ولانستطيع دفعه ، نظرا لكون التعلق والحب من أهم

أسباب الاهتمام والخوف ٠٠ فاننا يجب أن نحذر من الافراط فى ذلك ، لانه يودى بالاعصاب ، ويؤثر فى الاطفال بصفة خاصة تأثيرا سيئا للغاية ٠٠

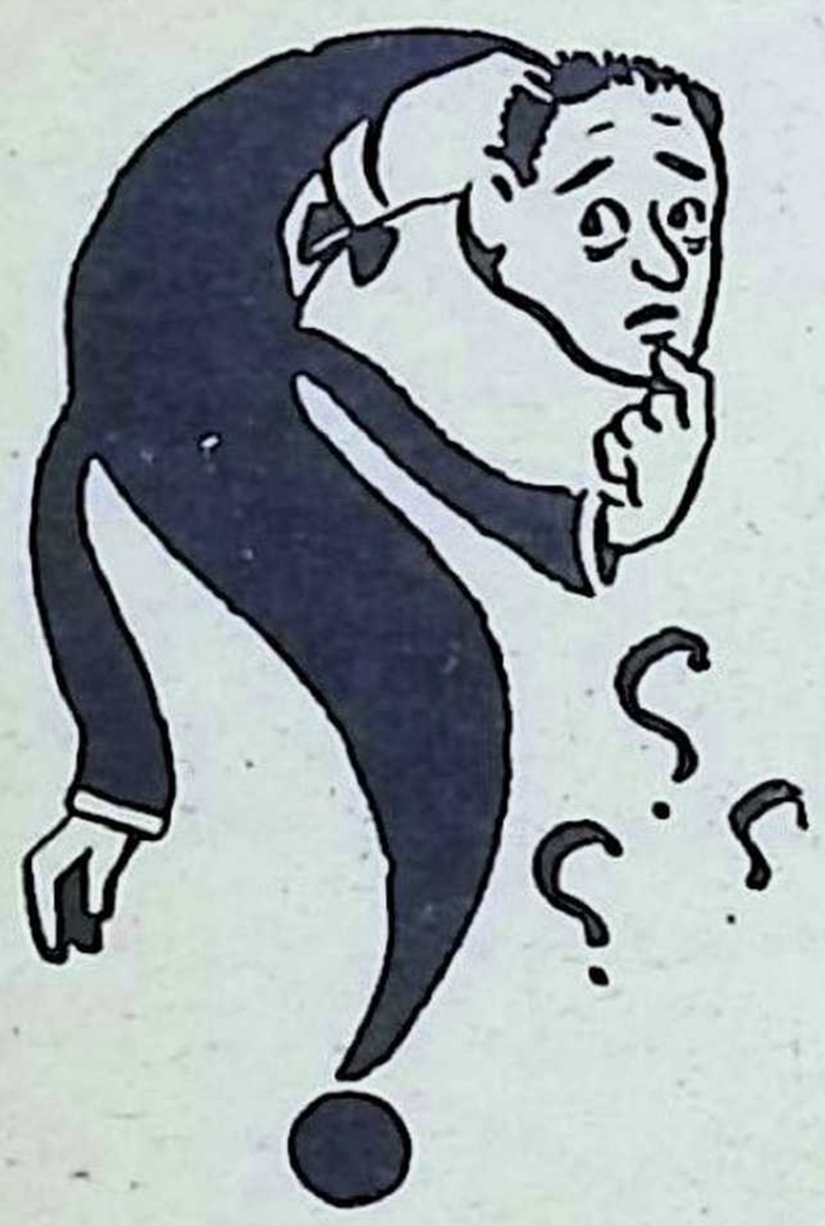

الخوف من الامراض !

القلق على الصحة ٠٠!

◆ وربما اتخذ القلق وجها آخر غير الوجه المألوف ٠٠ فالشخص الذى لايجد مايشغله ويستغل فيه حيوية غرائزه قد يضطره ذلك الكبت الى التماس منفذللقلق الغريزى دون أن يدرى ٠ ويغلب أن يكون ذلك المنفذ هو القلق على الصحة ٠٠ كأن يتوهم الشخص أنه مريض بأشياء لاوجود لها ، ويغلب أن تنحصر الشكوى فى فقدان الشهية ، والهزال ، والسأم ٠٠

والسأم هنا هو بيت القصيد ، لانه علة هذه الشكاوى كلها ٠٠ ففقدان الاهتمام بالحياة والاقبال عليها والتعلق بها والاستمتاع بمعركتها هو سبب هذا السأم ٠٠ وهو بعينه سبب فقدان الشهية ، وقلة النوم ٠٠ الخ ٠٠ فهذه كلها أعراض مرض واحد : هو عدم التلذذ بطعم الحياة ٠٠!

ومن الناس فريق آخر يتوهم أنه مصاب بداء خفى - مثل السرطان ! - وان الاطباء عجزوا عن اكتشافه ، ولهذا فهو ضحية عدم الفهم وفقدان العطف !٠٠ **وأعرف سيدة من هذا النوع ، كانت تشكو من أمراض وهمية خطيرة لاحصر لها ٠٠ بينما كان جسدها صحيحا فى الواقع ، ولاوجود لهذه الامراض**

الا فى رأسها !٠٠ وعجز الناس عن نزع هذا الوهم من عقلها ، فحاول أحدهم أن يقنعها أنها مادامت قد يئست من الحيـــاة ، فعليها أن تجعل مابقى منهارحمة للآخرين ، فتنهمك فى أعمال البر ٠٠ واقتنعت السيدة ، فاذا بها بعد أن انهمكت فى ذلك النشاط قد أحبته ، ثم اذا بها تنقطع عن الشكوى من أمراضها الوهمية المستعصية ٠٠!

فتغيير نظرة الانسان للحيـــاة ، واهتمامه بشىء خاص فيها ، هو أساس الشفاء فى هذه الحالة ٠ ولكن ذلك التغيـــير لايحدث بين عشية وضحاها ، بل لابدله من مجهـــود نفسى ضخم كى يتم ٠٠٠

والخطوة الاولى فى هذا التغيير أن تجعل محور اهتمامك فى الحياة شيئا خارجيا ، خارج نفسك ، فينتقل اهتمامك من داخل نفسك الى العالم الخارجى ، وبذلك يختفى قلقـــك الذى مانجم الا من فرط تفكيرك فى نفسك ٠

◆ ويجمل بنا هنا أن نقارن بين هذه السيدة الفـارغة من المشاغل ، حتى لقد اخترعت لنفسها أمراضا كى تشغل بهـــا نفسها المعطلة عن العمـــل ٠٠ وبين الام المكدودة المرهقة التى تسكن جسدها المضنى نصف دســـتة من الامراض ، ولكنها لاتجد من زحمة مشاغلها فسحة للمرض ، لانها لاتجد وقتـــا للتفكير فى نفسها وفى ماتحسه ٠٠٠

وقد تكون هذه الام مريضة بمرض خفى حقيقة ، سيظهر ويقضى عليها يوما ، ولكنها تعيش بلاخوف ، متحـــررة من القلق ، لانها دائما مشغولة بالبيت وشئون الاولاد ٠

التحسر على الماضى

◆ واذا كانت اللهفة على المستقبل أعظم أسباب القـــلق وأكثرها شيوعا ، فان من الناس من يقوم قلقهم عـــلى التحسر

على مافاتهم من الفرص فى الماضى ... فلايكفون عن التفكير فى ماكان يجب عمله ومالم يكن يجب عمله فى ظرف من الظروف.. وفى افتراض شتى الاحتمالات والمزاعم الخيالية ، فى غير طائل طبعا ..!

ولسنا طبعا من أنصار صرف النظر عن الماضى كلية .. لان النظر فى الماضى هو مصدر الاعتبار والاستفادة من التجارب لتحسين مسلكنا فى المستقبل . ولكن المغالاة فى التحسر على مافات والتفكير فى الماضى ، وتقليبه على شتى وجوهه ، أمر ضار ولانفع فيه بأى حال ...

لاتحاول معرفة الغيب !

فاذا لاحظنا أن الله هو خالق الكون ومرتب الحظوظ ، قل تحسرنا على مافاتنا ، لاننا لاندرى المجهول .. ولو اطلعنا على الغيب لفضلنا الواقع .. فليكن لنا فى الله ثقة ، ثم فى أنفسنا ، ولننظر دائما الى الامام ..

◆ فالى الامام دائما ، وابتسم للشدائد ، وتوكل على الله .. تتخلص من القلق وتشعر بلذة الحياة والكفاح فيها ، سواء غنمت منه أوغرمت ، فكذلك الحياة : يوم لك ، ويوم عليك ..!

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة من «كتابى» قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص : «اموك» او (غرام تحت سماء الشرق) لستيفان زفايج .. و«شجرة التفاح» او (قلب عذراء) لجون جالزورثى .. ثم «مرتفعات وذرنج» لاميلى برونتى .. و«التلميذ» او (عندما يضل الشباب) لبول بورجيه .. واخيرا «احدب نوتردام» لفيكتور هوجو ..

واليوم اقدم لك فيما يلى قصة بول بورجيه الاخرى الخالدة «جريمة حب» .. يليها فى الاعداد التالية من كتابى باذن الله اروع ما كتب اساطين القصة العالمية المحدثين ، الى جانب مجموعة منتقاة من القصص (الكلاسيكية) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون ان تتاح لك من قبل فرصة قراءتها ، ومنها : جين اير (شارلوت برونتى) ايام بومبى الاخيرة (لورد ليتون) مانون ليسكو (بريفو) ايفانهو (والتر سكوت) صورة دوريان جراى (اوسكار ويلد) اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) سافو (الفونس دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (اميل زولا) تاييس (اناتول فرانس) الجريمة والعقاب (دستويفسكى) الحرب والسلم (تولستوى) .. الخ

الحياة قصة

روائع القصص العالمى

UN CRIME
D'AMOUR
par
PAUL BOURGET
پول بورجیه
جرم حب!

هـــذه القصة ٠٠٠

لقد وصفها مؤلفها « بول بورجيه » بأنهـــا « جريمة حب » ٠٠٠ وأنا أوثرأن أسميها «مأساة حب » !٠٠ لانوقائعها تثيرك وتتركك حزينا ، أكثر مما تثير فى نفسك على بطلتهـــا حقدا دفينا !٠٠ ان الزوجة التى تخون عهد الزوجية بغيضـة الى النفس ، محكوم عليها مقدما بالادانة ٠٠ غير أننى لم أشفق على زوجة خائنة قدر اشفاقي على «هيلين» بطلة هذه المأساة ٠٠ ولم أرث لحال مذنبة قدر رثائى لحالها ، ولا حزنت لمآل خاطئة مثل حزنى لمآلها !

و «بورجيه » حين يعرض قضيتها ، ويروى قصـــتها ، لايطلب رد القضاء عنها ٠٠ ولكنه يطلب اللطف فـــيه !٠٠ فانه اذا كان القانون يتلمس للمجرم المتلبس بعض المعاذير ، ويرى فى «الباعث» على الجريمة مايصح معه طلب « الظـروف المخففة » ٠٠ فان « هيلين » ـ هذه الزوجة المذنبة ، الخاطئة ، الخائنة ـ لأولى بهذه الظروف المخففة من المجرمين أجمعين ٠٠!

❖

وأشخاص القصة الرئيسيون ثلاثة : الزوج ، واسمه «ألفريد شازيل » ٠٠ والزوجة ، واســـمها «هيلين» ٠٠ ثم «صديق العائلة » ، واسمه (أرمان) أوالبارون دى كيرن ٠٠٠

◆ **أما** الزوجة ـ هيلين ـ فامرأة فارعة القوام ، لينـــة الاعطاف ٠٠ ذات خصر مستدير نحيل ، ويدين بضـــتين صغيرتين ، وقدمين دقيقتين رقيقتين ٠٠ يمتزج جمال وجهها بجمال قامتها امتزاج نغمين جميلين متسـقين متجاوبين !٠٠ شعرها كستنائى فاتن ، تنقسم جدائله المصففة بمفـــرق رقيق ٠٠ وعيناها سوداوان ، يشع منهماوهج العاطفة المشبوبة

فى أنفة وتحفظ وكبرياء ٠٠ وأنفها دقيق ، يتصـل بجبـين وضاح ٠٠٠

◆ **وأما** الزوج ـ ألفريد شازيل ـ فشاب فى الثانيـة والثلاثين ، من أسرة متوسطة ٠٠ شق طريقه فى الحيـاة فى كد وجلد وتعب ، فحاز درجات علمية ممتازة فى الهندسـة ، وظل يتدرج فى سلم العمل حتى عين أخيرا مهندسـا فى بلدية باريس ٠٠ وكانت تبدو عليه رغم صغر سنه علامات الاجهاد ، وندر من شيخوخة مبكرة ٠٠ فهو يكاد يكون أصلع الرأس ، شاحب اللون ، نحيل الكتفين ٠٠ هندامه دائما أشعث ، لقلة عنايته به ٠٠ وليس فى حركاته وايماءاته شىء من اللبـاقة أوالكياسة ٠٠ غير أنك تتبين فى حـدقة عينيه طيبـة وبراءة وسذاجة ٠٠٠

وحياة ألفريد شازيل تسير على وتيرة واحدة ، فهى حياة راكدة مملة ، تنقضى فى عمل متواصل شاق ٠٠ وجهل مطبق بكل ما لايمت الى العمل بصلة ٠٠!

وان نظرة واحدة الى الزوجين ـ ألفريدشازيل ، وهيلين ـ لتكفى كى تدلك فى غير عناء على أنهما ليسا من طراز واحـد ولا نسيج مؤتلف ٠٠ فالتنافر الجسمانى بينهماكبير ٠٠٠ وأما فى اتجاهات التفكير والعاطفة فبينهما فوارق جسام ، ليس الى ازالتها من سبيل : فهما زوجان متعارضان ٠٠٠ وحبيبـان متصاولان !

◆ هل كان هذا التنافر الواضح يبدو للشخص الثـالث الذى كان يدعى « أرمان » ؟٠٠ لقد كانت تربط «ارمان» بهذه الاسرة وشائج صداقة متينة لاكلفة فيها ٠٠ وكان الفارق بين ألفريد وزوجته هيلين يقابله فارق آخر بين ألفريد وصـديقه أرمان ٠٠ فبقدر ماكان الاول يحتفظ بقلبه بكرا من كل لوثة ، كانت تبدو على الثاني أمارات الشـاب الذى عاش حيـاة

حافلة بالمغامرات ٠٠ وبقدر ماكان الزوج يبدو أكبر من سنه ، كان الصديق يبدو أصغر من سنه ، رغم أنه كان هو الآخر فى الثانية والثلاثين ، ينحدر من أسرة عريقة ـ فهو ابن نبيل يدعى البارون دى كيرن ! ـ وهو حسن الهندام ٠٠ جميل القوام ٠٠ يزين اصبعه بخاتم ثمين ٠٠ ذو يدين بضتين دقيقتين ، وشارب رشيق رقيق يرتسم فوق شفة تفتر عن ابتسامة ساخرة !٠٠ وكانت عنايته بهندامه تدل على أنه شاب غنى متعطل ، حياته كلها فراغ ، ومن عينيه تشع نظرات قلقة ٠٠ حادة !

الفصل الاول : قبل الخطيئة !

◆ **تبدأ** القصة فاذا أبطالها الثلاثة مجتمعون ذات مساء فى حجرة استقبال جميلة التنسيق والاثاث ، بمنزل الزوجين الكائن فى شارع «لاروشفوكو» بباريس ٠٠ واذا الزوج «ألفريد شازيل » يبتدر جليسيه قائلا : « أنها الساعة العاشرة الآن ٠٠٠ هل يتحتم على أن ألبى الليلة دعوة أسرة ملبورن ؟٠٠ ترى ماذا يحدث ياعزيزتى هيلين اذا أنالم ألب هذه الدعوة ؟»٠٠

فتجيبه زوجته : « انه يكون منا عقوقا نحو أناس كانوا دائما معنا نموذجا لحسن المعشر منذ أن قدمنا الى باريس ٠٠٠ آه ، لولم يكن هذا الصداع لجئت معك !٠٠ أرجو أن تعتذر لهم عن تخلفى ٠٠ هيا تشجع واذهب !»

ونهضت هيلين فمدت يدها الى زوجها ، الذى جذبها اليه وقبلها ٠٠ ولم يكن من العسير أن تلمح على وجه هيلين ظلال الالم الذى تحملته من وطأة هذه القبلة ٠٠!

ومد ألفريد يده الى صديقه أرمان مصافحا وهويقول له : « سوف لاأغيب أكثر من ساعة ، فأرجو أن ألقاك هنا عندما أعود ؟!»

وانصرف ٠٠ فبقى أرمان ومدام شازيل منفـــردين فى الغرفة ، وقد خيم عليهما صمت طال بضـــع دقائق ، كانت هيلين أثناءها لم تزل واقفة فى الحجـرة وعيناها مصوبتان الى ارمان ٠٠ الذى كان يجيب على نظراتها اليه بابتسامة ، وهو ينفث دخان لفافة التبغ فى سماء الغرفة ٠٠

وما أن ابتعدت العربة التى أقلت الزوج حتى تقـــدمت هيلين الى المقعد الذى كان ارمان مستلقيا عليه ، وبحركة لبقة انتزعت من فمه لفافة التبغ وألقت بها فى النار ٠٠ ثم جثت على ركبتيها أمامه وأحاطت رأسه بذراعيها و ٠٠ طبعت عـلى شفتيه قبلة ، وهى تقول له فى دلال :

ـ أرمان ، هل تحبنى ٠٠ اليوم ؟

ـ وأنت ٠٠ هل تحبيننى ؟

ـ آه ياخبيث ! أنت لست فى حاجة لان أقولها لك حتى تصدقنى ؟!

ـ أعلم أنك تحبيننى ٠٠ ولكن ليس الحب الذى يمكنك من المضى الى آخر الشوط ٠٠؟!

قالها بلهجة ساخرة ٠٠ ولم يكن عســيرا على هيلين أن تدرك مغزى ايماءته هذه ٠٠ ومعناها ٠٠ ومرماها !٠٠ فأجابته على الفور :

ـ أنت ممعن فى التحدى يا ارمان ؟ ألاتستطيع الوثوق من عواطفى بدون هذا ٠٠ «الدليل» ؟؟

ـ «دليل» ؟٠٠ أتسمين هذا دليلا !؟ ان الهبة الكاملة المطلقة لسيت «دليلا» ٠٠ انها الحب نفسه ! ومادمت تأبين أن تكونى لى «كلك» ، فاننى لاأملك غير أن أشك فى حقيقة حبـك لى ٠٠ فكثيرا مايتخيل الانسان أنه يحب آخر ، وهو فى الحقيقة لايحبه !٠٠ فاذا كنت تحبيننى كما تقولين ، أوكما تتوهمين ، فهل كان يمكن أن ترفضى ذلك الموعد الذى طلبتـــــه منـك عشرين مرة ؟ كلا ! بل كنت تلبين طلبى مرحبة ، مرضـاة لى

ولك معا ٠٠!

ـ أرمان !

قالتها ولم تزد ٠٠ ثم نهضت وقد احمرت وجنتاها وأخذت تذرع الحجرة ذهابا وجيئة دون أن تنظر اليه ٠٠ **فقد دنت الساعة الحاسمة التى ليس منها مفر !٠٠ وكانت هيلين تعرف ذلك ، فقد انقضى أسبوعان وهى تصاول ارمان وتناجزه ٠٠ وكانت تحس بأنها تخرج من كل مناجزة منهزمة خاسرة ٠٠ وكانت تخشى ان هى أصرت على رفض مايطلب أن يفقد ثقته فى حبها ، وهى التى كانت تحبه حبا ملك عليها قلبها ٠٠ حب المرأة التى تريد أن تبذل كل شىء لتمنح السعادة لحبيبها !٠٠ وكانت هيلين تعلم بأنه سيتعين عليها أن تواجه بين لحظة وأخرى أمرا خطيرا ، تواجه الخطيئة المحتومة !٠٠ فاعتزمت أن تقدم نفسها قربانا لحبيبها ٠٠ ولكم ودت لو كانت حرة من كل واجب ، وعلى الاخص من واجبها نحو ابنها ـ ذلك المخلوق الوحيد الذى لاتستطيع أن تضحى به من أجل عشيقها ! ـ اذن لماضنت على «ارمان» بشىء ٠٠ بل لفرت معه الى آخر الدنيا ، لتقدم له حياتها كلها هبة خالصة !**

◆ كانت هذه الافكار تساورها وهى ماتزال تروح فى الغرفة وتجىء ٠٠ ثم استقرت نظرتها على حبيبها ، وقالت له ٠٠ بلهجة من اعتزمت أمرا :

ـ ارمان ! لاتبتئس ! اننى أرضى بكل ماتريد !؟٠٠ ترى هل يسعدك هذا ؟

ـ ياله من سؤال ؟ ألم تنظرى الى وجهك فى المرآة ؟ ألم ترى سحر عينيك ٠٠ وخديك الوردين الناعمين ٠٠ وشعرك الانيق الدقيق ٠٠ وفمك الشهى العذب ؟

قال هذا وهو يضمها الى صدره بقوة ، حتى كادت تختنق ٠٠ كان كمن ينبش بنظراته الجائعة مفاتن جسمها ، مابان منها وما استتر ٠٠ ماوضح منها وماغاب عن النظر !٠٠

ولمحت هيلين على وجهه دلائل الاقدام على عمل جرىء، خطير!٠٠ فجمعت أطراف شجاعتها لتتخلص منه ، ولم تجد ماتدفع به هذا الخطر الداهم الامسارعتها بالقول :

ـ سأكون لك غدا ٠٠ اذا أردت !

كان ارمان كمن أفاق من نشوة غاشية عند ماسمعها تنطق بهذه الكلمات ٠٠ فسألها على الفور : « أين تريدين أن نلتقى ؟ هل فى منزلى ؟ ان من السهل على أن أتخلص من خادمى غدا بعد الظهر !»٠٠ لكنها أجابته مسرعة : «لا ! لا ! ليس فى منزلك !»٠٠ **فقد لاح أمام ناظريها فى تلك اللحظة المرهوبة شبح مخيف : خيل اليها أنها ترى أمامها النساء اللواتى سبقنها الى منزل ارمان ٠٠ أولئك النسوة اللواتى تقف صورهن المفزعة دائما حاجزا بين المرأة ومن تحب، وكأنها نذر لها بمصير كمصيرهن ، وعاقبة مثل عاقبتهن !٠٠ ولئن كانت مظاهر الحب المادية واحدة فى كل الحالات ، فلاأقل من أن يجرى فى هيلين حكم القدر على أثاث غير هذا الاثاث ٠٠!**

وعاد ارمان يسألها : «هل تريدين أن أطلب الى أحد أصدقائى أن يعيرنى منزله ٠٠؟!

غير أنها عادت الى الرفض ٠٠ فقد لاح أمام ناظريها شبح آخر مخيف : خيل اليها أنها تنصت مقدما الى الحديث الذى سيدور بين الصديقين !٠٠ أنها قد كانت حتى الآن امرأة شريفة ٠٠ واذا كانت اليوم قد أحبت فهى ترى أن حبها من طراز أنقى من ذلك الذى سيتخيله الصديق المجهول ، صاحب المنزل المعار !٠٠ انه لن يرى فى طلب ارمان الا مغامرة لاتتميز عن سائر مغامراته !٠٠

واعترتها رعدة وهى تتخيل كل ذلك ، فعادت تنظر الى ارمان ٠٠ ولو استطاعت أن تقرأ ماكان يدور فى مخيلته لحظتئذ لارتعبت !٠٠ انها لم تكن المغامرة الاولى لارمان ٠٠ وكان هو يعتقد أنها بالنسبة لهيلين بدورها ليست أول سقطة !٠٠

انها قد طالما قالت له انه حبها الاول وحبيبها الاول ، ولكن أى دليل تستطيع به أن تثبت صحة ماتقول ؟٠٠ انه رجل تعود الكذِب على النساء ، وتعود أن تكذب عليه النســاء ، فلماذا لايتشكك فيها ولماذا لايرتاب ؟

وعاد يسألها :

ـ ما رأيك لو أثثت لك شقة صغيرة جديدة ؟!

لكنها عادت الى الرفض !٠٠ فانها وان كانت لم تفتــأ تحلم بأن يكون لها عش خاص ، الاأنها كانت تخشى اذا هى قبلت هذا العرض أن يشك هو فى أنها تقبله رغبة منهــا فى كسب الوقت واطالة الامد على موعد اللقاء ٠٠ وفوق ذلك فقد كانت تتهيب مقدما اثارة فضول سكان المنزل ، الذين سـوف تكون بالنسبة لهم دائما : المرأة المقنعة التى يختلسون النظر اليها ، عساهم يعـرفون من تكون !٠٠ ومن هنـــا أجابت صاحبها : «لاتسىء الحكم على يا ارمان ! افهمنى جيــدا ٠٠٠ اننى أريد أن أكون لك فى مكان لايبقى منه بعد ذلك أثر !٠٠ ان تلك الشقة التى ستؤثثها لى ٠٠ ماذا سيكون مصيرها اذا ماعزفت يوما عن حبى ؟ لست أطيق مجرد التفكير فى هذا ٠٠ اننى أســـتحلفك من الآن أن لاتؤلم مشــاعرى ٠٠ افهمنى يا ارمان ، افهمنى !؟»

ونهضت هيلين من مكانها فمضت الى حيث كان يجلس ارمان ، وقالت بعد تنهد عميق :

ـ آه لوكنت أستطيع أن أعرف ماذا يدور فىرأسك ؟ ان فىهذا الحيز الضيق سعادتى ، كما أن فيــه يكمن شقائى !

ـ لو أنك استطعت قراءة مايدور فى مخيلتى لما رأيت غير صورتك ٠٠

ـ سأقرأ مايدور فيهاغدا ٠٠

ـ غدا ؟ اننا لم نتفق بعد على المكان ٠ ولم يبق الاالشقة المفروشة ٠٠ أوالفندق ؟

الشقة ٠٠ أوالفندق ؟ كلمتان انتفضت لدى سماعهما هيلين !٠٠ ان عار الزنا تمثل لها مجسما بشعا فى هاتين الكلمتين ٠٠ انها ستدلف الى مكان دلفت اليه من قبلها كثيرات !٠٠ ما أقبح هذا الاطار الذى سيحيط بحبها ؟ أثاث استخدم لغيرها من النساء ، لايحمل طابعها ولااسمها !٠٠ انه تلوث على أى حال ، وفى كل مكان ٠٠ غير أن التلوث فى الفندق قد يكون أقل بشاعة !٠٠ وكانت تعتقد أن ارمان سيتورع عن أخذها الى فندق سبق أن قاد اليه غيرها ٠٠ فجمعت ماتبقى لها من شجاعة وقالت :

ـ هل تستطيع العثور على هذا الفندق صباح غد ؟

ـ اننى أعرف منزلا مناسبا للغاية كان ينزل فيه أحد أصدقائى من الانجليز ٠٠ حسنا ، سوف أرسل اليك غدا بين الساعة العاشرة والحادية عشر صباحا كتبا تضم قصاصة ورق صغيرة فيها العنوان ورقم الشقة ، كما لو كنت قد سألتنى اياهما لاحدى صديقاتك !٠٠ وعليك باحراق الورقة فى الحال ٠ ويمكنك الحضور فى أى ساعة تشائين ، فسوف أكون فى انتظارك طيلة بعد الظهر ٠ ولن أغضب اذا لم تحضرى ، لانى سأعلم أن عذرا طارئا قهريا عاقك عن الحضور ٠٠٠

◆ **كان** هذا الحوار يدور بينهما فى حجرة الاستقبال ، حين سمعا صوت عربة تقف بباب المنزل ، منبئة بعودة الفريد ٠٠ فهمست هيلين لصاحبها : « الوداع ياحبيبى ! » ثم تناولت كتابا وراحت تتظاهر بالقراءة فيه !٠٠ واذا بألفريد يدخل الحجرة ويتقدم نحو زوجته ٠٠ فأحس ارمان وهوينظر اليه بوخزات مؤلمة فى جنبيه ، لا لانه فى طريقه الى خيانة صديق عرفه منذ الطفولة ، ولكن لرؤيته هيلين فى طريقها الى خيانة هذا الرجل الطيب المطمئن الواثق ٠٠!

ما أقبح أنانية الرجل ؟! انه يدفع المرأة الى السقوط ، ثم يحتقر ضحيته التى أغواها ٠٠ ولايحتقر نفسه لانه اغواها ؟!

قال ألفريد وعلامات الضجر بادية عليه : « لقد قضيت سهرة ليس فيها شىء من المتعة ، فبماذا تعوضينني ياهيلين ؟»

لكم كانت هيلين تود فى تلك اللحظة لو عرف ألفريد الحقيقة !٠٠ ولو أن على بعد خطوات منها كان هناك سرير صغير تحيط به ستائر بيضاء تظلل طفلها الصغير البرىء : هنرى !٠٠ كيف يمكن أن تكون صورة هذا الطفل أضعف من أن تثنيها عن المضى فى هذا الطريق الوعر الاعوج ؟

سارت هيلين بخيلاء نحو زوجها فقدمت له جبينها كى يقبله ٠٠ ثم أجابت على ملاحظته بقولها : « هكذا الرجال دائما ٠٠ لكى تؤدى واجبك نحوهم يجب أن تدفع لهم الثمن بلاابطاء ٠٠!»

الفصل الثانى : الموعد الاول !

◆ **كانت** الساعة الحادية عشر والنصف مساء عندما غادر ارمان دى كيرن منزل هيلين وألفريد، الكائن بشارع لاروشفوكو٠ وكان الجو صافيا والسماء مرصعة بالنجوم ، فرأى أن يقطع المسافة الى بيته فى شارع لنكولن ـ بالشانزيليزيه ـ سائرا على قدميه ٠٠

لقد كان أول لقاء له مع هيلين منذ أقل من عام ٠ وكان قد ترامى الى سمعه قبل ذلك شىء عنها من زميل ثالث اسمه «لوسيان ريوم » ، لم يتورع عن أن يتناول هيلين بلسانه مختلقا عليها الاكاذيب ، واصما اياها بأنها تخون زوجها مع رجل اسمه «دىفاراد» ، ومع كل عابر سبيل !

وكان سبب حقد لوسيان ريوم على هيلين أنه حاول

مغازلتها فنهرته وطردته ، الامر الذى أحفظ قلبه عليها فراح ينهش فى سيرتها كما تفعل ذوات المخلب والناب !٠٠ وكان فى ارمان ضعف غريب يجعله اذا سمع قدحا فى أحد لاينساه بعد ذلك قط !٠٠ فلما تقابل لاول مرة مع هيلين وزوجها بعد ذلك بعشرة أشهر فى باريس وثبت الى ذهنه تلك الاكاذيب التى سمعها عن زوجة صديقه من ذلك الحقير المدعو لوسيان ريوم ٠٠ فراح يحدث نفسه : **انه لايزعم أنه قد أحب هيلين ، فقد كان به عجز مطلق عن الحب !٠٠ غير أنها فاتنة ، ومادامت كذلك ٠٠ فلماذا يتورع ؟ انها ان لم تكن له ، فستكون لغيره !**

❖

وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى سلم رسول الى مدام شازيل حزمة صغيرة مرسلة اليها من « البارون دى كيرن » تحتوى على كتابين وخطاب ٠٠ وقرأت هيلين الخطاب فاذا نصه كالآتى : «اذا كانت صديقتك القادمة من الريف قد قررت الحضور الى باريس ، فان أصلح مسكن عثرت لها عليه هو شقة مؤثثة فى شارع استوكهلم رقم ١٦ ٠٠ فى الطابق الثانى ، الى اليمين !»

شعرت هيلين برعدة عند قراءتها هذه الاسطر ، وكانت خارجة لتوها من الحمام ، جالسة على مقعد فى غرفتها الخاصة — فقد صارت لها غرفة خاصة منذ بدأت تحس بـ « تعذيب » من الرقاد فى فراش واحد مع رجل لاتحبه ! — وكان طفلها هنرى يلعب الى جوارها فى براءة الملائكة ، وهى شاردة الفكر شبه مذهولة مماهى مقدمة عليه !٠٠ وبينما هى مستغرقة فى تفكيرها لاتكاد تعى شيئا مما حولها ، غير موعدها مع ارمان ، اذا بها تنتفض مذعورة ٠٠ فقد دخل زوجها الحجرة دون أن تشعر ، وفاجأها بقبلة على عنقها ٠٠ ثم قال لها مداعبا : «ياكسولة ! هل تعرفين كم الساعة الآن ؟ انها الثانية عشر

الا ربعا ٠٠ ماذا تقـرئين ؟ روايات ؟ دائما روايات !٠٠» ثم تناول الكتابين اللذين بعث بهما اليها «دى كيرن» واستطرد يقـول : ولكنهما جديدان لم تفض صفحاتهما !٠٠ فيم اذن قضيت هذا الصباح ؟!

– فى اعداد بعض الاوراق ومراجعة الحسابات ٠٠٠ هل لك أن تدق الجرس ياعزيزى ؟ انى أريد تمشيط شعرى واعداد نفسى للخروج فى خلال عشر دقائق ٠٠

فسألها الزوج المسكين :

– هل بقائى الى جوارك يضايقك ؟

– ليس كثيرا فى الوقت الحاضر !

٠٠ وواصلت الزوجة زينتها أمام المرآة ، بينما ظـل ألفريد واقفا بالقرب منها يقرأ صحيفة ٠٠ **فكان حفيف ورقها كافيا لازعاج هيلين ، لمجرد أنه يذكرها بوجوده ! آه لو كان ارمان مكان ألفريد فى تلك اللحظة ؟! اذن لاشركته معهـا فى زينتها ، فان هذا الاشراك بقدر مايلذ لها فى حضرة من تحب ، بقدر ماهو بغيض الى نفسها فى حضرة من تكره ٠٠!**

وكأنما طال المقام بألفريد الى جوارها ، حتى أحسـت بالضجر فقالت فى عصبية مكتومة : « لست أعلم لماذالم تحضر الخادمة التى دققت لها الجرس !» ٠٠ ثم نهضت فدفعت بألفريد الى خارج الغرفة وأغلقت عـلى نفسها البـاب ٠٠ كى تبدل ثيابها !

ان الاحتشام عند المرأة يبدأ دائماحيث ينتهى الحب ٠٠!

❖

وبعد قليل جمعتهما مائدة الغداء ٠٠ وكانت هيلين شاردة الفكر ، لاترى ولاتسمع شيئا !٠٠ فقال لها زوجها :

– انك لست فى حال عادية ياهيلين ؟ ماذا بك ؟ هـل أنت مريضة ؟

ـ أنا ؟ أبدا ! بل اننى على النقيض أحس اليـوم بسرور وبهجة لم أحسهما منذ زمن طويل !

أتراه يرتاب فى شىء ؟٠٠ فقد راح يسألها :

ـ ماذا تصنعين بعد ظهر اليوم ؟

وهنا صاح الطفل : « هل تأخذيننى معك يا أماه ؟ » فأجابته : « لا ! لاياصغيرى » ٠٠ وتحاشت الجواب على سـؤال زوجها !٠٠ بل عمدت الى سؤاله : « هل الجو صحو اليوم ؟ » فأجابها بالايجاب ، ثم قال : « تستطيعين ـ اذا أردت الخروج ـ أن تأخذى العربة »٠٠ لكنها أجابته : «كلا ! اننى أفضـل السير على قدمى ٠٠»

❖

أخيرا تنفست هيلين الصعداء ، عندما وجـدت نفسها بمفردها !٠٠ بعد أن انصرف زوجها الى عمله وخرج طفلها مع خادمته فى نزهته اليومية ٠٠

ان الساعة لم تكد تجاوز الواحدة بعـد الظهر ٠٠ ماذا لوفاجأت أرمان بالذهاب قبل الموعد الذىيتوقعه ؟٠٠ انه فى مكان اللقاء منذ ساعة ، ولكنه لاينتظر حضورها مبكرة !٠٠

ولم تكد هذه الفكرة تمر بخاطرها حتى بدأت تأخـذ أهبتها للخروج ، فأسدلت على وجهها قناعا كثيفا وأصـلحت من زينتها ، ثم خرجت الى شارع سان لازار فاستقلت عربة ، وهى بادية الاضطراب ، وقالت للحوذى :

ـ شارع ستوكهلم !

ـ أى رقم ياسيدتى ؟

ـ سأوقفك عند المنزل الذى أقصده ٠٠

فلما دنا الحوذى من الرقم المقصود قالت له هيلين بصوت متهدج محتبس :

ـ هنـا

وناولته قطعة نقود هى أضعاف أجره !٠٠ ثم سارت على الرصيف وهى تكاد تسقط من الرعدة التى تملكتها ، حتى وقفت أمام المنزل رقم ١٦ ٠٠ وخيل اليها وهى تدخله أمام « البواب » أن قدميها لاتقويان على حملها ٠٠!

هاهى الآن أمام باب الشقة المقصودة ، وقدمالت الى الامام لتلتقط أنفاسها اللاهثة ٠٠ كان المنزل هادئا لاضوضاء فيه ، فخيل اليها فى هذا السكون أنها تكاد تسمع دقات قلبها !٠٠ وأخيرا ، هاهى تضغط باصبعها على جرس الباب ٠٠ فاذا بوقع أقدام ٠٠ وصوت مفتاح يدور فى قفل ٠٠ وباب يفتح ٠٠ وهاهو ذا ارمان !

وارتمت هيلين على صدره مضعضعة متخاذلة ، محتبسة الانفاس ٠٠ فتلقاها ارمان بين ذراعيه ، ثم قادها برفق الى حجرة ذات أثاث أزرق ، فيها نار موقدة ٠٠ ولاحظت هيلين من أول وهلة أنه ليس بالغرفة سرير للنوم ، فحمدت لارمان تداركه لهذا الامر ٠٠ فقد وفر عليها بكياسته هذه صدمة قاتلة !

ومد ارمان يده فأزال القناع من على وجهها ونزع القبعة من على رأسها ، وأجلسها على مقعد كبير قريب من النار ٠٠ ثم جثا على ركبتيه بجوارها وضمها الى صدره بقوة كادت تحبس أنفاسها ، وهو يقول :

— كم أنا أحبك لانك وفيت بوعدك ٠٠!

ولكن ، فى تلك اللحظة المغمورة بالنشـــوة يثب غول الشك الى قلب ارمان ٠٠ فيرى فى وفاء هيلين بوعدها دليلا ، لا على حبها له ، بل على انها تعودت مثـــل هذه المغامرات من قبل !٠٠ وان ماتضمره له ليس حبا بقدر ماهو نزوة لارضاء مزاج عابر !٠٠ وأخذ هاتف يهمس فى أذنيه : « لماذا تصر كل امرأة تطارحك الهوى على أنك أول رجل عرفته ، وعـــلى أنك حبها الاول ؟ »

ومد يده الى خصلة الشعر المصففة المتدلية على جبينهـا فأرخاها ٠٠ ثم قال لها مستدركا : « لاتخافى ٠٠ لقد فكرت فى كل شىء » ٠٠ وقادها الى منضدة معدة للزينة وجدت عليها كل ماقد تحتاج اليه للتزين ـ عند اللزوم ـ فقالت معلقـــة : « آه ، انك تخجلنى !»

وأطرقت برأسـها الى الارض ٠٠ فتنـــاول وجهها بين راحتيه ، ورفعه نحوه ٠٠ فالتقت أعينهما فى نظرة طويلة ٠٠ ساخنة !٠٠ لم تحس هيلين بعدها الا وهى بين ذراعيه ، وهو يغمرها بقبلاته المجنونة ٠٠ ويهمس لها وشفتاه على أذنها :

ـ أواه ياهيلين !٠٠ أواه !

. . . .

وانقضت ساعة ، كان الشيطان خلالها قدأتم فعلته ٠٠!

❖

وسألت هيلين ارمان :

ـ هل أنت سعيد ؟! أما أنا فانظر ٠٠ كم أناسعيدة !

فاجابها :

ـ نعم ! كل السعادة !

لكنه كان كاذبا !٠٠ فقد كان الشك يلح عليه بأنه ليس العاشق الاول لهيلين ، وانهـــا عرفت قبله آخـرين !٠٠

واستسلامها المطلق له لم يكن فى نظره دليلا على حبها العارم له ، وانما دليلا على أنها امرأة مجردة من الضمير ٠٠!

الفصل الثالث : بداية اليقظة !

◆ قضت هيلين الامسية التى أعقبت ذلك النهار وقد استبد بها شعور هو مزيج من الحنين والنشوة معا !٠٠ **ولكن لماذا طلبت الى أرمان أن لايحضر الى منزلها فى شارع لاروشفوكو فى تلك الليلة ؟ لقد شعرت بأنها لايمكن أن تطيق رؤية الفم الذى كان يقول لها منذ ساعات قليلة ، وبين قبلتين متجاوبتين: «أحبك» ، لاتطيق رؤيته يقول لها فى حجرة الاستقبال : «سيدتى» ٠٠!**

وكان زوجها جالسا ليلتئذ بجوارها وهو يتصفح احدى الصحف ، دون أن ينبس بكلمة ٠٠ لكنه فى الواقع كان يرصد حركاتها !٠٠ وكان منذ اتخذت هيلين لها مخدعا خاصا يحس بشوق اليها لايقاوم ، وكانت احساسات الجسد الملحة مبعث ألم شديد له !٠٠ فهم فى تلك الليلة أن يكاشفها برغبته المكبوتة وجوعه المكظوم ، فاذا بها تمضى ـ وقد نسيت وجوده بجوارها ـ متجهة الى غرفة نومها !٠٠ وحين استمهلها قدمت له « جبينها » ليقبله ، وهى تقول :

ـ الى الغد ٠٠

ـ الى الغد ؟ وماذا أيضا ؟

قالها وهو يحاول أن يقبل عينيها وماتحتهما ٠٠ لكنها دفعته عنها بقوة ، فقد رأت فى عينى «زوجها» بريق الشهوة الجامحة ، والرغبة الجائعة ٠٠ وتمثلت أمامها فى تلك اللحظة الشركة الجسدية بين «رجلين» ، ومافيها من قبح ودمامة !٠٠ فما ان رأت زوجها يدنو منها وهو يقول فى توسل : « هيلين

يا حبيبتى! » حتى وثبت الى الطرف الآخر من الغرفة وهى تقول فى حدة : « ألاترى اننى متعبة الليلة ؟ انه الصداع الذى لايفارقنى ٠٠ لوقضيت ليلة هادئة فان النوم قد يعيدنى الى حالتى الطبيعية ٠٠ الى الغد !» ٠٠ ثم أومأت اليه بيدها وخرجت ٠٠!

بقى ألفريد بمفرده برهة ٠٠ ثم مضى الى حجرة نومه فى الطابق الاسفل وهو يفكر فى زوجته ، وما اعترى صحتها من ضعف !٠٠ أماهى فقد صعدت الى غرفتها وأحكمت غلق بابها بالمفتاح ـ وسمع ألفريد صليل المفتاح وهو يدور ـ وحدثت نفسها : « أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ لن أكون لهذا الرجل بعد الآن ؟ » ٠٠ فى الوقت الذى كان فيه المسكين يهجس محدثا نفسه بدوره : «أتراها خائفة منى ؟!»

ما أبشع هذا الموقف الذى رأت هيلين نفسها فيه ؟! ان المعاشرة الزوجية هى أساس الاسرة ٠٠ أماضرورات المجتمع فهى الاستثناء ٠٠ **فكيف تستطيع زوجة أن تحيا تحت سقف واحد مع زوج هو زوجها أمام الناس فقط ؟!**

كان عليها أن تجد حلا وتتلمس مخرجا من هذا الموقف القبيح !

◆ وعنت لها فكرة شيطانية ، هى أن تذهب فى الغد بصحبة زوجها الى طبيبها وتدخل بمفردها الىغرفة الفحص ، متذرعة بذريعة ما ، كشعورها بعرض من أعراض المرض ـ أى مرض ـ ثم تخرج من الغرفة لتقول لزوجها ان الطبيب قد منعها منعا باتا من أن تكون لها أية علاقة بزوجها حتى تشفى تماما من مرضها !

ونفذت فكرتها بالفعل ، معتمدة على أن ثقة زوجها فيها وماطبع عليه من حياء سيجعلانه بمنأى من الشك فيها ٠٠٠ ويطوحان به بعيدا عن السر الرهيب ٠٠!

❖

وأخذت المواعيد تتوالى فى شارع ستوكهلم ٠٠ وبدأت هيلين تولى هذا المكان عناية خاصة ، فقد كان مهد غرامها وعش هيامها ، فيه ولد حبها وهاهو ذا يحبو الآن على قدميه ٠٠ ومن ثم توفرت على تنسيقه وتجميله ، وترتيب أثاثه ، وستائره ، ووضع الغلائل الرقيقة على نوافذه ٠٠٠

وذات يوم ، وبينما كانت هيلين مع ارمان فى عشهما الآمن ٠٠ تطايرت أمام ناظريها أول شرارة منبئة باندلاع نار آكلة ٠٠ ففى لحظة من لحظات السعادة التى غلفت قلب هيلين وهى متكئة على صدر ارمان ، قالت له : « كم أود أن يكون لى طفل منك ! طفل له عيناك ٠٠ وفمك ؟ كم سأحب هذا الطفل وأشغف به !؟»

فكان رده عليها : «اننى لا أتمنى ذلك ! لاننى سأحزن عندما أراه يقبل انسانا آخر غيرى على أنه أبوه ٠٠!

– ان هذا لن يحدث !

– بل لابد من حدوثه !

– سوف أغادر هذه البلدة الى غيرها معك ، حيث أبقى بجوارك الى الابد ٠٠ وسأكون مرغمة على ذلك ، اذ كيف سيكون مسلك ألفريد معى حين يتحقق من أننى لن أكون له أبدا بعد الآن ؟!

وفيما كانت هيلين تتفوه بهذه العبارات ، كان ارمان يدقق النظر اليها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ٠٠ محدثا نفسه : « **انهن جميعا سواء ٠٠ فكل امرأة تخون زوجها تقول لعشيقها انها امتنعت عن معاشرة زوجها ٠٠!** »

واستطردت هيلين : «ألست واثقا من أننى لن أستطيع أن أكون لرجلين فى وقت واحد ؟! قل انك واثق فى من هذه الناحية ٠٠ انى أقسم أننى منذ أصبحت لك لم أمكن زوجي

من الاقتراب منى قط !»
فأجاب الماكر : «أنالست غيورا ٠٠ انى أعلم أنك تحبيننى ! »
ـ بل قل انك لاتشعر بالغيرة لانك واثق من أننى لن أكون الا لك وحدك !
ـ اذا أردت ٠٠
قالها بضجر ظاهر ، فقد كان يكره مجرد تصور فكرة فرارها معه ، والمأساة التى لابد تنجم عن ذلك الفرار ٠٠ بينما تمتمت هيلين لنفسها : «انه لايثق فى ! انه لايثق فى!»

❖

فى تلك الليلة أحست هيلين عند عودتها الى منزلها بحزن عميق ٠٠ فلزمت حجرتها وأغلقت بابها عليها ، وأخذت تبكى بكاء مرا !٠٠ لقد بدأت ترى الفارق الجسيم بين حبها لارمان وحبه هو لها ٠٠ وبدأت ترى نفسها وهى تهوى من قمة السعادة الى هاوية ليس لها قرار !
ولم تكن هذه هى الطعنة الوحيدة التى تلقتها هيلين من عشيقها ٠٠ فقد حدث أن تلاقيا ذات صباح فى حديقة النباتات ، حيث كان يطيب لهيلين التنزه وسط الاشجار الباسقة والزهور اليانعة ٠٠ وفيما هما يتسكعان أخذت هيلين تروى لارمان ماترامى الى سمعها أخيرا عن زوجة أحد زملاء ألفريد ، وكيف ان زوجها قد طردها من بيته بعد أن اكتشف أنها كانت تخونه مع عشيقين فى وقت واحد !٠٠ فاذا بأرمان يعلق على هذه الرواية ، وعلى مسلك تلك الزوجة ، بقوله : «ان غيرها من الزوجات يتخذن العشيقين واحدا بعد الآخر ٠٠ والفارق على كل حال بسيط ! »
ماذا يعنى ارمان ؟! لقد همت هيلين أن تسأله : « وأنا ؟ ماذا تظن فى ؟ هل تظن أننى أحببت قبلك ، وأننى سأحب

بعدك ؟ » غير أن الكلمات يبست على شفتيها ٠٠ !

◆ وتعاقبت المواعيد فى شارع استوكهلم ٠٠ ولم يكن من العسير على هيلين أن تدرك أن عشيقها لم يعد الرجل الذى عرفته فى بادىء الامر !٠٠ فان قبلاته قد فترت ، والقوة التى كان يضمها بها الى صدره ، قد وهنت ٠٠ وبدأ الغطاء ينكشف عن ارمان رويدا رويدا ، وتبين حقيقته كالحة بشعة أمام عينى هيلين !٠٠ صار الشك ينتابه فى كل مايصدر من عشيقته من حركات وأقوال ٠٠ واذا بالماسة التى ظنتها هيلين جوهرة لاتقدر بمال ، تتكشف لها زائفة !٠٠ والقلب الذى حسبته عامرا بالحب والثقة ، يبدو فارغا خاويا كالبيت المهجور !٠٠ **كان حالها أشبه بالسجين الذى غفت عيناه برهة فى سجنه فجاء آسروه وشدوا وثاقه وهو نائم الى جثة رجل ميت !٠٠ فاستيقظ ليرى نفسه فى صحبة هذا الرفيق البشع المفزع الرهيب !**

الفصل الرابع : آلام رجل شريف

◆ بالرغم من سذاجة ألفريد وعدم تمرسه بحياة المدن ، وبالرغم من أنه كان يقيس كل شىء فى الحياة قياسا حسابيا هندسيا يتمشى مع مهنته ، فانه بدأ يشعر بأن مأساة غامضة أخذت تحيط به من كل جانب وتنعقد أطرافها فى بيته فتضيق الخناق عليه !

ماذا ألم بهيلين ياترى ؟ انه قد بدأ يعتقد أنها مريضة حقا ، فقد كان من العسير عليه أن يفرض حدوث أمر آخر !٠٠ كان أيسر عليه أن يتهمها بالسرقة والتزوير من أن يتهمها بالخيانة ، ولاسيمابخيانته مع ارمان ، صديقه وزميل صباه ٠٠!

وبالرغم من ولع ألفريد بزوجته وغرامه بها فانه منذ زيارته معها للطبيب ، تلك الزيارة التى عرف بعدها منها

أن الطبيب قـد نهاها عن معـاشرته حتى تشـفى ، عول على أن يضحى براحته ومتعته مادامت صـحة هيلين تتطلب ذلك . وكان من الحياء والكياسة بحيث لم يطلب من زوجتـه أية تفاصيل عن مرضها والعلاج الذى أوصـاها به الطبيب ، فقد انتظرها خارج حجرة الفحص. وأدلت هى اليه بقـرار الطبيب فتقبله عن طيب خاطر !

ولماكانت هيلين قد أعادت عليه رغبتها فى الذهاب الى الطبيب مرة ثانية ، امعانا منها فى التذرع بمرضـها لتظـل بعيدة عن معاشرته ... فقد عن لالفريد أن يذهب لمقابلة ذلك الطبيب بمفرده دون أن يستصحب معه زوجته . ونفذ فكرته بالفعل فتوجه اليه بعد ظهر أحد الايام ... وما أن اسـتقر على المقعد أمامه حتى ابتدره الطبيب متسائلا :

ـ كيف حال مدام شازيل ؟

ـ لقد جئت اليوم لاستشارتك بشأنها هى بالذات !

ـ ولماذا لم تحضر معك ؟

ـ انها لا تعلم أننى قادم لزيارتك .. والواقع أن حالتها تقلقنى كثيرا ، فأنت تعلم حالة الانهيار العصبى الذى تعانيه ..

كان الطبيب يصغى الى شازيل دون أن ترتسم على وجهه أية علامة تنم عما يدور فى ذهنه ، فقد كان بحكم مهنته مؤتمنا على أسرار الناس . وكان ألفريد شازيل يدقق النظر بدوره فى الدكتور «لوفيه» وقد استبد به احساس عجيب : هو أن سرا ما يكتنف زوجته ، وان مفتاح هذا السر هنـا .. فى يد هذا الطبيب !

وقال الدكتور لوفيه ردا على استفسار ألفريد :

ـ هذا صحيح ، فعندما شرفتنى مدام شازيل بزيارتها فى المرة الاخيرة تبـين لى بعد فحصها أنها مصابة باضطراب فى الاعصاب ...

ـ هل لم يكن فى حالتها الصحية والعصبية شىء له علاقة

بزوجها ؟

ـ لاشيء على الاطلاق ٠٠ سوى واجبه فى أن يدلل زوجته ويتجنب تكدير خاطرها بقدر مايستطيع ٠٠٠

أحس شازيل فى تلك اللحظة بأن قلبه يكاد يتوقف عن الخفقان !٠٠ وحين غادر عيادة الطبيب كان يحدث نفسه : « لقد كذبت على هيلين !٠٠ فلم يكن الطبيب هوالذي نصحها بأن تعيش منفصلة عنى ٠٠٠ وانما هي تستبشعني !٠٠ رباه ، ماذا صنعت لها ؟!»

وعول على عدم مصارحتها بشيء ، وعلى مراقبتها فى الوقت نفسه !٠٠ وقد اضطره تعاقب الحوادث الى أن يقارن رفع الكلفة الذى كان يتمتع به أرمان فى بيته ، بماكان يستشعره هو من كلفة وحرج فى البيت الذى هو بيته ، والى جوار الزوجة التى هى زوجته !٠٠ وبدأ يضيق بزيارات ارمان لمنزله وكثرة تردده عليه ، فقد بدأ يلاحظ أن أرمان أمسى صديق زوجته أكثر مماهو صديقه !٠٠ وبهذا بدأت آلام هذا الرجل الساذج الطيب الشريف ٠٠

ولم يكن من السهل على ألفريد أن يواجه هيلين بشكوكه فيها وفى ارمان !٠٠ فقد يكون صديقه معجبا بزوجته ، وقد تكون زوجته معجبة بصديقه ، ولكن هل انحطت القيم الانسانية الى الحد الذى لايمكن معه أن تقوم صداقة نزيهة عفيفة بين رجل وامرأة ؟

◆ وبعد ظهر أحد الايام كان ألفريد قادما من محطة « سان أورليان » ، فعن له أن يعرج على حديقة النباتات ليروح عن نفسه قليلا مما يرزح تحته من أحمال ثقيلة ٠٠٠ وبينماهو يسير على مهل فى أحد ممرات الحديقة الجميلة اذا به يلمح أمامه امرأة تسير الى جانب رجل ٠٠٠

وكانت المرأة هى هيلين ٠٠ وكان الرجل هو أرمان ؟!٠٠ كانا يسيران مستغرقين فى الحديث جنبا الى جنب فى براءة

ظاهرة ٠٠ ومع ذلك فقد انتفض ألفريد عند رؤيتهما !٠٠ ولكن ماذا فى هذه النزهة ممايبعث على الالم ، أوالشكوك ؟ وهل يعقل اذا بيت رجل وامرأة النية على ارتكاب موبقة ، أنهما يحضران الى مكان كهذا المكان لارتكابها ؟

أحس شازيل بأن قدميه لاتقويان على حمله ، فارتمى على أحد المقاعد متهالكا ٠٠ لم يشأ أن يفاجئهما لئلا يظنا أنه كان يراقبهما أويتعقبهما !٠٠ وانما عول على الانتظار حتى يعود الى بيته ، فاذا أخبرته هيلين بأمر هذه النزهة مع ارمان فلن يكون هناك مجال للشك ٠٠!

والا ؟ !

◆ وأقبل الليل وألفريد مايزال يجوب شوارع المدينة ، ليهدىء من أعصابه بالسير على قدميه ٠٠ وأخيرا عاد الىمنزله فصعد الى غرفة زوجته مباشرة ودق بابها برفق ٠٠ فأجابته : « أدخل » ٠٠ وحين رأته ابتدرته قائلة : « من أين أنت قادم متأخرا هكذا ؟ »

ـ كنت أسير فى الخلاء ، فقد أحسست باجهاد ووعكة ٠ وأنت ، أين كنت ؟

ـ خرجت لقضاء بعض المهام ٠٠٠

انعقد لسان ألفريد ، فلم يجرؤ أن يقول لها انها تكذب !٠٠ وانقضت الامسية دون أن تشير هيلين الى نزهتها مع ارمان بكلمة !٠٠ حتى أقبل هذا ليقضى السهرة كعادته ، فمارأته حتى ابتدرته بقولها : « كيف حالك منذ أمس ؟!»

يالها من مخاتلة ؟ كأنها لم تره منذ أمس ٠٠؟!

ولكن لماذا يعقد الالم لسانه ؟ ان الكلام فى تلك اللحظة المشئومة كان أكثر مما يطيق !٠٠ فاكتفى بمراقبة أرمان وهيلين وهما يتبادلان أطراف الحديث ٠٠ وقد أخذت الشبهات الملثمة والشكوك المبهمة تستقر فى أحشائه كنصل مسموم ٠٠!

الفصل الخامس : الزوج والعشيق !

◆ وحين حيا ألفريد زوجته تحية المساء وذهب الى غرفة مكتبه .. كانت هذه الشكوك والاوهام تتقاذفه يمنة ويسرة بلارحمة !.. ان زوجته كاذبة - مافى ذلك ريب ! - فقد أخفت عنه خبر نزهتها مع ارمان فى حديقة النباتات !.. ترى ماهى علاقتها بأرمان على وجه التحديد ؟ قد يكونا متحابين ، غير أن ألفريد لايستطيع أن يسمح لنفسه بمجرد الشك فى أن حب هيلين لارمان قد يدفعها الى التفريط فى عرضها ..!

عليه اذن أن يعمل بروية وتؤدة ؟فماذا يعمل ؟ هل يخلى لهما الطريق ؟ وابنه هنرى ؟ أيتركه لامه ، أم ينتزعه منها فيحرمه بذلك من حنان الامومة ؟ ان عليه أن يفعل شيئا ، ولكن ماهو هذا الشىء ؟ هل يطالب هيلين بتفسير تصرفاتها ؟ ولكن هل ستعدم الماكرة وسيلة للكذب عليه مرة أخرى ؟ ان الفضائل لاتتجزأ ، فمن يكذب مرة يكذب ألف مرة !

وخطرت له فكرة : لماذا لايستوضح ارمان الحقيقة ؟؟ ان أرمان لم يكذب عليه - حتى الآن على الاقل ! - فاذا ذهب اليه واستوضحه جلية الامر ، وظهرت له براءته ، فان السر سيظل على الاقل مطويا بينهما فلاتعلم به هيلين .. أما اذا كانت شكوكه قائمة على أساس ، فانه يفضل أن يسمع الحقيقة المفجعة من أرمان .. ولايسمعها من هيلين !

واختمرت الفكرة فى عقل ألفريد ، وأخذ يقلبها على كل وجوهها ، ليتبين أوجه الخطأ فيها وأوجه الصواب .. حتى غلبه النعاس فنام . فلما استيقظ فى الصباح عقد العزم على تنفيذ فكرته دون ابطاء ، فماوافت الساعة التاسعة حتى كان فى حجرة الاستقبال فى منزل ارمان الكائن فى شارع لنكولن .

كان ارمان وقتئذ فى الحمام ، فانتظره ألفريد فى تلك

الحجرة التى كانت كل قطعة من أثاثها تذكره بماضيه مع صديقه ، وصباهما الذى قضياه معا ٠٠ وبينما هو مستغرق فى تفكيره اذا بيد تلمس كتفه ، فأفاق من شروده ليجد نفسه وجها لوجه أمام ارمان ٠٠ **وكان أول ما صدم ألفريد رائحة العطر التى تفوح من صديقه ٠٠ فقد كان نفس العطر الذى تضعه هيلين !**

انهما يضعان عطرا واحدا ! ألا يكفى هذا لدعم شكوكه ؟

٠٠ وبدأ أرمان يتناول افطاره ، فابتدره ألفريد متسائلا :

ـ ألايدهشك أن ترانى فى منزلك فى هذه الساعة المبكرة ؟

ـ أظن أنك قادم فى مهمة ٠ فاذا صح ظنى فأنا فى خدمتك ٠

ـ نعم لقد جئتك فى مهمة ! أنت صديقى ٠٠ ولانك صديقى أتيت اليك اليوم ٠ انك ترى أمامك يا ارمان أتعس رجل فى العالم !٠٠ اننى سأبوح لك بأشياء لايصح البوح بها ٠٠ فيجب عليك أن تصغى الى : اننى تعس جدا ياصديقى، وتتلخص تعاستى فى كلمتين : انى أحب زوجتى ، لكن زوجتى لاتحبنى !٠٠ وأنا أحبها حبا لانهاية ولا وصف له ، فقد وجدت فى هيلين تلك الصورة التى كنت أتخيلها فى صباى ويرسمها خيالى فى طفولتى ٠٠٠ فلما تزوجتها أحسست بأنها لم تكن سعيدة فى السنين الاولى من زواجنا ، فكنت أمنى النفس بأن الزمن سيصلح كل شىء ٠٠ غير أن الزمن لم يصلح شيئا !٠٠ ومنذ أن قدمنا الى باريس بدأت ألحظ عليها أنها فى حال أتعس مماكانت عليه من قبل ٠٠ فالحزن لايفتأ يغمر وجهها الجميل ، وعيناها أصبحتا غائرتين ٠٠ انها تتألم وتذوى أمامى يوما بعديوم وأنا لاأستطيع لها شيئا ، ولاأعرف لعذابها سببا !٠٠ ان المرأة التى أحبها تفنى ساعة بعد ساعة وأناقريب منها لاأستطيع أن أمنع وقوع الكارثة !٠٠ ان عمق

آلامى ليس له حد ٠٠ اننى أتخبط ! لماذا أبوح لك بكل هذه الامور ؟! لقدجئت لاسألك عما اذاكنت تعلم شيئا عن حالتها ٠٠٠!

ثم وقف ألفريد ، فوقف أرمان فى مواجهته وأجابه :

ـ ولكن كيف تنتظر منى أن أعرف عنها أكثر مما تعرف أنت ؟

ـ أرمان ! لا تكذب على ! لقد اتخذت عدتى لسماع الحقيقة مهما كانت مرارتها ٠٠ فاذا كانت هيلين تحب انسانا آخر فاننى مستعد لان أخلى لها الطريق ٠٠ سآخذ ابنى وأدعها تعيد بناء حياتها من جديد ، فأنا أحتقر الزوج المنتقم ! فأجبنى بربك يا أرمان : هل تحب هيلين رجلا آخر ؟

ـ اننى أكرر عليك القول مرة أخرى : كيف يتسنى لى أن أعرف ذلك ؟

فصاح ألفريد وهو يضغط على ذراع صديقه بشدة :

ـ كيف ؟ من يعرف اذن اذا كنت أنت لاتعرف ؟! أتحسبنى أعمى الى الحد الذى لاأرى فيه كيف أصبحت صفيها وموضع سرها ؟ فاذا كنت لم تتغلغل فى حياتها وعواطفها فماذا عساكما تقولان فى أحاديثكما التى لاتنتهى ؟ انكما لاتكفان عن الكلام الا عندما تريانى ! لماذا تتخفيان عنى ؟

ـ نتخفى عنك ؟!

ـ صه ، لاتكذب !٠٠ فاننى لم أعد أستطيع احتمال الكذب ! وانما أنا أريد معرفة الحقيقة كيفما كانت هذه الحقيقة ٠٠ لقد رأيتكما أمس فى حديقة النباتات ـ فقد كنت أناهناك ! ـ فلما رأتك هيلين فى المساء تعمدت أن تقول لك «كيف حالك منذ أمس » ، كما لوكانت لم ترك منذ أمس !٠٠ والآن أجبنى : لماذا تكذبان على أنتما الاثنان ؟

ـ الحق معك يا ألفريد ٠٠! فقد كان واجبا أن نخبرك بنبأ هذه النزهة فى الحال ، حتى لاتتخذ الامور البريئة مظهرا يثير الريب ٠ والذى حدث أن مدام شازيل كانت عائدة من

زيارة احدى الاسر الفقيرة عندما قابلتها مصادفة فى الحديقة فقضينا معا وقتا قصيرا ، سيما وقد كان الجو صحوا • وقد طلبت منى زوجتك ألا أقول لك عن هذه النزهة شيئا لانها خشيت أن تؤنبها لانها تعلم أنك لاتحب أن تراها تذهب الى الحدائق العامة • ولك أن تتحقق من صدق ما أقول بأن تذهب فى الحال الى منزلك حيث تسأل مدام شازيل السؤال بعينه قبل أن تعطينى فرصة الاتصال بها وسترى أنها ستجيبك بنفس الجواب ••!

يالهما من ماكرين مخاتلين ؟ لقد كانا فى كل مرة يلتقيان فيها يتفقان على جواب واحد يفسران به الامر اذا حدث أن فوجئا بمن يراهما معا !•• وكان جواب أرمان على ألفريد متفقا عليه من قبل بينه وبين هيلين !

لكن ألفريد أجابه فى حدة :

ــ ماذا تحسبنى يا أرمان ؟ لست أنا الذى يتجسس على زوجته !•• يكفينى ما أحس به الآن من خجل وأنا أوجه اليك هذا الحديث • فأقسم لى بشرفك أنك ومدام شازيل لايحب أحدكما الآخر !

ــ أناومدام شازيل ؟ اننى أقسم لك بشرفى بأنه لم تجر بينى وبين مدام شازيل كلمة واحدة خارجة عن نطاق الصداقة المنزهة الشريفة •• وأننى أنا الذى أسألك بدورى : ماذا تحسبنى يا ألفريد ؟

فأجاب الزوج الساذج التعس :

ــ انى أسألك المعذرة يا أرمان لاننى شككت فيكما ••• وأرجو أن لاأكون قد أسأت اليك • فقد كان يصعب على دائما أن أصدق أنكماتستطيعان ارتكاب هذه الفعلة ، فأنا أحترمكما أنت وهيلين •• ولكنى ظننت أنها قد تكون أغرمت بك ، وأنت

بها ٠٠ انها سيدة فاتنة جذابة كماترى ، وفيك أنت يا أرمان الكثير من الصفات التى تنقصنى أنا : فأنت جميل ، أنيق ، ذكى ٠٠ وأما أنا فليس لى الا ٠٠ هذا !

وبحركة حزينة متثاقلة أشار الى قلبه !٠٠ واستطرد يقول :

- كم كانت تعاستى ستكون قاتلة لو أن شكوكى تحققت ؟٠٠ فاننى كنت سأفقدكما معا ، أنت وهى ، فأفقد بذلك الحب والصداقة جميعا ، وألفهما فى كفن واحد !٠٠ ولاشك أن هول الصدمة كان سيقتلنى ٠٠!

- هدىء من روعك ٠٠٠

- بل انى هادىء ٠٠ لقد كنت عطوفا على يا أرمان ، فقد أصغيت الى بقلبك ٠ واحسرتاه ! لماذا لاأستطيع أن أبوح لهيلين بمكنون صدرى كما فعلت معك الآن ؟٠٠ اننى دائما أشعر وأنامعها بضيق وحرج !

- أنت تبالغ يا ألفريد ٠٠ انمدام شازيلليست فىحالة طيبة ، ولعل ذلك راجع الى التغير الذى طرأ على حياتها : فهواء باريس وعادات باريس وأهل باريس ٠٠ كل ذلك يضايقها ويثير أعصابها ، فهى فى حاجة الى عناية كبرى ٠٠٠ فتجنب المناقشات المثيرة معها وكن رقيقا نحوها ، رفيقابها ٠٠

- الحق معك يا أرمان ! اننى رجل أنانى ، لاأحس الا بآلامى فقط !٠٠ غير أن هيلين تثق فيك ـ وها أنت ترىأننى لم أعد أشعر بالغيرة من ذلك ـ فحدثها عنى ٠٠ وقل لها كم أنا أحبها ، والى أى حد أعنى بسعادتها ٠٠ قل لها هذا فهى ستصدقك ٠٠ وانى لمستعد لان أدفع حياتى ثمنا لنظرة حنان منها ٠٠ الى !

الفصل السادس : العشيق والعشيقة !

◆ **خرج** ألفريد من منزل أرمان وتركه وحيدا فى حجرة الاستقبال ، فأحس أرمان بالآلام الهائلة التى سببتهاله زيارة صديقه !٠٠ وكان عليه أن يقابل هيلين فى نفس اليوم ، لكنه آثر أن يتحلل من موعده بعذر من الاعذار ٠٠ **لماذا رجت زيارة ألفريد نفسه هذه الرجة العنيفة ؟ لقد غمره الخزى من فعلته الشنعاء ، وكأنما أدرك فجأة كيف انه باتخاذه زوجة صديقه عشيقة له قد داس بقدميه على مقدسات الطفولة ، ودنس بالوحل محرابا طهره الوفاء ٠٠؟!**

ولاجل من خان أرمان صديقه ؟ لاجل هيلين !٠٠ ومن أجلها ضحى بذكريات طفولته وصباه ٠٠ ومن أجلها أقسم بشرفه كاذبا منذ برهة !٠٠ فأين المهرب من كل هذه الحقارات ؟

لقد أصبح من المستحيل عليه بعد الذى حدث من ألفريد أن يستمر على صلته بهذه المرأة : يجب فصم هذه العروة ووقف هذه العلاقة الزائفة فى الحال !٠٠ فان الاستمرار فى خيانة صديقه صار بعد الآن أمرا لايطاق ٠ يضاف الى هذا ان الزوج الذى بدأ يتشكك فى زوجته لن يكف عن مراقبتها ٠٠ وقد يراقبها وينجح فى ضبطها بحيلة أوبأخرى ٠٠ فتقع الكارثة !

واذن ٠٠؟!

تناول ارمان ورقة وقلما وكتب ثلاثة أسطر الى هيلين يطلب منها فيها موعدا ٠ ولكن أين يقابلها ؟ ان خير مكان هو مسكنه «الشرعى» المعروف فى شارع لنكولن ٠ وان فى وجود الخادم بالمنزل لعاصما من الزلل ٠٠٠ والعثرات !

❖

كانت الساعة قد جاوزت الثانية والنصف بعد ظهر اليوم التالى عندما حضرت هيلين شازيل الى مسكن أرمان فى شارع لنكولن ، بناء على الموعد الذى حدده معها ، فدخلت الى حجرة الاستقبال وقد أسدلت على وجهها قناعا كثيفا حتى لاتتعرض لفضول الخادم !.. وكانت هيلين لم تقابل أرمان منذ يومين - حسبتهما دهرا لفرط شوقها اليه ! - فكانت بنظرة واحدة الى وجهها الذى ارتسمت عليه علامات الحب والوله بأرمان ، كافية لان تجعله يدرك مقدما هول الصدمة التى ستصاب بها عندما يكاشفها بما قر رأيه عليه ..!

أجلسها أرمان على مقعد وثير .. وكان التحفظ باديا عليه .. ثم أخذ يقص عليها ماجرى بينه وبين ألفريد فى اليوم السابق ، دون أن يخفى عنها شيئا !..

وعندما انتهى من كلامه سألها : «ماذا قال لك زوجك فى المساء ؟» .. فأجابت : «لاشىء .. وأنت ، ماذا قلت له ؟» فأجاب : « لوكنت وحدى فى الميدان لما اجترأت على خداع هذا القلب الكبير الذى حطمته بيدى .. غير أن الامر كان متعلقا بك ، فاضطررت لان أقسم له بشرفى بأنه لم يكن بينى وبينك أدنى علاقة تخرج عن نطاق الصداقة الشريفة التى تسمو على كل شبهة .. ولمالم نكن ، أنا وهو ، قد تعودنا أن يكذب أحدنا على الآخر .. فقد صدقنى ، وهدأ روعه بعد ذلك !»

كانت هيلين تصغى اليه وهى تتفرس فى وجهه ، بينما كان هو يتطلع الى النار المشتعلة ليتحاشى أن تلتقى عيناها بعينيه !.. ثم أردف :

- نعم ! لقد هدأ روعه .. ولكن الى حين ؟! وعليه فان علاقتنا أصبحت تكتنفها بعض الصعوبات ... فهل أنا على حق؟

- هذا ممكن ! انك أكثر مني دراية بهذه الامور .. ، فعلام عولت اذن ؟

ـ عدينى بأن لاتسيئى فهم ماسأقوله لك ٠٠ وثقى اننى لأتوخى فى كل تصرفاتى غير مصلحتك !٠٠ علينا اذن أن نكف عن اللقاء فترة من الوقت حتى تتبدد شكوك ألفريد ويهدأ روعه ٠٠ ولتكن هذه الفترة خمسة أشهر أو ستة ولاأكثر ٠٠ وسأسهل عليك هذه المهمة بأن أغادر باريس ـ بالرغم مما يسببه لى السفر من مضايقة الآن ـ فان راحتك هى عندى أولى من كل شىء !

ـ أبمثل هذا الهدوء تنبئنى بهذا الخبر ؟! واذا تبين لك بعد خمسة أوستة أشهر أنك لم تعد تحبنى ٠٠ ماذا يكون مصيرى ؟٠٠ وماذا يتبقى لى من الحياة ؟

ـ لاتنسى ان الامر يتعلق بزوجك ، الذى بدأت عقارب الغيرة تدب الى قلبه ٠٠ كمايتعلق بالمحافظة على أمانك العائلى من الاخطار التى أراها محدقة بك !

ـ ان عندى اقتراحا أعرضه عليك يا أرمان : ماذا لو أخذتنى معك ؟! اننى أفضل أن أفقد كل شىء وأبقى عليك !

ـ انك تعرفين أكثر منى أننى لاأستطيع ذلك ٠٠ وتعرفين لماذا لاأستطيعه ٠٠ فقد يقدم رجل على انتزاع زوجة من زوجها، أما أن ينتزع أما من ولدها ٠٠٠ فهذا شنيع !

ـ لماذا لاتصارحنى بأنك لم تعد تحبنى ٠٠ لماذا كل هذا الكلام المنمق وكل هذه الاكاذيب ؟ أتحسبنى لاأقوى على مواجهة الحقائق ، مهماكانت ؟ قل أنك لم تعدتحبنى يا أرمان ٠٠ فاننى سأفهمك ، ولن أحقدعليك ، بل سأمضى الى حال سبيلى مستصحبة آلامى ودموعى ٠٠ ولكن لاتتركنى فريسة للشكوك ، ولاتتحدث عن رحيلك بمثل هذا الفتور وقلة الاكتراث ٠٠ يا الهى ، كم أنا أتعذب !

قالت هذا وانفجرت الدموع من مآقيها كالغيث الهتون ، فأجاب أرمان فى غضب :

ـ لست أفهم ماذا يبكيك فيما أقول ؟!٠٠ انك تكرهينني

على أن أحدثك فى صراحة : ان هذا الانفصال الذى أطلبه ليس من أجلك فقط ياهيلين بل من أجلى أنا أيضا ، فان بيننا اليوم حاجزا لايستطيع رجل شريف أن يتخطاه !

– أى حاجز هذا ؟

– هو الثقة المطلقة التى وضعهافى شخصى رجل آخر ٠٠ ان ألفريد عندماجاء الىلم يحدثنى عن غيرته ٠٠ بل حدثنى عن تقديره لى ، وصداقته ، وتعلقه بى !٠٠ لقدشك فى فجاء الى بقلب مفتوح لاينطوى على حقد ٠ جاءنى يحمل فى طوايا نفسه عواطف نبيلة تنم عن استقامة خلق واخلاص شفاف ٠٠ لا ياهيلين ! اننى لن أقوى على خيانة هذا الرجل بعد الآن ، لاننى ان فعلت فسأستشعر فى نفسى خسة وحقارة ليس لهما حد !

– وأنا ؟ ألم أطأ بقدمى كل هذه الاعتبارات لآتى اليك ؟ أوتعتقد أننى خلقت للخيانة والكذب ؟ **وهل ترددت أنت لحظة واحدة فى أن تطلب منى أن أخون هذا الرجل الطيب الواثق عندما أحسست بالرغبة فى امتلاكى ؟!٠٠ وهل لك الحق في أن تحتكر الخجل لنفسك، فلايكون لى أنا فى هذا الخجل نصيب ؟! أننى أمنعك من التشدق بكلمات الشرف وخيانة الصداقة ، لانه ليس لك حق فى الكلام عنهما ٠٠ فأنت – هل تسمعنى ؟ – أنت الذى يقع عليك عبء هذه الاوزار ، لانك دفعتنى الى هذه الهاوية وألقيت بى فى هذا الحضيض ٠٠!**

– اننى أسألك المغفرة ٠٠٠ ولكن فلنواجه الوقائع : لقد أحب كل منا الآخر ، ولم تكونى طفلة غريرة – فيما أعلم ! – ولا كنت أنافتى غريرا مراهقا ٠ بل كان لكل منا تجاربه فى الحياة ٠٠ أليس هذا صحيحا ؟ لقد كان كلانا يعرف مايفعل ٠٠ ولماكنت أشعر بأنى مسئول عن سمعتك ، فاننى لم أتحدث عنك أمام مخلوق حى ٠٠٠ ولماكنت أشعر كذلك بمسئوليتي عن راحتك التي أقلقتها وهززت قواعدها ، فقد

عولت على الاختفاء ! ٠٠ أماعن ضـــميرى فاسمحى لى بأن أكون وحدى الحكم فيما يأمرنى به أوينهانى عنه ٠٠ !

ـ وبعد ستة أشهر ؟ هـــل سيستريح ضميرك ؟ لنكن صرحاء ، ومنطقيين : ان ماتسعي اليه ليس انفصالا مؤقتا بل هو فصم لعروة حبنا وقطيعة أبدية ! ٠٠ فلماذا لاتقلهـــا كلمة صريحة لا لبس فيها مادمت تحرص على أن يحترمك الناس ؟

فأجاب أرمان فى قسوة :

ـ نعم ! هو انفصال أبدى !

ـ وبهذا تظن أنك أبرأتَ ذمتك قبلى من كل واجب ؟ ٠٠ انك تتركنى هكذا وحيدة وتسافر فتكتب الى بضع خطابات ثم تكف عن الكتابة بعد ذلك وأنت راض عن نفسك ٠٠ « فقد كان كلانا يعلم مايفعل ، وأنا لم أكن طفلة غريرة ٠٠ بل كان لكل منا تجاريبه فى الحيـــاة ! » انه ليشبع فضولى أن أعلم ماذا تعنى بالضبط بهذه العبارات ؟

ـ وماجدوى ذلك ؟

ـ أحب أن أعرف ، فان من حقى أن أتبين رأيك فى على الاقل ؟

ـ انك تدفعيننى الى التفوه بعبارات قد تأسفين عـــلى سماعها ٠٠ أجيبينى اذن : هل تظنين أننى أجهـــل حيـــاتك ٠٠ وماضيك ؟

فصاحت هيلين مذعورة :

ـ حياتى ؟ ماضى ؟!

ـ هل تريدين أن أذكر لك بعض الوقائع ؟ ٠٠ اليك اذن شيئا منها : هل نسيت علاقتك بالمسيو فاراد ؟

ـ المسيو فاراد ؟ ما أحقرهذا الاختلاق ! قل أنك لاتصدق فى هـــذا ٠٠ اننى أضرع اليـــك أن تقول لى انك لم تكن تصدق فى هذا ٠٠ قل ! قل ! قل !

ـ بل لقد صدقته !

ـ اذا كنت قد صدقت هذه المفتريات فلماذا لم تصارحني بها ؟ لماذا لم تصارحني بهذه الشكوك عندما طلبت مني أن أكون لك ؟ هل رأيتني أرتكب هذه الفعلة مع غيرك حتى تصدق ماسمعت ؟ أليس من العدل أن تعطيني فرصة واحدة للدفاع عن نفسي وتكذيب هذه الشناعات ؟ **ألا تعلم فداحة الجرم الذى تقترفه عندما تستحوذ على قلب المرأة كله بينما أنت تحمل فى نفسك نحوها مثل هذه الشكوك ؟**

ـ انى كنت سأثير سخريتك منى لولم أصبح عشيقك ، وعليه فقد كنته !٠٠ وأعود فأكرر أنه ليس هناك ما يؤخذ على أحدنا فيما حدث ٠ ان ماضيك يعنيك وحدك ولم يكن من حقى أن أحاسبك عليه ، كما أنه ليس من حقى أن أحاسبك على مستقبلك بعد الآن ٠٠ أما عن حاضرك فانني أعرفه جيدا ، وأعرف أنك لست المرأة التى تعلق عاشقين على المشنقة فى وقت واحد ٠٠!

ـ ان هذا لهو الشرف بعينه ٠٠

قالتها هيلين وهى تحس بتقزز واشمئزاز من الرجل الذى أحبته ، ثم أردفت وهى تنتفض واقفة وتتأهب للانصراف : «الوداع!» فأجابها فى اقتضاب : «الوداع !!٠٠» وخرجت من الغرفة وهو يرافقها الى الباب دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة !٠٠ وما أن أغلق الباب حتى عاد ارمان الى حجرة الاستقبال التى كانت مسرحا لهذه الفاجعة ، وهو يحدث نفسه : « لقد انتهى كل شى على أحسن مماكنت أتوقع ٠٠ انك لاتستطيع أن تلزم النساء الحجة «وتسمرهن الى الحائط » الا بالوقائع ٠٠ والآن ، فلاتخذ لنفسى الحيطة من انتقامها !٠٠» ثم صمت برهة وعاد يتمتم : «**ان اللذة بعد انقضائها تترك فى الفم طعما مرا كالعلقم !**»

الفصل السابع : الدوار !

◆ **الانتقام !** هذا مافكرت فيه هيلين التعسة عندما عادت من منزل ارمان الى بيتها !٠٠ غير أن الصدمة القاتلة التى تلقتها منذ لحظات كانت من العنف بحيث لم تترك فى نفسها مكانا فى الواقع لغير الالم والحسرات ٠٠ فان الرجل الذى أحبته لم يشعر نحوها بالحب لحظة واحدة !٠٠ بل انه عندما نالهـا لاول مرة كان يعتقد أنها معشوقة (فاراد) ، وربما غير فاراد أيضـا ! ياللهول ؟! لقد حطمها ارمان ـ باسم «الشرف » ! ـ وقـذف فى وجهها بأقذع التهم ٠٠ وتلقاها ، وهى التى أحبتـه حب الجنون ، باللطمة تلو اللطمة ٠٠ حتى كاد يخمدمنها الانفاس !

ظلت هيلين ليالى طوالا نهبا لآلام مروعة ٠٠ وذات ليلة وسوس اليها الشيطان بأنها مادامت قد اتهمت زورا بمـالم تقترف فلماذا لاتقترف ذلك الاثم الذى اتهمت به ؟٠٠ سيما بعد أن لم يتورع حبيبها عن أن يعاملها معاملة المرأة التى تهب جسدها لكل عابر سبيل ؟

ان للحياة المعنوية ، كما للحياة الجسـدية ، لحظات يأس تدفع الى الانتحار ٠٠ والى اغتيال ذلك الكائن الحى الحساس الكامن فى داخل الانسان ، وهو مايسمونه الضمير !٠٠ وان الظـلم الذى يقع على الانسان لهو الدافع الغالب الذى يدفعه الى مثـل هذه الازمات النفسية المروعة ٠٠ فأنت عندما تحس بوقع الظلم عليك ، وتستشعر مرارة ماتعانيه دون ذنب أوجـريرة ، فان الكائن المستقيم الوادع الساكن بين ضلوعك ينقلب الى حيوان ثائر ، وتستحيل الآدمية فيك الى وحشية أشـد ضراوة من وحشية ساكنى الاحراش والغابات !

❖

وذات ليلة ، رأى ألفـريد شازيل زوجته وقد تزينت ولبست رداء السهرة • وكان قد راعه ما أخذت تتكلفه فى المدة الاخيرة من مرح مصطنع وسرور زائف •• فلما سألهـا أين سيقضيان سهرتهما فى تلك الليلة أجابت : عند « مالور » !•• وكان مالور هذا أستاذا فى العلوم الهندسية ألف أن يقيم فى منزله حفلات خاصة يدعو اليها بعض تلاميذه وأصدقائه • وذهبا الى مالور ، وبينما هيلين تحتسى قليلا من الشمبانيا اذا بصوت يقرع سمعها كهزيم الرعد ، فالتفتت الى مصـدر الصوت •• واذا بها أمام مسيو (فاراد) !•• الرجل الـذى لعب فى حياتها دورا خطيرا وكان المعول الذى أهوى به أرمان على صرح حبها فحطمه تحطيما !•• وكان وجود فاراد عند البروفسور مالور أمرا طبيعيا ، فقد كان من تلاميذه ، مثل زوجها ألفريد شازيل •• **فلماذا اذن فزعت هيلين عنـدما رأته ؟ انها كانت تكره هذا الرجل فى الماضى ، أما الآن فهى تتمنى لوتقدم اليها واقترب منها ، بل وغازلها أيضـا !•• أليس من المحزن أن تنحدر هيلين من هـول الصـدمة التى أصابتها الى الحد الذى تأسف معه على حياة العفة التى كانت تحياها فى الماضى ؟ لقد كانت امرأة شريفـة ، فماذا أفادها الشرف ، وما الذى جنته منه ؟**

وحانت التفاتة من فاراد اليها ، فحياها بانحناءة صغيرة ثم تقدم لمصافحتها •• وبدلا من أن تصده كماكانت تفعل فى الماضى مدت يدها لمصافحته ، ثم قالت له :

– أظنك فى زيارة عابرة لباريس ؟

– كلا ياسيدتى ، بل انى أقيم الآن فى باريس •• فقد عينت أستاذا فى المدرسة الحربية بها منذ أربعة أشهر •

– لك أربعة أشهر فى باريس ولم تحضر لزيارتنا بعد !؟

– اننى كنت أتتبع أخبارك باهتمام ياسيدتى ••

وعزفت الموسيقى رقصة الفالس المشهورة (فاوست) فاستأذنها فاراد فى الرقص معها ، فراقصته ٠٠ وفيما هو يثرثر معها خيل الى هيلين كأنها ترى أرمان واقفا بينهما ، وتمنت لو رآها الآن ، كى تتحقق شكوكه !٠٠ وتشجع فاراد من مسلكها فأخذ يعيد التحدث اليها عن حبه القديم وماسببه جفاؤها معه من آلام ، بحكم كونها المرأة الوحيدة التى أحبها فى العالم (!!)

وعاد فاراد الى منزله الكائن فى شارع دومنيك وهو عاقد العزم على أن يشبع نهمه من مدام شازيل بأية وسيلة !٠٠ وكانت هيلين قد قالت له فى نهاية السهرة انها تكون دائما فى منزلها بين الساعة الثانية والرابعة بعد الظهر ٠٠ فختم حديثه الى نفسه متمتما : «فالى الغد اذن !»

أما هيلين فحين عادت مع زوجها عقب السهرة بدرت منه هذه الملاحظة :

ـ لقد كنت أعتقد أنك تكرهين مسيو فاراد هذا ، ومع ذلك فانك لم تراقصى الليلة سواه ٠٠؟!

ـ أهذا يثير فيك الغيرة ؟

ـ أبدا ! ولكن الذى يدهشنى هو كيف يتحول الانسان فى مشاعره من النقيض الى النقيض ؟!

ـ اننى دائما أفعل مايحلو لى !

◆ وبعد ظهر اليوم التالى ، وبينما كانت هيلين ماتزال فى غرفة نومها ، اذا بالخادم يدق باب حجرتها ليسألها اذا كانت تستطيع أن تستقبل مسيو فاراد !٠٠ فأجابته على الفور :

ـ أدخله الى حجرة الاستقبال

وبعد برهة نزلت هيلين الى حيث كان فاراد فى الانتظار ٠٠ وما أن رأته حتى مدت يدها لمصافحته وهى تقول: «كم هو ظريف منك أن تحضر لقضاء بعض الوقت معى ؟!»٠٠ ثم أجلسته على نفس المقعد الذى اعتاد أن يجلس عليه أرمان

ليكذب عليها ويدعى أنه يحبها ، كى يشبع رغبتـه منها !٠٠ فقد أدركت التعسة المسكينة أن لحظة الانتقام منه قد دنت !

وتمددت هيلين على المقعد المستطيل المواجه لفاراد، وأخذت ترمقه بعينين تائهتين شاردتين ٠ ولم يغب عن فاراد أنها لم تكن فى حال طبيعية !٠٠ فترك مقعده وجلس الى جوارها على المقعد المستطيل ، ثم أخذ يعيد على سمعها الاغنية المجوجة القديمة ٠٠ وتركته يتكلم : كم هو يحبها ، وكم هو تعس لبعادها عنه ٠٠ الخ ٠٠ وتركته يدنو منها ، ويلتصق بها ، مشدوهة مسلوبة الرشد !

ثم تركته بعد ذلك يفعل مايريد ٠٠ ففعل ما أراد !

نعم ! لقد استسلمت للرجل الذى تكرهه ، فى المكان الذى أبت أن تستسلم فيه للرجل الذى أحبته !

وهرول فاراد خارج المنزل كالبازى عليه سواد ٠٠ وبقيت هيلين ممددة كالجثة فوق المقعد المستطيل حتى المساء !٠٠

ماذا صنعت هذه التعسة الحمقاء ؟

وفى نوبة الصرع التى تملكتها ، وثبت الى ذهنها فكرة شيطانية : أن تذهب لمقابلة أرمان ٠٠ ليس غدا ٠٠ ولا فى المساء ٠٠ بل الآن ! الآن ! وفى هذه اللحظة بالذات وهى على تلك «الحال» ! انها ستبحث عنه فى كل مكان ، وستجده ٠٠!

وبعد دقائق كانت هيلين فى عربة تتجه بها الى شارع لنكولن !

الفصل الثامن : الصدق الكريه !

◆ **أخذت** العربة التى تقل هيلين تشق طريقها الى شارع لنكولن حيث يقيم ارمان ٠ وكانت هيلين تكاد تحترق لهفة على رؤيته ، لتقذف فى وجهه بالحقيقة المروعة والاعتراف الرهيب : «الآن فقط أصبحت عشيقة دى فاراد !» ٠٠ هل يستطيع أرمان أن يكذبها حين تقول له : « لقد كنت طاهرة نقية عندما أحببتك ٠٠ أما الآن؟»٠٠ وكيف يكذبها وفى يمينها دليل لايدحض : اذا كانت تجرؤ اليوم على الاعتراف بهذه الخطيئة فأى باعث كان يدفعها على انكارها بالامس ، الأنها كانت بالامس اتهاما ظالما وافتراء آثما ٠٠ أما اليوم فهى الحقيقة البشعة والصدق الكريه ؟!

٠٠ بذلك ستحمل هيلين هذا الفاجز مسئولية ما ارتكبت، فهو الذى دفع بها الى هذا المصير وألقى بها فى هذه الهاوية ، وسيكون اعتراف هيلين بمثابة حربة مسمومة تستقر منه فى الضمير !

وصلت العربة الى المنزل المرموق فنزلت هيلين وسألت البواب بصوت مبحوح : « هل البارون دى كيرن فى منزله ؟ » فأجاب بالايجاب !؟

صعدت هيلين درجات السلم وضغطت باصبعها الجرس ، ففتح الخادم الباب وأدخلها الى حجرة الاستقبال ، وحينئذ جاء أرمان ليفاجأ بوجوده وجها لوجه أمام هيلين !٠٠ وبدون أن ينطق بحرف قدم لها مقعدا لتجلس ، فقالت فى جفاء ملحوظ :

ـ لاداع !٠٠ ان ما أريد أن أقوله لك لن يستغرق وقتا طويلا !

ـ ان من واجبى أن أعتذر ، فقد كان ينبغى أن أزورك بعد عودتى من السفر ، غير أن مشاغلى الكثيرة عاقتنى ، سيما واننى أعتزم السفر الى لندن فى آخر هذا الشهر

– لا تكلف نفسك عناء الاعتذار ٠٠ لماذا تريد زيارتي ؟ لعلك تريد أن لا تعرض سمعتي للقيل والقال بعد انقطاعك ؟٠٠ فاذا كان الامر كذلك فأنا أعفيك من هذا العمل الذى تستدعيه اللياقة !٠٠ لماذا تريد زيارتى ؟ هل لتعيد على مسمعى أنك لم تعد تحبنى ، وأنك لم تكن تحبنى قط ، ولتراني أتعذب ؟٠٠ أنا لا أظن أنك شيطان الى هذا الحد ٠٠ لقد قلت لى كل ماكنت تود أن تقوله ٠ لاتخف ، فانني لم آت اليك لاستئناف ذلك الحديث البغيض الذى جرى بيننا فى هذا المكان فى آخر لقاء »

– تكلمى اذن ! فانني منصت اليك ؟!

– فى تلك المناقشة التى جرت بيننا – والتى أعود فأكرر أننى لاأود استئنافها – قلت لى انك تعرف حياتى وماضى ٠٠ بل لقد حددت ماضى وربطته بعلاقة زعمت أنها كانت بينى وبين شخص عينته بالذات هو مسيو دى فاراد ٠٠ وادعيت بأن هذا الرجل كان عشيقى !

– لقد قلت لك انه ترامى الى سمعى هذا !

– بل انك سمعته وصدقته ٠٠!

– كيف أصدق هذه الاشياء ؟! لقد أخطأت فهمى ياهيلين أولعلنى أنا الذى أسأت التعبير

– على أية حال فانك اذا عدت الى سماع هذا الخبر مرة ثانية ، يمكنك فى هذه المرة أن تصدقه ٠٠ لانك تتلقاه الآن من مصدر لايرقى اليه الشك ٠ وهذا المصدر هو «أنا» !٠٠ نعم «أنا» ، فقد أصبحت بالفعل معشوقة فاراد ؟ هل أنت سامع ؟ لقد أصبحت معشوقة فاراد !

فأجابها الوغد الحقير :

– أنت مطلقة الحرية فى كل ماتعملين ، وهذا الذى تقولينه لايعنينى قط ٠٠ هل فى استطاعتى أداء أية خدمة أخرى لك الآن ؟

ـ لا تكلف نفسك عناء الاعتذار .. لماذاتريد زيارتى ؟ لعلك تريد أن لاتعرض سمعتى للقيل والقال بعد انقطاعك ؟.. فاذا كان الامر كذلك فأنا أعفيك من هذا العمل الذى تستدعيه اللياقة !.. لماذاتريدزيارتى ؟ هل لتعيدعلى مسمعى أنك لم تعد تحبنى ، وأنك لم تكن تحبنى قط ، ولترانى أتعذب ؟.. أنا لاأظن أنك شيطان الى هذا الحد .. لقد قلت لى كل ماكنت تود أن تقوله . لاتخف ، فاننى لم آت اليك لاستئناف ذلك الحديث البغيض الذى جرى بيننا فى هذا المكان فى آخر لقاء »

ـ تكلمى اذن ! فاننى منصت اليك ؟!

ـ فى تلك المناقشة التى جرت بيننا ـ والتى أعودفأكرر أننى لاأود استئنافها ـ قلت لى انك تعرف حياتى وماضى .. بل لقد حددت ماضى وربطته بعلاقة زعمت أنهـــا كانت بينى وبين شخص عينته بالذات هو مسـيو دى فاراد .. وادعيت بأن هذا الرجل كان عشيقى !

ـ لقد قلت لك انه ترامى الى سمعى هذا !

ـ بل انك سمعته وصدقته ..!

ـ كيف أصدق هذه الاشياء ؟! لقد أخطأت فهمى ياهيلين أولعلنى أنا الذى أسأت التعبير

ـ على أية حال فانك اذا عدت الى سـماع هـذا الخبر مرة ثانية ، يمكنك فى هذه المرة أن تصدقه .. لانك تتلقاه الآن من مصدر لايرقى اليه الشك . وهذا المصدر هو «أنا» !.. نعم «أنا» ، فقد أصبحت بالفعل معشوقة فاراد ؟ هل أنت سامع ؟ لقد أصبحت معشوقة فاراد !

فأجابها الوغد الحقير :

ـ أنت مطلقة الحرية فى كل ماتعملين ، وهذا الذى تقولينه لايعنينى قط .. هل فى استطاعتى أداء أية خدمة أخـرى لك الآن ؟

ـ لاتمزح ! ان عليك أن تصغى الى ـ اذ لاأقل من أن تصغى الى المرأة التى فقدتها ! ـ نعم ، لقد حسبتنى كنت أكذب عليك عندما كنت أؤكد لك أنك أول من أحببت ، وأنه لم يكن لى قبلك عشيق ‥ فهل تصدقنى الآن وأنا أقول لك ، وفى نفس المكان ، بأننى «أصبحت» عشيقة فاراد ‥ لكننى لم أكن عشيقته فى الماضى قط ؟‥ لقد عثرت عليه ، وسلمت نفسى اليه !‥ وها أنت ترى اننى لاأحاول التمثيل أمامك ، وأننى لأخشى احتقارك ‥ ولاأرغب فى استئناف علاقتى بك !‥ فقد دست كل شىء ولوثت كل شىء عندما جعلت لى علاقة بك فى الماضى ، غير أننى كنت يومئذ عفيفة شريفة · ولم يكن فى حياتى مايبعث على تبكيت الضمير ‥ كنت قد كرست نفسى لك وحدك !‥ هذا ما أريدك أن تعلمه ‥ ولك أن تقول لنفسك : «**لقد كنت عشيقها الاول ، وكانت تحبنى حبا مثاليا لاشائبة فيه ‥ فماذا صنعت بالمرأة التى أحبتنى كل هذا الحب ؟ لقد صنعت منها مخلوقا فقد ايمانه بكل شىء ‥ صنعت منها امرأة تتخذ لنفسها عشيقا ثانيا وربما ثالثا ورابعا ‥ صنعت منها امرأة ضائعة !‥» ومرة أخرى أقول لك انك أنت السبب فى ضياعى ‥‥ ان استقرار هذه الحقيقة فى قلبك هو سبيلى الوحيد الى الانتقام : انى امرأة ضائعة ، هل تسمع ؟ ضائعة ‥ ضائعة ‥ ضائعة »؟!**

فاهت هيلين بهذه العبارات وقد استبدت بها حمي الغضب والالم ، ومادت بها الارض فاذا بها تسقط سقطة عنيفة وهى تئن أنينا موجعا وتنتحب انتحابا مرا ‥ أحس معه أرمان فجأة كأن نصلا حادا ينفذ الى أضلاعه فيشعره بالالم والندم !‥ واذا هو يجثو على ركبتيه ليحاول انهاضها وهو يصيح : «هيلين ! اشفقى على ولاتبكى هكذا ‥‥ انهضى ! انهضى !»‥ فنهضت آخر الامر متثاقلة متباطئة ، وارتمت على أحد المقاعد

وهى تغمغم : «لقد انتهى كل شىء ٠٠ انتهى الى غير رجعة ! لماذا صنعت بنفسى هكذا ؟ لقد فقدت الصواب ، فلم أكن أعى الا شيئا واحدا : وهو أننى أحبك !٠٠ يالى من تعسة ، ماذا صنعت بنفسى ؟ لماذا لم آت اليك لاستعطفك كى تعيدنى اليك ، فربما كنت أفلحت فى اقناعك ؟٠٠ أما الآن فقد انتهى كل شىء ٠٠ ابتعد عنى ! لاتلمسنى٠٠اننى لاتقزز من نفسى«الآن»!

قالتها ودفعته بيديها بعيدا ، فلم يكن عسيرا عليه أن يستنتج أنها كانت مع العشيق الآخر منذ وقت وجيز !.

وأمام هذه «المأساة» لم يستطع أرمان أن يحبس دموعه ! ٠٠ ولم يكن البكاء من طبعه ، فاسترعى ذلك انتباه هيلين ٠٠ فقالت له :

– اننى آسفة لعجزى عن عزائك ٠٠ فوداعا ٠٠ الى الابد هذه المرة !

وهرولت نحو الباب وأرمان يتبعها صائحا :

– الى أين أنت ذاهبة ؟

– اننى هاربة منك ٠٠

واندفعت الى خارج المنزل وأغلقت الباب وراءها ٠٠ بينما بقى أرمان مسمرا فى مكانه لايقوى على أن ينقل قدميه خطوة واحدة !

الفصل التاسع : تبكيت الضمير !

◆ **انقضت** بضعة أيام على هذه الفاجعة عندما تلقى ألفريد خطابا أرسله اليه أرمان من لندن يعتذر له فيه من عدم رؤيته وزوجته قبيل سفره لكثرة مشاغله !

وفى لندن انقضت الايام والاسابيع عليه لايغمض له جفن ، ولايهدأ له بال ، ولايرحمه الضمير !٠٠ لقدشيع نفسا طاهرة بريئة الي القبر ، وسار في جنازة امرأة لم تقترف اثما

سوى أنها أحبته حبا جاوز كل حد !٠٠ ودفع الى حمأة الدنس مخلوقا كان قبل أن يعرفه ناصع الطهر والبياض كالثلج !٠٠ فكيف السبيل الى العزاء ؟٠٠ وكيف السبيل الى انقاذ هذه النفس التعسة من الانحدار ؟

ستة أسابيع قضاها أرمان فى لندن وحيدا ، على هذه الحال !٠٠ ستة أسابيع كانت حياته خلالها جحيما لايطاق : فجريمته تلاحقه فى صحوه ورقاده ، وقيامه وقعوده ، كأنها قطعة من جسمه وعضو من أعضائه لايستطيع منها الخلاص !٠٠

كيف الخلاص ؟ ولماذا لايرحمه الله ؟ أليس هو أولى بالرحمة من سواه ؟٠٠ ومن أحق بالرحمة من خاطىء ٠٠ آثم سفاح ؟

فى هذا البحران من الالم لم يجد أرمان الامتنفسا واحدا لكربته ، ومخرجا واحدا له من غمته : هو أن يعودالى باريس ليرى هيلين وألفريد ولو مرة واحدة ٠٠!

لماذا لايجرب هذا العلاج ؟ فليعد اذن الى باريس ٠٠!

❖

◆ **عاد** أرمان الى باريس فأحس لمجرد رؤيته شوارعها ومعالمها بأنه يتخفف من ثقل أحزانه ٠٠ حقا ما أجمل باريس ! ٠٠ غير أن نفسه كانت حزينة حتى الموت وهو فى طريقه الى شارع لارشفوكو لزيارة صديقيه «ألفريد وهيلين» !٠٠ وكانت الساعة قد شارفت الثانية بعد الظهر عندما أعلن الخادم الى هيلين خبر قدوم «البارون دى كيرن» ٠٠ فجاءت لتلقاه فى حجرة الاستقبال التى كان ينتظر فيها ، والتى طالما دخلها ، لا كمايدخل الاصدقاء ، بل كما يسطو اللصوص !٠٠ فلماوقع بصره عليها هاله مارآه من شحوبها وضمورها ٠٠ فقد غارت عيناها ، وتقوس كتفاها ، وكست صفرة كصفرة الموت خديها اللذين طالما انبثق منهما وهج الحب والشباب ٠٠٠

وجلست هيلين على مقعد دون أن تنطق بكلمة ، وجلس هو على مقعد آخر قريب منها ٠٠ ثم أمسك بيدها فى رفق ، وقال :

– لقد جئت أطلب منك الغفران !

– اننى لاأضمر لك حقدا ، فان الغلطة لم تكن غلطتك ! ٠٠ انى عانيت كثيرا من هول المـــرض ٠٠ لكننى «أردت» أن أعيش لاجل ولدى ٠٠٠ ولاجلك أنت أيضـــا ، حتى لايرزح ضميرك بموتى تحت عبء من الالم جسيم !

كان وقع عبارات هيلين على سمع أرمان كأنها العفو صدر على محكوم عليه بالاعدام !٠٠ فأجابها :

– لكم تسببت فى تعذيبك ؟

– لا تلم نفسك على مافعلت ٠٠ فان هذا العذاب كان لى سفينة النجاة ٠٠ فعندما افترقنا آخر مرة ، كما لاشك تذكر ، عدت الى هنا كالمجنونة ٠٠٠ ولازمت الفراش عدة أيام ، كنت أرى أثناءها عينى الرجل الذى خنته ، زوجى ، وهما لاتكفان عن النظر الى فى عطف وحنان !٠٠ وبدأت ألمس الاضرار التى سببتها لكل من حولى ٠٠ وأحس بالخزى يغمرنى من الرأس الى القدم ٠٠ وأمام شبح الموت الذى كان يتراءى لى فى كل لحظة أقسمت أن أبذل ماتبقى لى من جهــــد كى أعود امرأة شريفة كماكنت !٠٠ ان حياتى الآن لم يعد فيهـــا وجود الا لشخصين : ولدى وزوجى !٠٠ وأحسب من حقى أن أطالبك – مقابل ماقد منحتك من ذات نفسى وروحى – بوعد سيكون بمثابة تذكارك الاخير لى ٠٠ وأقول « الاخير » لانه يتحتم أن لايرى أحدنا الآخر بعد هذه اللحظة !٠٠ **أما هذا الوعد الذى أطالبك به فهو أن لاتدوس بقدميك قط على قلب امرأة !٠٠وأن تحترم العاطفة الانسانية الكريمة حيثما وجدتهـــا ، وفى أى قلب التقيت بها !»**

❖

سكت أرمان فلم يجب !٠٠ ان هذه العبارات التى كشفت له مدى التبدل الذى طرأ على نفسية ضحيته ، قد طمأنته وبددت قلقه الرهيب الذى عاناه طيلة أسابيعه الاخيرة فى لندن !٠٠ وهو قد أدرك الآن مدى البر الاسمى الذى تنطوى عليه عاطفة الشفقة ٠٠ فان شفقة هيلين على ابنها ، وزوجها ، هى التى أمسكت بذراعيها وجذبتهما الى الوراء قبل أن تسقط من حالق فى الهاوية التى ليس لها قرار !٠٠ وان حبها لهذا الابن وهذا الزوج ، هذا الحب النقى القوى ، هو وحده الذى سيضمد جراحات الماضى ٠٠ وهو الذى سيمكن هيلين من أن تعيد بناء حياتها من جديد ٠٠٠

أما أرمان فقد شعر بأن احساسا جديدا يولد فى تلافيف نفسه التى كانت حتى تلك اللحظة نفسا آسنة عفنة ٠٠ احساس يدفعه الى أن يحيا حياة جديدة نظيفة تقوم على احترام الآخرين ٠٠ وعدم الاستخفاف بقيم الحياة ٠٠ والايمان بآلام البشر !

حدث ذات يوم

من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ...

تنطوى صفحات التاريخ على قصص من الواقع الحى اروع من كل خيال .. بل انها كثيرا ماتكون المنبع الذى يستقى منه خيال الروائيين وحى الكثير من قصصهم واعمالهم الفنية الممتازة ..

لذلك رأيت أن اقدم لك فى هذا الباب باقة من قصص التاريخ الشائقة التى تجمع بين المتعة ، كمادة للقراءة الطلية .. والصدق ، باعتبارها حقيقة وقعت فعلا ذات يوم .. ثم العظة والفائدة الثقافية التى لا تجارى ..

وقد قرأت فى «كتابى» الماضى قصة «لوكريشيا بورجيا» سليلة السفاحين من آل بورجيا ، الذين نسج خيال القصاصين حولهم من تهاويل الدنس والمؤامرات وجرائم التسميم مالم ينسج مثله حول اناس من البشر .. !

واليوم اقدم لك فيما يلى قصة لغز قيصر روما القديم «تيبريوس» .. يليها فى الاعداد القادمة بعون الله : عشيقة نابليون (مارى فالفسكا) ، سبايا بيزنطة الجميلات ، مأساة «جوانا» ملكة اسبانيا التى جنت من الحب والغيرة ، نهاية الجنرال ناى (اشجع الشجعان) ، رحلة ماجيلان، قصة الليدى جين جراى، مأساة النسر الصغير (ابن نابليون) الخ

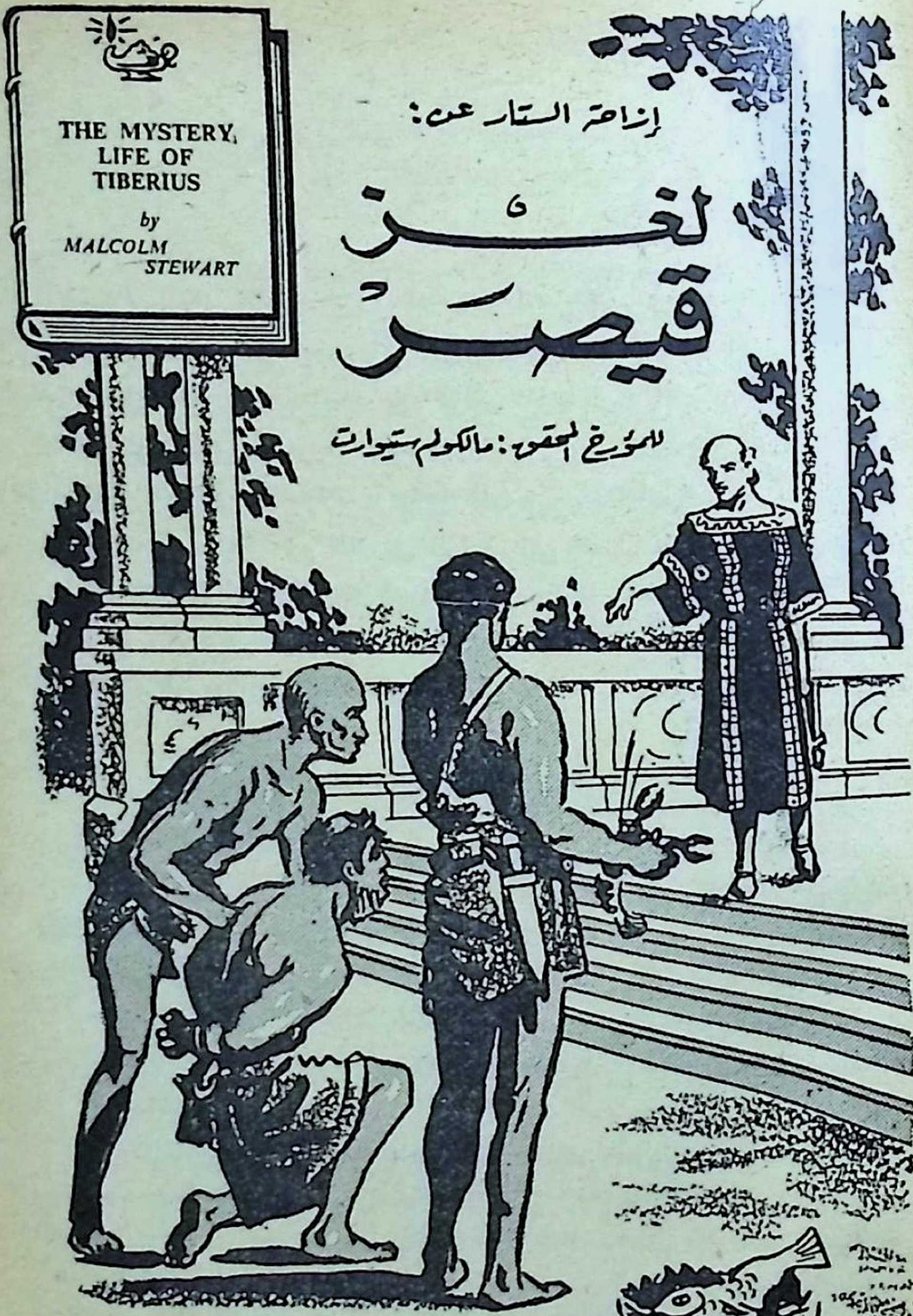
THE MYSTERY LIFE OF TIBERIUS
by
MALCOLM STEWART
إزاحة الستار عن:
لغز قيصر
للمؤرخ المحقق: مالكولم ستيوارت

اشترى المجد بالحب ! .. فعاش حياته يقاسى ويدفع الثمن !!

قتل خصمه والقى بجثته فى نهر التيبر .. فردت له الاقدار الكيل كيلين : قتل خنقا وهو يحتضر على فراش الموت !

لم يكن يجرى فى عروقه الدم الازرق .. ومع ذلك فان «سلاح المرأة» هزأ بجميع العوائق والعقبات ، فرفعه الى عرش القياصرة !

حملته المصادفة وهو طفل فى الرابعة الى قصر أعظم حكام الرومان .. ثم دارت عجلة الايام ، فاذا هو قد أصبح رب ذلك القصر !

فى قمة مجده ، وحين دانت له الدنيا وآلت اليه مقاليد السلطان .. فاجأ الامبراطورية باعتزاله الناس ، ونفى نفسه ـ اختياريا ـ فى جزيرة رودس !

أى سر غامض كان يكمن وراء هذا الاعتزال ؟

فتش عن المرأة !

عاصر العهدين الذين ينقسم اليهما تاريخ البشرية : عهد ما قبل الميلاد وعهد ما بعد الميلاد .. فعاش نصف حياته قبل المسيح .. ونصفها الثانى بعد المسيح !

اى انه عاصر المسيح .. فقال فيه المسيح حكمته المأثورة ، فى التفرقة بين مطالب الدنيا ومطالب الدين : « اعطوا ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله ! »

ولهذا المثل قصة :

كان «تيبريوس» يتربع فوق عرش القياصرة فى روما ـ عاصمة الدنيا الزاهرة يومئذ ـ وينيب عنه فى حكم ارض «فلسطين» المحتلة واليا رومانيا يدعى «بيلاطس البنطى» .. وكانت جولات المسيح فى اورشليم للدعوة الى دينه الجديد قد بدأت تثير ثائرة بعض طوائف اليهود (الفريسيين) ، فدبر بعضهم خطة للايقاع به وتسليمه لجلادى الرومان .. فكان ان تصدى له

هذا البعض ذات يوم اثناء اجتماع من اجتماعاته وسالوه على حين غرة ـ بين عشرات من الاسئلة الاخرى ـ هذا السؤال الماكر : «هل يحق لنا ان ندفع الجزية لقيصر ؟ »

وكانوا يقدرون انه لو اجابهم بنعم ، لاعتبره اليهود خائنا لهم ، ممالئا للرومان الغاصبين ! .. ولو اجابهم بلا .. اعتبره الرومان متمردا على احتلالهم، محرضا على عصيان قيصرهم ! .. ولو سكت عن الجواب بنعم او لا ، اعتبره السامعون قد افحم أو عجز عن الجواب .. فانفضوا من حوله !

فبماذا أجابهم ؟

قال لهم : «اروني دينارا من أموال الجزية .. صورة من هذه المرسومة على الدينار ؟ »

قالوا : « صورة قيصر ! »

قال : «اذن .. أعطوا ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله ! »

◆ وكانت الصورة المرسومة على نقود الرومان يومئذ : صورة قيصرهم « تيبريوس » !

فمن هو تيبريوس ؟ .. وما هى قصته ؟

انها لقصة شائقة ومخيفة معا ! .. قصة الرجل الذى لا ندرى أحالفه الحظ ، أم حالف هو الجريمة ، فكان كل من يقف فى طريق مطّامعه .. يموت فجاة ، فى ظروف غامضة !

كانت حياته ضربا من الغموض ، وشخصيته لغزا محيرا .. فعاشت الانسانية ألفى عام تنظر الى سيرته نظرة شذراء ، باعتباره متآمرا انانيا يطارد المجد والسلطان بلا هوادة ، ويضرب خصومه وينكل بهم بلا رحمة !

فهل كان حقا وحشا والغا فى الدم ، غارقا فى الدنس والرذيلة حتى اذنيه ؟

ام كان ضحية تعسة لكافة الوان الخيانة ، والغدر ، والافتراء ؟

وبعبارة اخرى : هل كان دوره ، فى شبكة المؤامرات السياسية الرومانية ، دور الحشرة البريئة التى تتخبط بين براثن العنكبوت ؟ .. أم دور العنكبوت الذى يفترس الحشرة المهيضة الجناح ؟

دعنى اقدم لك التاريخ فى صورة قصة ، فاقلب معك هذه الصفحات التى تزيح الستار عن كل هذه الغوامض والاسرار :

امرأة ذات طموح !

◆ **ولد** « تيبريوس » (Tiberius) سنة ٤٢ قبل الميلاد . وكانت أمه ليفيا (Livia) امرأة على نصيب كبير من الجمال ، والمقدرة ، والطموح ! .. **الطموح الذى جعلها تستغل نظرة اعجاب رمقها بها يوما ابن أخى يوليوس قيصر ووريثه المدعو «أوكتافيان» ـ الذى ارتقى العرش فيما بعد باسم « أغسطس قيصر » ـ فتلقى شباكها حوله حتى تفلح فى ايقاعه أسيرا لهواها .. وينتهى بى الامر الى تطليقها من زوجها (والد تيبريوس) ، فى هدوء ودون ضجة .. ثم اتخاذها زوجة له هو !** .. وقد ساعد العاشقين على بلوغ غايتهما هذه أن الزواج كان فى نظر الدوائر السياسية فى روما وقتئذ مسألة وفاق وتراض ، أكثر منه رباطا مقدسا !

وهكذا ، بفعل ضربة حظ عجيبة ، انتقل الطفل تيبريوس ـ وكان مايزال فى الرابعة من عمره ـ من بيت أبيه المتواضع ، الى قصر الرجل الذى كان الحاكم «الفعلى» للامبراطورية ، وأقوى رجل فيها ، من قبل أن يتولى عرشها .. !

لكن مستقبل الطفل تيبريوس لم يكن مع ذلك يبدو «مشرقا» للعالمين ببواطن الامور : فهو ـ أولا ـ لم يكن من أبناء الاسرة الامبراطورية الذى تجرى فيهم دماؤها الزرقاء .. وبالتالى لم يكن فرعا من «شجرة » وارثى العرش الرومانى .. وعلاوة على هذا كان الصبى خجولا منطويا على نفسه .. ولازمته طبيعته هذه حتى فى كبره ، فشب فتى متحفظا قليل الحيلة ، ليس فيه مايعجب السياسى الداهية الذى تزوجته أمه !

زواج حب !

◆ وبرغم كل هذه العوائق ، فان الام الطموحة «ليفيا» اعتزمت أن تقود خطى ابنها وترعى مستقبله ، بكل مافى وسعها .. فكفلت له من التعليم والتربية القسط الذى لايتاح

الا لامراء روما ونبلائهـا !٠٠
وحين كبر تيبريوس أتاحت له مجالا فسيحا فى كل من السلكين العسكرى والدبلوماسى، فأظهر الفتى فيهما نظرا ثاقبا وفكرا متزنا ، وقدرة على احتمال العمل الشاق ٠٠ بحيث لم يبلغ سن الرابعة والعشرين حتى عين حاكما لاحد الاقاليم !

وفى تلك الاثناء عقد الفتى زواجه على فتاة أحبها تدعى «أجريبينا» ٠٠ وكان زواجهما سعيدا ، لايعكر من صفوه غير اضطرار الزوج - بحكم عمله - الى التغيب عن بيته أياما كثيرة ٠ ثم لم يلبث الزوجان أن رزقا طفلا ذكرا ٠٠ ومضت الايام بالثلاثة على نحو هادىء ، لايبشر رب الاسرة بغير مستقبل عادى مستقر ، كرجل من رجال الادارة لاأكثر ولاأقل !

ولكن ، فجأة ، وقع ما أحدث فى حياة تيبريوس انقلابا شاملا ٠٠!

فقد كانت لزوج أمه «أغسطس» ابنة - من زواج سابق - تدعى جوليا ٠٠ وكانت جوليا متزوجة من ساعد الامبراطور الايمن وقائده الاول «أجريبا» ٠٠ وعلى حين غرة مات القائد ، وترملت ابنة الامبراطور ٠٠ فأصيب أغسطس بنكبة مثلثة : ترمل ابنته ، وفقده ساعده الايمن ، ثم الخسارة « السياسية » الافدح من هاتين الخسارتين ، وهى بقاء الدولة بغير ولى عهد أو وريث للعرش ٠٠ وكان القائد الفقيد هو الرجل الذى ادخره مولاه ليخلفه على العرش بعد موته ٠٠

وضاعف من حيرة الامبراطور وانزعاجه أن روما كانت خارجة لتوها من عاصفة الحرب الاهلية ، التى اقترنت بانقلاب نظام الحكم فيها من جمهورية الى امبراطورية ٠٠ فلم تكن الحالة تحتمل نزاعا جديدا بشأن السلطان ، يستنزف دماء أبنائها ويستنفد جهودهم ٠٠

من يتزوج الارملة ؟

◆ وعين أغسطس حفيديه الصغيرين ، ابنى جوليا ، كوريثين له ٠٠ لكن ذلك لم يحل المشكلة حلا كاملا ، فقد كان لابد من اختيار شخص رشيد ليكون وصيا على وليى العهد فيما لو مات القيصر قبل أن يبلغا سن الرشد ٠٠

ومن يكون هذا الوصى غير زوج الابنة ؟
لكن زوج جوليا قدمات ٠٠!
اذن فلابد من أن تتزوج الارملة مرة أخرى !

وللفور رأت زوجة القيصر الطموحة ـ ليفيا ـ فى هذه الملابسات فرصتها السانحة للاخذ بيد ابنها الحبيب ٠٠ فبدأت تلقى فى روع أغسطس أن هناك رجلا واحدا يصلح للزواج من جوليا : هو تيبريوس !

وقد عارض القيصر فى البداية هذه الفكرة : صحيح ان تيبريوس قد أظهر كفاية بارزة فى الاعمال التى أسندت اليه ٠٠ وصحيح ان أمورا ومؤهلات كثيرة كانت تزكيه ٠٠ وصحيح انه كان قويا ، وسيما ، ذاشعر جميل طويل متماوج يطلقه على عنقه كما كانت العادة الشائعة وقتئذ بين أبناء الطبقة الارستقراطية ٠٠ الخ ٠٠ لكن مزاياه وجمال مظهره هذا كانت تفسدهما « لخمته » وحركاته المرتبكة ٠ كان يسير منحنيا الى الامام ، مطأطىء الرأس ٠٠ وكان خشنا ، فظا ، شديد التحفظ ، بطيئا فى تكوين رأيه وتقرير أمره ٠٠ وبالاختصار ، فقد كان عسيرا على أى انسان أن يتعامل معه !

ولكن ، برغم ذلك ، لم يكن فى وسع أغسطس أن ينكر أن الرجل مع كل عيوبه كان قديرا ، يركن اليه ، محترما من جميع العاملين معه ، بل انه كان محبوبا حتى من مرؤوسيه ٠٠ وأخيرا فانه كان ابن ليفيا ، وكفى !٠٠ ومن ثم لم يكن بين غير المنتمين الى العائلة الامبراطورية من هو أقرب منه الى المركز المرموق ٠٠ فوق أن زواجه من جوليا كان كفيلا بالاحتفاظ بزمام السلطان فى أيدى القياصرة ٠٠

وهكذا نجحت ليفيا آخر الامر فى اقناع أغسطس ٠٠٠ لكن الاصعب من ذلك ، والابعد احتمالا ، كان اقناع تيبريوس نفسه !٠٠ اقناعه بتطليق زوجته المحبوبة التى كان شغوفا بها كل الشغف ، والتى لم تجن ذنبا !٠٠ وهنايحار التاريخ : ترى ماهى الحجج أوالاسلحة التى توسلت بها الام الى التأثير على ابنها كي يبيع الحب من أجل السلطان ؟

على أية حال ، وأياكانت الدوافع الذى أغرته بالقبول ، فان رضوخه ذاك لايحاء أمه كان غلطة رهيبة عاش تيبريوس يدفع ثمنها طيلة حياته !

ظل على التاريخ ٠٠!

◆ وقد أدرك تيبريوس غلطته ، لاول مرة ، بعد زواجه من جوليا بفترة قصيرة ٠٠ حين التقى بزوجته السابقة ذات يوم فى الطريق ، بمحض المصادفة ، فظل يلاحقها ببصره بعد أن مرت ، ذاهلا ٠٠ كالمأخوذ !٠٠ ومنذ تلك الساعة حرص المسكين على اتخاذ احتياطات شديدة كفيلة بالحيلولة دون تكرر ذلك اللقاء ، على أية صورة من صوره ، وفى أية مناسبة !

لكن الواقع أن تيبريوس لم ينس زوجته الاولى الحبيبة قط ، بل عاش بقية حياته تظلل قلبه سحابة من الاكتئاب ، ازدادت مع الايام كثافة وتلبدا ٠٠ حتي ألقت ظلها على التاريخ !

ولاشك أن زواج تيبريوس من جوليا قد خدم مستقبله أجل خدمة ، فقد بدأ يقفز منذ ذلك التاريخ من منصب الى منصب قفزات متوالية .. حتى عينه أغسطس سنة ٦ ، قبل الميلاد ، فى منصب Tribune **الذى كان من أرفع مناصب الدولة فى ذلك العصر** .. وكان ذلك تعويضا له عن متاعب مناصبه السابقة التى كانت ، برغم مكانتها الادبية ، تنطوى على الكثير من الجهد والارهاق — حتى لقد قضى صاحبنا أكثر أيامه خلال الستة عشر عاما السابقة فى الخيام المنصوبة فى ميادين القتال .. فى شتى بقاع الامبراطورية الرومانية المترامية الاطراف !

لغز .. ومفتاحه !

◆ لكن الذى دعا القيصر والقوم الى العجب حقا ، ان تيبريوس لم يكد يعين فى منصبه الجديد الرفيع ، حتى طلب من فوره أن يؤذن له فى مغادرة ايطاليا والاعتكاف فى جزيرة رودس — التى كانت وقتئذ مركزا مشهورا للعلم والمعرفة — كى يكرس حياته للدراسة والاستفادة من علم أساتذة اليونان المقيمين هناك .. !

ولم يفصح تيبريوس يومئذ لاحد عن سرقراره العجيب ، ولا قدم لمولاه أى ايضاح يبرر مسلكه .. فتحير «أغسطس» ، وثار ، وهدد .. بل أعلن لمجلس الشيوخ وهو يبكى أن «ابنه» قد خانه وخذله !.. ولكن لا دموعه هو ، ولا دموع ليفيا الحارة وتوسلاتها ، أفلحت فى صرف تيبريوس عن قراره !.. بل انه حين لمس فى القيصر ترددا فى الاستجابة لطلبه اعتزم أن ينتحر ، بالصوم عن الطعام !.. وشرع بالفعل فى تنفيذ فكرته ، فاضطر أغسطس الى الرضوخ لرغبته ومنحه الاذن بالرحيل .. لكن غضب القيصر من هذا التصرف الشاذالغامض جعل المطلعين يتوجسون خشية أن لايأتي اليوم الذي يسمح

فيه لتيبريوس بالعودة من « منفاه » الاختيارى !

◆ ورحل تيبريوس عن روما تحت ستارمن التخفى والسرية المطلقين ٠٠ وعاش الخمسة الاعوام التالية فى «رودس» فى عزلة فعلية ، مقطوع الصلة بكل زملائه القدامى ٠٠

فماذا كان سر هذا القرار العجيب الشاذ الذى اتخذه تيبريوس ؟٠٠ وماحكمة احتجابه عن ميدان السياسة العامة ، فى اللحظة التى بدأ فيها النجاح يتوج هامته بأكاليل الغار ؟

الجواب : جوليا !

كانت قد انقضت على زواجه منها أعوام خمسة ، قضى الزوج شطرا كبيرا منها خارج البلاد ٠٠٠ لكن شتى ألوان الشائعات المرذولة لم تنقطع مع ذلك عن أن تصك سمعه كل حين ، وهو فى ديار الغربة ، بشأن مسلك زوجته جوليا ٠٠ وشيئا فشيئا ، وبالتدريج ، استطاع أن يعرف حقيقة ماكان يجرى فى بيته ٠٠ فى روما !

كانت جوليا قد انغمست فى حياة التهتك والمجون ، بحيث صار مسلكها الفاضح ومغامراتها الغرامية الشائنة على كل لسان ، وموضع الحديث فى كل مجتمع !٠٠ والاسوأ من كل ذلك أن مغامراتهاهذه كانت تشوبها الصلة ببعض المؤامرات السياسية ، حتى لقد كان بين عشاقها من يتآمر على أبيها القيصر !

وهكذا عاد تيبريوس الى روما من احدى سفراته ليجد نفسه فى موقف خطير للغاية ، من جراء فضيحة جديدة لجوليا فاحت رائحتها فى الجو !٠٠ وأحس بالحرج : لم يستطع أن يشى بزوجته لدى أبيها ٠٠ وان أدرك فى الوقت نفسه أنه اذا لم يفتح فمه ليدلى بمعلوماته فانه لن يلبث أن يجد نفسه — ان عاجلا أو آجلا — متورطا فى كارثة !

ازاء ذلك لم ير أمامه غير طريق واحد يسلكه : أن يقتلع نفسه من الموقف كله ، وينأى بشخصه عن مواطن الشبهات !

يدرس الفلك .. ويستشير النجوم !

◆ وفى رودس ، عكف تيبريوس على دراسة علم الفلك ، وغيره من الهوايات !.. وفى تلك الفترة بدأ يحيا تلك الحياة المنحلة التى إنتهت ، فى ختام حياته العملية ، الى تلك الفظائع التى اتخذ مسرحا لها جزيرة «كابرى» ..

وقد قيل فى احدى الروايات ان السبب الحقيقى لاختفاء تيبريوس من روما لم يكن سوى أن زوجته جوليا قد وضعت بين يدى أبيها القيصر بضعة أدلة فاضحة بشأن حياته الاخلاقية ! .. لكن هذه الرواية تفتقر الى اثبات ، ولايستطيع الجزم بصحتها أحد .. **وانما الذى يمكن الجزم به ان الفضيحة حين انطلقت انما انطلقت حول جوليا نفسها .. وكانت من الخطورة بحيث أدت الى اعتقال عدد من أفراد حاشية جوليا والمحيطين بها ، والحكم باعدام نفر منهم ، وانتحار آخرين !.. أما جوليا ذاتها فقد طلقت من زوجها بأمر من القيصر ونفيت الى جزيرة بعيدة مدى الحياة !.. ومنذ ذلك التاريخ أبى أبوها ـ أغسطس ـ أن يشير اليها بحرف ، أو حتى يذكر اسمها !**

ويقال ان ليفيا هى التى فتحت له عينيه على مسلك ابنته ..!

القـدر .. أم السم ؟

◆ ومهما يكن من شىء فقد عاد تيبريوس من منفاه الاختيارى الى روما .. وكانت أمه صاحبة الفضل الاكبر فى سماح أغسطس له بالعودة ، فان هذه الام الجبارة الواسعة الحيلة كانت ماتزال تدبر الخطط وتحارب من أجل مستقبل ابنها !

ولم يكن موقف تيبريوس عند عودته الى روما «سهلا» ، كما قد يتصور .. بل انه كان أقل حظوة عند القيصر منه فى أى يوم سابق !.. والقابضون على زمام السلطة صاروا يعاملونه ببرود وجفاء ، ولم يسندوا اليه عملا يجعل مركزه

الرسمى يزيد عن كونه مجرد مركز اسمى !

وزاد الطين بلة أن ابنى جوليا من زوجها الاول كانا قد كبرا ، وبصفتهما وريثي أغسطس الشرعيين صارا يتقدمان عليه فى المكانة الرسمية ، فى شتى المناسبات !٠٠ وكانا يحقدان عليه بسبب ما أصاب أمهما ، فلم يتركا فرصة للدس له الا انتهزاها ٠٠ بل انهما لم يتحرجا عن تشجيع البعض على توجيه الاهانات العلنية اليه !٠٠

أماهو فكان عليه أن يتصرف بمنتهى الحذر ٠٠ فحاول أن يلتمس لنفسه العزاء عما يلقى من مكائد ، متذرعا بحكمة الفلكيين !٠٠ والفلك يوحى بالايمان بالقدر ٠٠ الذى كان من رأى تيبريوس أنه يتحكم فى كل شىء يتصل بمصائرنا !٠٠

ولعله كذلك حقا ٠٠ فقد مات كلا غريمى تيبريوس ـ ابنى زوجته جوليا ـ ميتة مفاجئة ، فى خلال بضعة أشهر !٠٠ وكان أمرا غريبا ، جعل الناس يتذكرون الوفاة الفجائية لزوج جوليا الاول أيضا ، القائد المحنك (أجريبا) !٠٠ لكأن الموت قد بات نصيبا محتوما لكل الذين يقفون فى طريق تيبريوس !

◆ **وبدأت الشائعة تزعم أن المسئول عن تلك الوفيات المفاجئة لم يكن القدر ، بل السم الزعاف !٠٠ وان يد «ليفيا» تكمن وراء تلك الحوادث !**

بل أضافت الشائعات أن ليفيا قد دمرت جوليا عامدة ، طبقا لخطة ماكرة رسمتها ، فشجعتها فى البداية على الانغماس فى مسلكها الفاضح ٠٠ ثم وشت بها !٠٠

وأضافت الاقاويل الى ذلك أن الذى دفع الام الى هذا الانتقام ماكانت جوليا قد اكتشفته من أدلة تلوث تيبريوس بتهمة شائنة ، لم يحددها مروجو هذه الشائعات !

◆ وبالطبع كان هناك كثيرون يهمهم نشر هذه الشائعات ، ومنهم أولئك الذين لم ينظروا بارتياح الى انقلاب روما من

جمهـــورية الى امبراطورية ٠٠ ومنهم الذين تآمروا ضــد أغسطس ، وساءهم الآن أن يروا تيبريوس وقد صار خليفته المحتوم !٠٠ ثم منهم ـ أخيرا ـ أولئك الذين أرادوا عودة الايام القديمة الحلوة !

لكن هؤلاء جميعا لم يصلوا الى مبتغاهم ، فقــد أجبرت الظروف أغسطس على اختيار تيبريوس خليفة له ٠٠ وخــلال السنوات الثلاث الاخيرة من حياته صار يشركه معه فى الحكم ٠٠ اتخذه بمثابة نائب له !

مات الامبراطور ٠٠ يحيا الامبراطور !

وبمجرد موت الامبراطور أغسطس ، سنة ١٤ بعــد الميلاد ـ وكان تيبريوس وقتئذ فى السادسة والخمسين ـ بدأ هذا ، برغم رزانته ، وتأنيه ، يتصرف من فوره بلاتردد ٠٠٠ فدعا مجلس الشيوخ الرومانى الى الانعقاد ، واصدار تشريع يمنحه السلطة المطلقة لاجل غير مسمى !

وأخذت المعارضة على غرة ٠٠ وخلف الكواليس أبعــد ابن جوليا ـ الباقى ـ عن الطريق ٠٠ بكل هدوء !٠٠ **أما ليفيا فقد عاشت لترى أحلامها تتحقق ٠ لقد جلس ابنها على عرش القياصرة ، وصار حاكما لاعظم امبراطورية فى الوجود ٠٠!**

لكن ثمار الانتصار ـ كما لايلبث أن يكتشف الكثيرون ممن يعيشون طويلا ويعمرون ـ ليست سوى ثمار ذات طعم مرير !٠٠ ومن هنا تركت الاخطار وصدمات خيبة الامل التى مر بها تيبريوس ، طابعها الواضح على وجهه ٠٠ وفى نفسه ! ٠٠ فاذا تحفظه وانطواؤه على نفسه قد تفاقما فصارا زهــدا فى النفوذ والسلطان ٠٠ ووجوما ، وشرودا !٠٠ لم يعد أحد يعرف على وجه التحديد فيم كان الرجل يفكر ؟٠٠ وحتى أمه ليفيا بدأت تكتشف بالتدريج أن نفوذها عليـــه قد تلاشى وتبخر ٠٠!

منقذ الامبراطور !

◆ ولئن كان هناك شخص قد حظى وسط تلك الزوابع بثقة الامبراطور ، فان هذا الشخص لم يكن سوى «سيجانوس» ، ضابط الحرس الوسيم اللامع الذكاء !..

كان سيجانوس ماكرا ، مبتكرا .. وكانت قد أتيحت له فرصة أنقذ فيها حياة الامبراطور ـ حين سقط بناء قديم كان يحتمى فيه تيبريوس ، فارتمى سيجانوس على مولاه وحماه من سيل الاحجار المتساقطة ! ـ فكان أن عرف الامبراطور له صنيعه .. أما الضابط من جهته فقد حرص على أن لا يدع شعور مولاه بفائدته يتناقص ..!

وأدركت ليفيا بفطنتها خبث طوايا «سيجانوس» ، واستئثاره بثقة ابنها ، فقامت بمحاولة جديدة لاسترداد سلطتها . طلبت « الاذن » لها بمقابلة تيبريوس !.. ما الذى دار من حديث بين الام والابن فى ذلك اللقاء ؟ لاأحد يعلم على وجه اليقين .. لكنه على أى حال كان حديثا ذاطابع حاسم مرير ، وكان ذلك اللقاء آخر لقاء بينهما !.. ومنذ ذلك اليوم ازداد الجفاء بين الاثنين ، بحيث لم يبذل تيبريوس أية محاولة لرؤية أمه حين رقدت بعد ذلك على فراش الموت !.. وكان ذلك ختام مأساتها : ان ارادتها التى لاتلين قد كافحت سنوات طويلة حتى رفعت ابنها الى قمة السلطان .. فلما ارتقى تلك القمة ، اكتشفت ليفيا لدهشتها أن أيامها قد ولت الى غير رجعة !

خيوط المؤامرة ..!

◆ وكان فشل ليفيا انتصارا لسيجانوس ، الذى انفرد الآن بأذنى تيبريوس ، يهمس لهما بايحاءاته كما يشاء !.. وكان من أول ماسعى اليه الماكر نقل مقر قيادة الحرس الخاضع له الى قلب روما ، كى تتاح له السيطرة عليها متى شاء ..

وكانت الخطوة التالية فى برنامجه هى اقناع تيبريوس بمغادرة روما ذاتها !

ومرة أخرى ، خفت الحوادث الى نجدته ، فقد مات فجأة ابن تيبريوس! ٠٠ فانفصمت بموته الصلة الباقية بين القيصر وبين زوجته الاولى ، الانسان الوحيد الذى أحبه !٠٠ وكانت هذه هى الضربة القاضية لتيبريوس ، فقرر أن يهجر روما الى الابد!

ووقع اختياره على جزيرة (كابرى) الجميلة ، وسرعان ما انتقل بحاشيته اليها٠٠فصارت الجزيرة مسرحا للنفى الاختيارى الغامض الذى فرضه الامبراطور على نفسه !٠٠ ومرة أخرى أحاط تيبريوس نفسه بالعرافين والمنجمين ، واستغرق فى غوامض الفلك وخفاياه ٠٠ بل لقد شيد لنفسه ١٢ « فيللا» ، كل منها خاضعة لبرج من أبراج علم الفلك !

ولكن لم تمض فترة وجيزة حتى توالت من الجزيرة الشائعات التى تروى قصصا رهيبة عن ألوان من القسوة وصنوف من الرذائل ترتكب فى «كابرى» !٠٠ كان الضحايا يخنقون ، أوتبتر أجسامهم ، أويلقون من القمم الشاهقة فوق الصخور ٠٠ وذات مرة أخطأ صياد قروى فاجترأ دون قصد على خلوة تيبريوس ، فماكان من هذا الا أن أمر بأن يحك وجه الصياد بزعانف السمك الذى اصطاده ٠٠ فجلب القوم بعض هذه الزعانف ومزقوا بها وجهه !٠٠ هذا الى عشرات من القصص الاخرى التى يأنف القلم من تسجيلها ٠٠!

◆ ولكن ، فيما الشائعات تتوالى من كابرى ، كان سيجانوس يعمل فى روما لبسط سيطرته على مقاليد الحكم بهمة لاتعرف الكلل !٠٠ حتى لم يعد تيبريوس يملك من النفوذ غير مجرد العلم بما يجرى هناك !٠٠ بل لقد عمد المتآمر الخائن الى القاء القبض على الابنة الوحيدة الباقية لجوليا ، ومحاكمتها سرا ، ثم نفيها الى جزيرة نائية ، مع أكبر أبنائها٠٠

فى الوقت الذى أغوى فيه زوجة الابن الثانى كى تعينه على الايقاع بزوجها ٠٠ الامر الذى ألجأ هذا التعس الى الانتحار !

ثم واصل سيجانوس اندفاعه فى طريقه الوعر ، بتهوره المعهود ، فطلب الاذن له بالزواج من أرملة ابن تيبريوس ٠٠ الامر الذى أيقظ شكوك هذا فى «منفاه» بكابرى : ترى الى أى هدف يسعى سيجانوس ؟٠٠ وأرسل القيصر رسله السريين يستقصون مايدبره المتآمر الوضيع ٠٠ فلما أيدت أنباؤهم شكوكه ، عكف الامبراطور على وضع خطته فى هدوء وروية : أرسل الى روما أحد أتباعه الموثوق فيهم ، وكان يدعى «ماكرو» ، حاملا الى سيجانوس رسالة توحى بأن مولاه يوشك أن يخلع عليه مزيدا من السلطة ويقلده منصبا أرفع !٠٠ وفيما هذا جالس فى مجلس الشيوخ يصغى الى من يتلو رسالة تيبريوس الطويلة الحافلة بالاطراء والوعود ٠٠ كان رسول القيصر يضع يده على مقاليد الامور فى مقر قيادة الحرس ٠٠!

◆ وفجأة ، ولدهشة سيجانوس ، تغيرت لهجة رسالة الامبراطور ، وبدأت تكيل له الاتهامات والحملات !٠٠ فى الوقت الذى أخذ فيه المحيطون به يتسللون من قاعة المجلس واحدا بعد الآخر !

ثم نهض القنصل العام فأمره بأن يقف على قدميه ٠٠ فأطاع وقد ابيض وجهه وارتعدت فرائصه !٠٠ **وقبل أن يعى من الامر شيئا وجد نفسه يقاد مقبوضا عليه الى السجن ، بتهمة الخيانة العظمى !**

وفى عصر ذلك اليوم ، وبين تهليل الجماهير الفرحة ، ألقيت جثة المتآمر الخائن فى نهر «التيبر» !

تشى بزوجها ٠٠ ثم تنتحر !

◆ **وتلا** ذلك عهد ارهاب ضد أعوان سيجانوس وممالئيه ٠٠ فحوكم المذنبون منهم ونفذ فيهم الحكم الذى يستحقونه ٠٠

وعندئذ فقط ظهرت الحقيقة الرهيبة ، أفظع الحقائق على الاطلاق بالنسبة لتيبريوس ! .. **فان فلذة كبده ، ابنه الحبيب الذى أنجبته له زوجته الاولى المأسوف على أيامها ، لم يمت ميتة طبيعية كما كان يظن .. وانما مات مسموما ، بيد زوجته ، بتحريض من سيجانوس .. الذى أراد « استئصال » جميع المرشحين لان يخلفوا تيبريوس ، واحدا بعد الآخر ! ـ وكانت أرملة الخائن سيجانوس هى التى وشت الآن به وأرسلت الادلة على جريمته الى مولاها .. ثم انتحرت !**

وهكذا انتصر تيبريوس على أعدائه ، واستتب له الامر .. ولكن ، فى سبيل ماذا ؟ وماذا جنى من ذلك ؟ جنى أنه عاش الاعوام الستة الباقية من حياته فى شبه كابوس رهيب مفزع ، يرتاب فى كل انسان ! .. وكان أقرب أقربائه وأولاهم بأن يخلفه بعد موته شاب أحمر الوجه كالفأر يدعى « كاليجولا » (وهو الذى بلغ من شذوذه حين صار قيصرا أنه عين « حصانه » قنصلا !)

وقد تردد تيبريوس زمنا طويلا فى أن يعينه خلفا له .. حتى مرض القيصر مرضه الاخير ، وأحس بدنو أجله ، فخلع خاتم القيصرية وسلمه الى الشاب .. ايذانا باختياره خليفة له .. !

◆ **لكن** كاليجولا استهل حكمه بجريمة قتل ! .. فقد كان أول أمر أصدره على أثر تسلمه صولجان سلفه ، أمره الى أحد أتباعه بقتل تيبريوس ، بواسطة

كتم أنفاسه بوسادة ٠٠ وهو فى فراش الموت !

وكانت تلك نهاية تيبريوس ٠٠ اختتمت بها صفحة حياته سنة ٣٧ بعد الميلاد ، وهو فى التاسعة والسبعين !

الراعى الصالح ٠٠ والخراف

فأى رجل كان هذا القيصر فى حقيقته ؟٠٠ كان شعاره فى الحكم : **ان الراعى الصالح ينبغى أن يعالج الخراف «بجز» فروتها، لا بسلخها٠٠ وحين مات ترك رعاياه فى حال من الرخاء لم يعرفوه من قبل ، ولا من بعد !٠٠ وكان حريصا أثناء حكمه على أن يجعل كل من تحت امرته من الحكام والجنود والموظفين فى جميع ادارات الحكومة فى حالة خوف دائم من انتقام رؤسائهم فيما لو اضطهدوا مرؤوسيهم من الرعية أوشجعوا الفساد والفوضى من أى نوع ٠٠**

◆ وكانت سياسته الاقتصادية الحازمة قائمة على تجنب فرض الضرائب الباهظة على رعاياه ، وتمكينه من اظهار كرمه نحوهم فى فترات الضيق والازمات الاستثنائية ٠ أما الامن العام ــ سواء في داخل ايطاليا أو خارجها ــ فكانت ترعاه وتكفله أيد حازمة قوية ٠٠ وبات القانون يطبق على الجميع فى كل مكان ، بعدالة وانتظام، بعد أن أدخلت عليه تعديلات وتحسينات كثيرة ٠٠ كما ضوعفت فى عهد تيبريوس الاصلاحات الاجتماعية والاخلاقية التى بدأها سلفه « أغسطس » ٠٠: وأما فى السياسة الخارجية فكانت سياسة الدولة فى عهده هى سياسة السلم، وقد اتبعت وطبقت بنجاح كبير ٠

وقصة حياة تيبريوس تعلم القارىء لها درسا هاما واضحا : أن لاشىء يفسد روح البشر مثل تهالكهم على السلطان ! ٠٠ وهى تنطوى أيضا على تحذير رهيب للبشر مما عساه يقع حين يعمدون الى اعطاء قيصر ٠٠ ليس فقط ما لقيصر ٠٠ بل وما لله أيضا ٠

إقرأ معى :

كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

تتحفنا مطابع العالم كل يوم بكل جديد شائق من الكتب الثمينة التى تحمل الى قرائها ثمار افكار مؤلفيها من الكتاب والمفكرين ، وتجارب المجربين ، ودراسات الباحثين ، وقصص الروائيين، وآراء قادة الراى فى مختلف الشعوب المتقدمة فى ركب المدنية ..

ولما كان وقتك قد لا يسمح لـك بمتابعة هذا الانتاج العالمى المتدفق ، وقراءة ما تتيسر لك قراءته منـه فى طبعاته المطولة ولغاته الاصلية .. فقد رايت أن اتولى عنك هـذه المهمـة ، فانتقى لك كل شهر كـتابا هاما مما اخرجت المطابع ، الخصه واعرض لك منه ابرز محتوياته واطرف صفحاته.. مراعيا فى اختياره تنوع المادة وطرافة الموضوع ، قدر الطاقة ، بحيث تقرأ فى هذا الباب مرة كتابا أدبيا لاندريه موروا، ومرة اخرى كتابا جديدا فى السياسة الدولية للصحفى العالمى «جون جنتر» مثلا .. وفى الشهر الذى يليه قصة عالمية جديدة لفرنسوا مورياك .. أو كتابا علميا لاينشتين .. أو سيرة شائقة لستيفان زفايج .. أو ذكريات ممتعة لاكسيل مونتى .. أو كتابا لبرنارد شو، أو برتراند رسـل ، أو أندريه جيد ... الخ

آراء غريبة في الحياة
للمفكر الإنجليزى المعاصر
جود
MORE
OPINIONS
by
CEM JOAD

هذا الكتاب

◆ منذ وفاة برنارد شو بات يتنازع تاج الفلسفة وزعامة الفكر فى انجلترا رجلان : «برتراند رسل» ، ودكتور «جود» .. وثانيهما ـ مؤلف هذا الكتاب ـ مفكر ذو نزعة ساخرة ، يخلط جده بالهزل ، ويميل الى التبسط مع قرائه ومريديه ، ومداعبتهم ، و «استفزازهم» بآرائه «الشاذة» التى تجمع بين العمق والبساطة ، وتسوق الفكرة الجريئة فى قالب التحدى الصارخ لاوضاع المجتمع المتعارف عليها و «تقاليد» التفكير العتيقة المتوارثة عن الاجيال السابقة ...

وللنساء مع « جود » معارك طريفة ، يتبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة ، ويتقاذفان بالحملات والاتهامات .. كما سترى فى جانب من الصفحات التالية ...

ومن رأى «جود» ان فترات التامل الصامت هى انجع فرصة لدراسة المشكلات ، وانفعها للبشرية .. وهذا الكتاب يفتح أمام ذهنك فرصا كثيرة للتامل ، والتفكير فى عشرات من الامــور والموضوعات الشائقة اللصيقة بحياة كل انسان : فهو يتحدث فيه عن السعادة .. والامل .. والالــم .. والفضائـــل .. والرذائل .. والحـب .. والنساء .. والاسرة .. والزواج .. والفراغ .. والشباب .. الخ

فاذا أفلحت هذه الآراء المتناثرة التى أعرضها عليك من الكتاب فى تنشيط ذهنك وفتح أبواب للنقاش والجدل بينك وبين مجالسيك .. فقد أدى الكتاب غايته وحقق هدفه .. سواء كان رأيك متفقا مع رأى المؤلف ، أو مخالفا له !

هل تبحث عن السعادة ؟

◆ فى قصة « ألدوس هكسلى » المسماة (نقطة ضد نقطة) فقرة ذات مغزى يقول فيها على لسان سيدة من بطلات القصة : «ان الحماقة الكبرى لشباب هذا الجيل أنهم لايفكرون فى الحياة

الا من زاوية السعادة ، فتراهم يتساءلون دائما : «كيف نقضى وقتا سعيدا ؟!» ·· أويشكو الواحد منهم متذمرا : « لماذا أنا لست سعيدا ؟ » ·· فالجميع يجرون وراء السعادة ، ونتيجة ذلك أنه لايوجد بينهم شخص واحد سعيد !

ورغم أن الجيل الذى وصفه المؤلف بتلك العبارة قد مضى وانقضى ، وخلفه جيل آخر ، فان ذلك الوصف مايزال يحتفظ بدقته وصدقه ، وهو ينطبق على الجيل الحاضر كل الانطباق ·· **فالسعادة ليست بالشيء الذى تنبغى مطاردته مطاردة مباشرة ، فانك اذا سعيت اليها وطاردتها ، فرت منك !·· ولعل خير « وصفة » أنصح بها من ينشد السعادة هى الوصفة القديمة المعروفة : (الانشغال بأمور أخرى) ·· بحيث لايجد الشخص متسعا من الوقت يتساءل فيه : «هل أنا شقى أم سعيد ؟!»**

◆ ويقول أرسطو : ان الحياة الطيبة هى فى أن يستغل كل انسان مواهبه الى أقصى حد ·· فنحن حين نشغل وقتنا فى أشياء تستحق الانشغال بها ــ سواء كانت حصاد زراعة ، أوتأليف كتاب ، أو اطعام طفل ــ نحس بعد أن ننتهى منها وننظر الى الوراء ، بأننا « كنا » سعداء !

فالسعادة اذن هى ثمرة النشاط ، أو هي كما قال أرسطو : أشبه بالحمرة على وجه الشاب المكتمل الصحة ·· فكما ان هذه الحمرة تعتبر دليلا على الصحة ، كذلك السعادة تعتبر دليلا على حسن البلاء فى الحياة ·· ونحن لو ركزنا اهتمامنا فى أنفسنا لاصبحنا كتلا من الانانية والعصبية والشكوى من الحياة !·· ولكن ، انس نفسك ، واشغل وقتك ونشاطك بقضية عامة ، وابذل آخر قطرة من مقدرتك فى العمل والتعاون المنظم مع زملائك ·· أوبعبارة أخرى تسام بنفسك عن مستنقع الانانية والشهوة والتفاهة ــ الذى هو نفسك ! ــ بانغماسك فيما هو أعظم منها ·· ثم تلفت الى الوراء فى أية لحظة ، تجد أنك كنت سعيدا !

فأنت لن تستطيع اقتحام مملكة السعادة بالقوة ، وانما كل ماتستطيعه أن تدخلها مصادفة ، فى الوقت الذى تكون فيه ميمما وجهك شطر هدف آخر !٠٠ فالسعادة اذن تأتى دائما فى صورة مفاجأة أوحادث عرضى ٠٠ فهى ليست منزلا يستطيع الانسان أن يبنيه بيديه ، وانما هى أشبه بأنشودة تسمعها وأنت تتسلق هضبة ثم تنحدر منها الى الجانب الآخر فيموت صداها فى أذنيك !

وهذا ـ فى رأيى ـ هو السبب فى أن الكثيرين كانوا سعداء أثناء الحرب ٠٠ فقد كانوا مشغولين ومنهمكين على الدوام فى أمور يؤمنون بها ، وتستحق فى نظرهم عناء الانشغال بها ٠٠

ومما يؤيد هذه النظرية أن نسبة حوادث الانتحار بين الاغنياء البلداء الذين لم يكن لهم عمل غير التسكع على شواطىء الريفييرا قبل الحرب ، تفوق نسبتها بين الفقراء فى أى حى تعس من أحيائهم !

تجنب الافراط ٠٠ فى أى شىء !

◆ وثمة نصيحة أخرى هامة للراغبين فى بلوغ السعادة ـ والرغبة فى السعادة «واجب» ينبغى أن لايهمله انسان متحضر ـ وهذه النصيحة هى : لاتفرط (من الافراط ، لا التفريط) فى أى شىء ٠٠ وهو مبدأ كان من أحب المبادىء وأهمها عند فلاسفة اليونان ٠٠ وأنا أضيف اليه مبدأ مكملا عكسيا ، هو : «خذ نصيبك المعتدل من «كل» شىء ! »

وتعليل ذلك واضح : فان لكيانك جوانب متعددة (هى: الجسد والعقل والروح والحواس) فاذا أنت أهملت جانبا منها اهمالا تاما ، فان هذا الجانب المهمل سوف يحتج ويتذمر ، وينغص عيشك ـ وقد لاتعرف مصدر هذا التنغيص والشقاء ! ٠٠ واذن فعلينا أن نطيع جميع مطالب طبيعتنا ، ولكن على أن لايتحكم مطلب منها فى طبيعتنا !

وإذا أردت أن تعرف ماهى مطالب طبيعتناهذه ، علىوجه التحديد ، فاذكر جميع الشواغل التى اهتم بها الانسان منذ آلاف السنين حتى صارت متأصلة فى دمه .. **فخذ قسطا من كل من هذه الشواغل : صل قليلا ، ونافس غيرك قليلا ، والعب قليلا ، واحفر فى الارض قليلا ، واسبح فى الماء قليلا ، وتشاجر قليلا ، واستمتع بالحب قليلا ، واركب السفن فى البحار قليلا ، وارقب الفصول تتعاقب والبراعم تنبت فى الاغصان .. وشارك فى الحصاد قليلا .. تحس أنك سعيد !**

◆ ولكن حذار من أن تطاوع أية رغبة من رغباتك حتى تستعبدك !.. وانما عليك أن تتعلم متى يحسن بك التوقف عند حدك والتصدى لرغباتك .. والاهم من ذلك أن تتوقف وأنت ماتزال راغبا فى الاستمرار ، قبل أن تسأم الشىء أو تمله .. وتطبيقا لهذا ، لاتدخن السيجارة الاخيرة ، ولا تشرب كأس الخمر الثالثة .. وكف عن تقبيل فتاتك وأنتما راغبان فى مزيد من القبلات !

ونصيحتى اليك - اذا أردت أن تسعد - أن تضع ثقتك فى الاشياء ، لا فى الاشخاص .. فالجمادات ، بعكس البشر ، لاتتغير ، ولا تخذلك !.. وقد قال «وليم هازلت» : ان فى الحياة ثلاث متع فقط ، دائمة ، نقية ، وكلها تنبع من جمادات . وهذه المتع هى : الكتب ، والصور ، ووجه الطبيعة !.. وأنا أضيف اليها متعا أخرى ، هى : الموسيقى ، والشطرنج ، والطعام ، والشراب !.. ثم هناك جمادات أخرى تسعدك ، هى : جمع المال ، والعمل .. العمل من أى نوع .. فالعمل أمتع من كل متعة ، لانه يشغل الكثير من مواهبك . والطريقة الوحيدة لتجنب شعورك بالتعاسة هى - كماذكرت لك - أن لاتعطى نفسك فرصة أو فراغا كى تسائل نفسك عما اذا كنت سعيدا أم شقيا !.. ولكن حتى العمل يجب أن لاتفرط فيه أكثر من اللازم ..

السعادة والمال ..!

◆ هناك فكرة شائعة تقول ان الحياة السعيدة تعتمد على انفاق المال ، وانك لكى تعيش سعيدا لابد لك من مال تدفعه للاشخاص أوالملاهى التى تتولى تسليتك ... الخ

وأنا لاأصدق هذا الرأى لحظة واحدة .. فأنا أريد المال لثلاثة أغراض - علاوة على ضرورات المأكل والملبس والمشرب - وهذه الاغراض الثلاثة هى : الكتب ، والموسيقى ، والذهاب الى الريف كلما استطعت ، وقضاء أطول مدة ممكنة فى أحضانه .. وقد مرت بى أزمات مالية فضلت خلالها الاستمتاع بهذه «الكماليات» الثلاث ، على بعض مايسمونه ضروريات : مثل ارتداء الثياب اللائقة ، والتردد على حمامات السباحة ، وقص الشعر !

فأنا لاأعتبر شراء الثياب الجديدة زينة ، ولاضرورة ، وانما أعتبرها مضايقة كريهة . وقد أدى بى هذا الرأى الى أن اعتبرنى الكثيرون « عديم العناية بملبسى».. وقد أفادنى ذلك فى اختيار أصدقائى أو معارفى ، فقد صرت أعتبر كل شخص ينتقد ثيابى ، غير جدير بأن أعرفه أوأصادقه .. لان « الرجل» الحق ينبغى أن لايعبأ بملبسه الا الى حد معتدل ، ومعقول ..

الحب درجات ثلاث !

◆ ومن حديث السعادة أنتقل الى حديث الحب .. وهو انتقال طبيعى ومألوف !.. فعندمايكون الشخص عاشقا ، يكون اما سعيدا جدا .. أوشقيا للغاية !

ولكن ماهو الحب ؟

أعتقد أنى أعرفه ، لكننى لاأعرف كيف أصفه .. فالحب قد جعل كى نستمتع به ، لا كى نصفه ! .. وفى هذا المجال تثب الى الذهن جميع التعريفات التى قيلت فى الحب ،

ومنها : « **الحب مرض ، والزواج هو المصحة التى نعـالج منه فيها !**» •• أو « **الحب هو «الطعم» الذى تضعه الحياة على طـرف صنارتها ، كى تغرى الرجل والمرأة باتخاذ الخطوة التى تكفل استمرار النوع !**» •• وفى وسعى التمشى مع هـذه الاقوال البارعة ـ على حسـاب الحب ـ الى آخر الكتاب •• لكن ذلك لايجدينا نفعا،فماهذه التعريفات الأقوال‌صدرت من «الفاشلين» الذين يعوضون فشلهم بصب جام غضبهم على الحب !

وفى رأيى أن الحب على درجات ثلاث :

الحب الحيوانى : حب الحيوانات ، أوالماشية ، أوالدواجن لبعضها البعض •• والحب فى هذه الدرجة يكون ظاهـرة بيولوجية (عضوية) ، ومسألة تتصل بالجسد وحده ، هدفها استمرار النوع فحسب •••

◆ **والدرجة الثانية من درجات الحب هى : الحب البشرى** ، وهو مسألة تتصل بشخصية الانسان كلها ، بما فيها جسـده ـ وان كانت الجاذبية الجسمية هى أساسه بالطبع • وهـذا الحب البشرى تعتبر جاذبية الجنس فيـه جزءا من كل ، وهـذا «الكل» يشمل : العقل ، والروح ، والذوق •• الخ ـ وهـذا النوع من الحب هو من أفضل ما «يصيب» الانسان فى‌حياته •• وهو يصيب أكثر البشر ، ولو أنه يندر أن يستطيع انسـان الاحتفاظ بنشوته القصوى !•• وهذا طبيعى ، فأنت تستطيع الصعود الى قمة جبل شـاهقة ، لكنك لن تستطيع أن تعيش فوقها طويلا !•• وانما سوف تضطر عاجلا أوآجلا الى النزول الى السفح ، كى تخوض مع محبوبك متاعب الحياة اليوميـة ومشكلات شراء الاثاث ، واستئجار البيت ، وانجاب الاطفال ، وتربيتهم ، واقتصاد المال للانفاق على تعليمهم ، والباسـهم الثياب اللائقة التى يلبسها جيرانهم •• الى غير هذه التـوافه والتفصيلات المعروفة باسم : الزواج !

وهنا تكون العاطفة الحارة قد هدأت حدتها ، والاسد المزمجر قد استأنس فصار قطا أليفا لطيفا ٠٠ وتحول «حب» المواعيد الغرامية والفراق الذى تكتنفه اللوعة ، الى « حب » السهرة العائلية بجوار المدفأة، وصداقة « الشريكين » ، اللذين ربطت بينهما ودعمت صلتهما عشرات المصالح المشتركة ، والذكريات المشتركة ، والآمال والآلام الواحدة ٠٠ والاطفال !

◆ **وأخيرا هناك الدرجة الثالثة من درجات الحب : الدرجة التى نجد الحب فيها قد سما فوق جذوره فى الجسد ، وألقى عنه أغلال الشخصية ٠٠ وصار روحانيا محضا !٠٠** والانسان حين يحب حبا روحانيا ، يحب أسمى ماتستطيع الروح ادراكه : يحب الجمال فى الإدب ، والصور ، والانغام ٠٠ يحب جمال الطبيعة ٠٠ وفى القمة العليا يحب : الله !٠٠ ونحن قد نفهم هذا الحب الروحانى ، حب الفنان لرؤياه ، حب الباحث للحقيقة ، حب القديس لله ٠٠ بل اننا قد نستمتع به فى بعض الاحيان ، لكننا لانستطيع أن نحتفظ به ٠٠٠

آلام الحب !

◆ ومايسمونه آلام الحب ، أو عذاباته ، أوأشجانه ٠٠ تصيب الانسان فى الدرجة الثانية من درجات الحب ٠ **ومن الاعراض التقليدية المميزة لهذه الآلام أن الشخص الذى يقاسيها يعجز عن التصديق بأنها سوف تنتهى يوما وتنطفىء نارها ٠٠!**

وأذكر أنى فى آخر مرة قاسيت فيها آلام الحب ، أوبعبارة أخرى خديعة المرأة ــ وكان ذلك منذ ربع قرن ــ مضيت الى أحكم رجل أعرفه، وكان « برتراند رسل » ، وسألته ماذا أفعل ؟٠٠ وكم ساءنى ــ وأنا الذى كنت وقتئذ أفكر جديا فى الانتحار ــ أنه لم يبال كثيرا بشكواى، ولا كان عنده علاج يصفه لى، بل اكتفى بأن قال : « رغم أن ألمك الحالى يخيل اليك أنك فى الجحيم ، فانه لن يطول ! »

ولم أصدقه طبعا ٠٠ واتهمته بقسوة القلب وجفاء العاطفة ٠٠ لكن ماقاله قد تحقق !٠٠ وحين تبدأ آلام الحب فى التناقص ، يحسن بالمحب أن يبادر الى اتخاذ عدد من الهوايات المختلفة ، الكثيرة ما أمكن ، فان كثرة الهوايات هى أحسن ضمان - أوصمام أمان - يكفل عدم استبداد هواية واحدة أوعاطفة واحدة بالانسان !

فلتلجأ فى هذه الحالة الى الموسيقى ، والكتب ، والرحلات، والرياضة ، والشطرنج ، أوالبريدج ٠٠ ثم لتلجأ الى نساء أخريات ، كى تداوى الداء بالداء ٠٠ لكن ذلك كله يكون عديم الجدوى أثناء حدة الازمة ، ولاتبدو له فائدة الا حين تبدأ آلام الحب فى التراجع ، ويبدأ القلب فى التبلد .

وخير نصيحة أوجهها الى الرجال فى هذه المناسبة هى : اياك أن تجرى وراء سيارة أوتوبيس ، أو امرأة !٠٠ فلئن فاتتك واحدة فهناك غيرها كثيرات !٠٠ وهذه النصيحة لاتسرى فى زمن الحرب طبعا ، حين تقل سيارات الاوتوبيس ٠٠ وتقل النساء !٠٠ أوبالاحرى يكثر الرجال !

خطابات الحب ٠٠!

◆ ماذا ينبغى أن نفعل بخطابات الحب القديمة ؟ هل نحتفظ بها ؟ أما أنا فقد احتفظت بماعندى منها ، كيما أجد فيها مسلاة لى ومضيعة لوقت الفراغ فى شيخوختى ٠٠ علاوة على مافى مطالعتها يومئذ من شحذ للذهن وتنشيط للتأملات الفلسفية ٠٠ **فانك سوف تتذكر انفعالاتك القديمة ، ومرارة ساعات الانتظار التى قضيتها على الارصفة موزع النظرات بين الاتجاهات التى تتوقع قدوم حبيبتك منها ٠٠ وتتذكر نشوتك فى حضورها ، ولوعتك فى غيابها** ٠٠ فيخيل اليك أن ذلك كله لم يحدث ، من فرط تقادم العهد عليه ، لولا أنه مسجل فى هذه الخطابات ٠٠ هذه السجلات التى لاتكذب ، التى تنطوى

بين صفحاتها مسراتك القديمة .. وحماقاتك .. وعذابك ، الحلو المر !.. ومتعك الموجعة ..

وخطابات الحب تذكرك أيضا بالنساء اللواتى أحببتهن لفترات قصيرة ، بحيث نسيت أمرهن ، ووجوههن ، وقصصهن معك ..

وأخيرا ، فانك بقراءة خطابات الحب القديمة تستطيع أن تدرك كم تغيرت .. وكيف أن الشخص الذى كان يحتل يوما ما كل أفق تفكيرك ، قد تضاءل حتى انعدم !.. **وهذا يعلمك أن لاتعلق أهمية كبرى أوتنظر نظرة جدية زائدة الى الاشياء التى تحدث لك الآن ، أوالاشخاص الذين تنفعل بأقوالهم أو** أفعالهم .. وما أصدق المثل الفرنسى الذى يقول : 'Tout lasse, tout casse, tout passe أى : كل شىء يتعب ، كل شىء يتحطم ، كل شىء يمر ويذهب !.. وها صحيح، وهو من نعم الله علينا ، فلولاه لما استطعنا أن نعنى أنفسنا بأمور جديدة على الدوام ..

النساء .. ضعيفات الاحساس !

◆ قلت يوما فى اذاعة لى بالراديو ان النساء أقل حساسية بالالم من الرجال .. وانهن أمهر من الرجال فى «فن الحياة » .. ولذلك فهن أطول أعمارا من الرجال .. الخ

وعلى أثر ذلك تلقيت عشرات الرسائل من نساء يرفعن صوتهن بالاحتجاج على آرائى «الساخرة » بجنسهن .. وهن لو أنصفن لشكرن ربهن لانه خلقهن هكذا أقل احساسا بالالم ! .. ولاأدرى لماذا أغضبهن كشفى عن هذه الحقيقة ، أو قولى ان تحمل آلام الحمل والولادة لايدل على «شجاعة » خارقة فى النساء !

وهذا صحيح ، فالولادة لاتزيد عن كونها عملية جراحية تتحملها المرأة مضطرة كما يتحمل الرجل أية عملية جراحية يستلزم الامر اجراءها له ، سواء أكان شجاعا أم جبانا !

.. وتسيره وفق هواها ..

وبهذه المناسبة : هل النساء يسيطرن حقا على الرجال؟

نعم .. ولا .. فمن الخطأ التعميم فى الحكم . والواقع أن هناك حالات يكون فيها الرجل ضعيفا واهن العزيمة ، فتستطيع المرأة أن تسيره على هواها !.. وأكثر مايحدث ذلك فى الاوقات التى تسوء فيها ظروف الرجل فيشعر بالحاجة الى التدليل والتسرية والعطف والحنان ، أو بعبارة أخرى يشعر بحاجته الى المرأة !.. فمثلا قد يتصادف أن يرتبك عمل الرجل ذات يوم ، فيؤنبه رئيسه على خطأ أو تقصير ، ثم يفوته الترام فيضطر الى الانتظار فى المحطة طويلا .. وفى تلك الاثناء يصاب ببرد ، وتقع منه نظارته فتنكسر ، وتتألب عليه أسنانه فتؤلمه .. فيصل الى بيته آخر الامر متعبا متضايقا مرهق الاعصاب !.. وتحت وطأة هذه الظروف مجتمعة يحس بحاجته الى تدليل المرأة وترفيهها عنه ، كأن تقول له مثلا : «دعك مما مضى . أعلم أنه قد صادفك يوم فظيع ، وأن كل شىء قد سار على غير مايرام ، ولكن هيا بنا نتناول العشاء الشهى الذى أعددته لك .. ثم خذ حماما ساخنا ، وبعد ذلك أعطيك قرصين من الاسبرين وقدحا من اللبن ، فتنام نوما هادئا هانئا .. وفى الغد يشرق عليك فجر يوم جديد بهيج .. هيا ياحبيبى .. الخ »

فاذا استطاعت المرأة أن تقول ذلك - وغيره - وعرفت

كيف تقوله ، ومتى تقوله ، أمكنها أن تسيطر على الرجل وتسيره وفق هواها ، ما استمرت حالته المعنوية ضعيفة على هذا النحو !٠٠ أما لو استقبلته المرأة بالمتاعب والحديث عن مضايقات الحياة والشكوى من الخدم ٠٠ فانه سيضطر الى الفرار من جو هذه المرأة الى أى جو آخر ، فيسلى نفسه بالانهماك فى أية هواية ، حسنة أوسيئة ٠٠ فاما يعكف على الكتابة أوالتأليف ، أو وضع الالحان ، أو رسم اللوحات ٠٠ واما يسلم قياده الى الخمر أوالقمار أوالنساء !

ومما يؤيد ذلك أن أكثر الرجال البارزين فى التاريخ - سواء فى الفن ، أوالعلم ، أوالحرب ، أوغير ذلك - كانوا تعساء فى حياتهم الزوجية والبيتية ، بحيث اضطروا الى التفكير أوالتأليف أوالتلحين أوالانصراف الى السياسة والغزو ، كى يفروا من شقائهم البيتي !٠٠ فمما لاشك فيه أن السعادة المنزلية وان كانت شائقة ، الاأنها من أكبر العوامل المضعفة للرجال ، والمؤدية الى تبلد أذهانهم ، وتدهور كفاءاتهم العقلية والمعنوية وانحلالها ٠٠!

هل المرأة تلهم الرجل حقا ؟

◆ وقد حرص النساء منذ قديم على تغذية الاعتقاد الشائع بأن خلف كل نبوغ أوعمل عظيم يصدر من رجل ، يكمن الهام من امرأة !٠٠ وان المرأة تشد من أزر الرجل فى أوقات الازمات وابان الملمات ٠٠ الخ

وأحب أن أجاهر هنا - بقدر ما أعرف - بأن الافعال العظيمة أو المخاطرات الكبرى التى أقدم عليها الرجال ، مدفوعين بدافع الهام النساء أو الرغبة فى الظفر باعجابهن ، هى من الندرة بمكان !

فهل كتبت الكتب والمؤلفات العظيمة من أجل نساء ؟ كلا !٠٠ وهل كان النساء هن الملهمات لكبار المصلحين وعظماء

رجال الدين ؟ كلا !.. وهل لحنت الموسيقى الخالدة من أجل نساء ؟ كلا !.. والحكم عينه يسرى على كبار القواد الحربيين الذين لم يربحوا معاركهم الحاسمة حبا فى النساء ، وانما جريا وراء المجد وعلو الشأن !

حتى الذين جمعوا ثروات طائلة لا يدينون بفضل جمعها الى النساء ، وان يكن دور المرأة يبدأ هنا فى الظهور قليلا ، لان تأثيرهن على الرجل يغريه فعلا بالسعى الى كسب المال ، للانفاق عليهن على الاقل ..

لكن تأثير المرأة على الرجل من هـذه الناحية قد يكون عكسيا برغم أنفه .. فكم من شاب بدأ حياته العملية ممتلئا بالطموح والمثل العليا ، مستعدا للتضـحية بالشهرة وذيوع الصيت فى سبيل الدفاع عن القضايا المنبوذة أو الآراء والمعتقدات المحتقرة ، راضيا بمواجهة الفقر فى سبيل اتمام الرسالة التى أخذ نفسه بها ، مفضلا ذلك على جمع الثروة من العمل الذى يريده الناس أن يؤديه.. ثم يحب هذا الشاب فتاة ، ويتزوجها .. فتضطره ظروف الحياة المادية الى التضحية بكل مبـادئه وطموحه فى سبيل كسب العيش لاسرته ، وهكذا ينتهى به الامر الى القناعة بأى عمل يدر عليه المال ، ولو كان هذا العمل منافيا لمبادئه الاولى هادما لها !..

وبعبارة أخرى ان تأثير النساء كثيرا ما يكون عاملا من عوامل اخماد نار الطموح في صدور الشباب ، وتطليق المثـل العليا ، والرضا من الغنيمة .. بالسلامة !..

هل المرأة أكثر احتمالا ؟

◆ حين يصاب الرجل ببرد أو صـداع فى رأسه ، نراه يشكو ويئن .. أما المرأة العادية فهى حين تصاب بمثل ذلك تنظر الى الامر بكل بساطة ، ولا توليه اهتماما يذكر!.. ويعزو البعض ذلك الى أن الطبيعة قد زودت المرأة بقوة احتمال تؤهلها

لتحمل آلام الولادة القاسية ..!

أما أنا فلا أميل الى الاقتناع بهذا التفسير .. وانما التفسير الاصح فى رأيى هو أن تركيب جسم الرجل أكثر حساسية من تركيب جسم المرأة ، بحكم كونه الجنس الاسمى .. ومن المعروف انه كلما دق تركيب الآلة ، ازداد تعرضها للتلف والعطب ، بالقياس الى الآلة البسيطة .. فالراديو يصاب بالتلف أكثر من طلمبة الماء مثلا ، لانه أدق منها فى التركيب .. والساعة تتلف بأسرع مما تتلف المروحة الكهربائية ، لانها أدق منها فى التركيب أيضا ، وهكذا .. وعلى هذا القياس يصاب جسم الرجل بالتلف أكثر وأسرع مما تصاب به المرأة ، لانه أكثر منها حساسية ، وأسمى منها فى الوظيفة التى أعدته لها الحياة والطبيعة ..

ولما كان الرجال يحسون بالالم أكثر مما تحس به النساء ، فانك تجدهم أكثر منهن خوفا من الذهاب الى طبيب الاسنان مثلا !.. وبينما تستطيع المرأة أن تمسك بيدها أدوات المطبخ الساخنة ، يعجز الرجل عن ذلك أحيانا ويترك الادوات تهوى الى الارض وتتحطم !.. ولو راقبت جموع المستحمين على الشواطىء فى الصيف لوجدت النساء أكثر تحملا لبرودة الماء من الرجال .. وأبلغ من ذلك كله ان الرجل لو قاسى آلام الولادة مرة ، لكانت الاولى والاخيرة !.. أما المرأة فهى لا تكاد تفرغ من ولادتها حتى تتورط بملء اختيارها فى حمل جديد !

والخلاصة .. ان الرجال أكثر من النساء حساسية ، من الناحية الجسدية ، لان مراكز الاحساس وأعصابه عندهم أقرب الى سطح الجسم الخارجى وأكثر تعرضا للعوامل المختلفة من مراكز العصب والاحساس عند النساء .. كما ان فى أجسام النساء طبقة من الشحم ، تحت الجلد ، أكثف من الطبقة التى عند الرجال ، مهما بدت المرأة نحيفة ، وهذه الطبقة تحميهن من البرد وتبعث الدفء فى أجسامهن .. وهذا يفسر استطاعة

النساء الظهور بملابس السهرة العارية فى عنفوان الشتاء (ليلة رأس السنة مثلا !) بينما ترى الرجل مدثرا بطبقات من ثياب السهرة الصوفية والقمصان والياقات المقواة بالنشاء ٠٠ ومع ذلك ينتفض من البرد !

وثمة عامل آخر يفسر هذا الفارق الواضح ، هو أن الجهاز العصبى عند الرجال أدق تركيبا وأكثر ارهافا منه عند النساء ٠٠!

المرأة فى ميادين الرجل !

◆ أدهشنى أن أقرأ يوما ، منذ سنوات ، ان مؤتمر « نساء » العمال ، قد رفض الموافقة على فكرة ترشيح المرأة لعضوية البرلمان !٠٠ ولو تعمقنا فى بحث أسباب هذا الرفض لوجدناها نفس الاسباب التى تجعل المرأة لا تثق في امرأة من جنسها كى تعالجها اذا مرضت ، أو تدافع عنها أمام محكمة اذا اتهمت!٠٠ فالمرأة تضن بالثقة على المرأة التى من جنسها ، اذا جد الجد وأقبل الخطر ، لانها أعرف الناس بنفسها ٠٠ ومن ثم بجنسها !!

٠٠ فهى أعرف من الرجل بأنها ـ سواء هى بالذات أو أية امرأة أخرى من بنات جنسها ـ أضيق من الرجل أفقا فى التفكير والتدبير ٠٠ وانها لا تستطيع تسيير دفة الامور فى أى عمل يوكل اليها ، الا بعقلية ناظرة المدرسة التى تنفذ « نصوص » القانون أكثر مما تنفذ روحه ومراميه ٠٠ والواقع انه فى قلب كل امرأة تكمن « ناظرة مدرسة » !٠٠ فأنت لو وضعت المرأة فى أى منصب ذى نفوذ ، لبرزت فى تصرفاتها على الفور شخصية ناظرة المدرسة ، التى تخلق من التوافه جبالا ثم تنطحها برأسها !٠٠ ومثل أكثر ناظرات المدارس ، تميل المرأة بطبعها الى استغلال نفوذها لمحاباة من تؤثرهم بعاطفتها ٠٠ فهى تترك عواطفها تكتسح روح الانصاف والعدل

فى نفسها ، أكثر ممـــا يفعل الرجل ٠٠ وهذا يفسر سبب رفض أكثرية « النساء » لفكرة أن تمثلهن فى البرلمان امرأة ، أو تحكمهن امرأة ، ما دام فى وسعهن أن يجدن نائبا وحاكما من الرجال !!

المرأة والسلطان !

◆ قلت فيما سبق ان النساء لا يصلحن فى مناصب السطوة والنفوذ ٠٠ واذا أردت الدليل على ذلك فاسأل أية امرأة تعمل تحت امرة امرأة من جنسها ، تجدها تتمنى لو كان رئيسهـــا رجلا لاامرأة ! (بغض النظر اطلاقا عن الدافع الجنسى) ٠

والواقع ان النفوذ ـ أو الســلطان ـ محك قاس لكل انسان ٠٠ لكنه أقسى بالنسبة للنساء ٠٠ وما من مرة شاءت فيها الظروف أن تضعنى تحت رياسة امرأة الا ووجدت نفسى موضــع اضطهاد ، أو اســتغلال ، أومحاباة ، بل ظلم !٠٠ حتى صرت أؤيد الاديب المعروف « صموئيل بتلر » فى قوله الصادق: «ان كل من يعمل تحت امرة امرأة لابد أن يندم ويدفع ثمن ذلك غاليا ! » ٠٠ وقوله هــذا ينصب عــلى خضوع الرجل للنساء ٠٠ أمابالنسبة لخضوع النساء أنفسهن لسلطان النساء ، فهو فى رأيى وتجاربى أمر وأنكى ، وأدعى للرثاء !

نصيب المرأة من الضمير !

◆ حدثنى ناظر مدرسة يوما فقال : انك لو كلفت تلميذة بواجبات منزلية مرهقة ، فانها تحاول أداءها كلها ، ولو أدى ذلك الى اصابتها بانهيار عصبى بعـد ذلك ٠٠ أما لو كلفت تلميذا (ذكرا) بمثل هذا الواجب المرهق ، فانه يؤدى منـه عادة ما يستطيع أداءه ، ويترك الباقى ٠٠ دون أية مبالاة !

وأنا أريد أن أخلص من ذلك الى النتيجة التى أومن بهـا فى هذا الصدد ، وهى ان المرأة أكثر من الرجل استجابة لنداء الضمير !

ولكن .. ولكنى لا أعتبر هـــذا مدحا فى النساء ، بل أقصد العكس .. فان تمسكهن « الحرفى » بمقتضيات الواجب والضمير ، يؤدى أحيانا الى عكس ما يقصدن .. وتستطيع أن تفهم من هذا ان تلك الحرفية فيها شىء من « الغبـــاء » .. ولا مؤاخذة !

قال أحدهم يوما فى تعريف (المحاضرة) انها : « نقل كمية من المعلومات من كراسة الاستاذ الى كراريس التلاميذ دون أن تمر بعقول أى من الطرفين ! » .. وأنا بحكم تجاربى العديدة فى القاء محاضرات على نساء ، أؤيد ذلك القول بكل جوارحى !!

والواقع أن من أهم الظواهر الواضحة فى النساء ذلك التمسك الاعمى بحرفية القواعد والقوانين والنصوص ، دون اللباب والجوهر والروح .. ثم الاهتمام بالشكليات أكثر من المعنويات .. واليك مثلا يوضح عقلية النساء فى هذا الصدد :

فى جنوب انجلترا يوجد خط حديدى « مفرد » يستخدم فى ذهاب القطارات وايابها على السواء .. ومن ثم يستحيل أن يمر عليه أكثر من أربعة قطارات فى اليوم ، لان القطار العائد لا يمكن أن يمر الا بعد وصول القطار الذاهب الى نهاية الخط .. والى جانب الخط الحديدى المذكور طريق للسيارات لا تنقطع الحركة فيه طول النهار . وقد حدث أن كنت مارا بذلك الطريق يوما أثناء الحرب ، فوجـــدته مزدحما بالدبابات والسيارات الحربية واللوريات التى كانت تسير بسرعة جنونية ، خطرة ، الى حـــد جعلنى أخشى عـــلى نفسى منها ، فآثرت المشى فوق الخـــط الحديدى .. وبعد أن قطعت ميلا فى أمان بلغت أحد أكشاك المراقبة ، واذ ذاك برزت لى منه امرأة صاحت بى فى انفعال : « المرور على الخط الحديدى ممنوع ! » فسألتها عن حكمة المنع ، فقالت « لان هذا خطر » .. فقلت بدورى فى هدوء : « ولكن المشى فى طريق السيارات أشد خطرا كما ترين .. فوق انى

أعلم انه لن يمر أى قطار على الخط الحديدى قبل ثلاث ساعات أخرى ! » ·· لكن هذه الحجة التى كانت كفيلة باقناع أى رجل ، عجزت عن اقناع المرأة التى كان « نص » القانون الذى يمنع المرور أهم عندها من روح القانون الذى لم يقصد به بداهة غير تأمين سلامة المارة !

وبقدر عجبى من « تزمت » تلك المرأة فى مراعاة القوانين، بقدر امعانى يومئذ فى اهمال أوامرها والمضى فى طريقى !

هل المرأة أقل أمانة من الرجل !

◆ الرأى السائد منذ أجيال ان المرأة أقل أمانة من الرجل! ·· ففى القرآن الكريم أكثر من اشارة الى المرأة التى خلقت من عظمة معوجة ، اذا حاولت تقويمها انكسرت ، واذا تركتها وشأنها ظلت معوجة !·· وفى قول الكاتب الفارسى « نظام » : « ان المرأة خلقت من جانب الرجل الايسر ، ولا شىء يأتى من اليسار يمكن أن يكون مستقيما !» (الترجمة الانجليزية لهذه العبارة أبلغ فى ايضاح المعنى الساخر ، نظرا لان كلمة « أيمن » و « صحيح » أو مستقيم ، لهما لفظ انجليزى واحد !·· وأصل العبارة : Nothing that comes from the left can be right!

بل ان عمال المناجم الانجليزية فى القرن العشرين ، رفض خمسون فى المائة منهم — حسب احصاء أجراه معهد « جالوب » العالمى — أن يتركوا لزوجاتهم أمانة صندوق نقودهم المدخرة!

بقى تعليل هذه النقيصة فى المرأة ·· وفى هذا تتعدد الآراء : فهناك الرأى القديم الذى يقول انه منذ استسلمت حواء لاغراء الحية ، تأصل فى طبيعتها جزء من طبيعة الثعابين ، وأبرز خصال الثعبان : الخداع !·· وهناك رأى أرسطو القائل : ان النساء منحرفات بطبعهن ، وهن دون المستوى العادى للبشرية ، بحيث ينبغى أن نعتبر الانوثة نقيصة جسمانية!»·· ثم هناك رأى شوبنهاور الذى يعتبر النساء « أطفالا كبارا ! »

ويعزو الى ذلك استعدادهن للعمل كمربيات ومدرسات للاطفال، بحكم طفولتهن أنفسهن ، وغبـائهن وقصر نظرهن !٠٠ ومن المعروف ان الاطفال ليسوا حريصين على الامانة أو الاخلاق !

ولست أعتقد أن كل هذا « الدخان » قد أثير حول المرأة من قديم الازمان ، وفى اصرار ، دون أن تكون خلفه « نار » ، ولو ضئيلة !٠٠ ولو انى لم أعثر على دليل أو تصادفنى تجربة شخصية تثبت القول بأن النساء أقل أمانة من الرجال ٠٠

قسوة المرأة !

◆ أما من حيث « القسوة » فلست أعتقد أن هناك فارقا بين الجنسين فى هذا الصدد ٠٠ ولئن قيل ان الرجال مسؤولون عن أكبر نصيب من الآلام الجسدية التى حلت بالبشر منذ بدء الخليقة ، سـواء فى الحروب أوسـواها ٠٠ فانى أرد على هذا بأن النساء لم يعطين فرصة لاظهار قسوتهن مثلمـا أعطى الرجال ٠٠ وفى المناسبات القليلة التى أعطين فيها مثل هذه الفرصة ، أظهرن من القسـوة ما يزرى بقسوة الرجال !٠٠ **وما قصة نساء أثينا اللواتى تكأكأن على رجل تعس فغرسن فى جسده الدبابيس ٠٠ ببعيدة عن الذهن فى هذا الصدد !٠٠ ولا قصة نساء فرنسـا اللواتى جلسن أيام ثورتها الكبرى يتفرجن على الرؤوس التى تهوى من المقصـلة ، وهن يطرزن أشغالهن اليدوية ويقهقهن صاخبات !٠٠ وما لنا نذهب بعيدا فى التاريخ ، وها هن نساء أمريكا « اللطيفات » قد تزاحمن وتقاتلن يوما على مقاعد القطار الذى يحملهن الى حيث يتفرجن على عبد زنجى ينزع لسانه من حلقه قبل أن يشوى جسـمه شيا على نار هادئة !٠٠ والتاريخ لايقدم الينا أى دليـل على أن نساء روما القديمة كن يظهرن أية علامة من علامات الاشمئزاز لدى رؤيتهن شهداء المسيحيين يلقـون الى الاسود ، أو رؤية المتصارعين وهم يمزقون أحدهم الآخر فى حلبـات المصارعة الوحشية !٠٠**

وكلنا يرى نساء هذه الايام ، اللواتى تذوب الواحدة منهن إشفاقا على الكلب الذى تدهمه سيارة فى الطريق ، فى الوقت الذى تقرأ فيه بغير مبالاة أنباء الصحف بأن مليونين من البشر قد ماتوا جوعا فى الصين بسبب فيضان النهر الاصفر، أو ان المجاعة تقتل فى « كلكتا » كل يوم مائة وخمسين شخصا !.. وأظنك توافقنى على أن الرجال أكثر من النساء عطفا على آلام الذين يتألمون بعيدا عن أبصارهم ، فى حين لا تتأثر المرأة الا بما يقع تحت سمعها وبصرها !..

أيهما أكثر « تعصبا » : الرجل أم المرأة ؟

◆ والتعصب والقسوة يسيران جنبا الى جنب . وقد قال هتلر مرة ان أكثر أنصاره تعصبا لحزبه هم النساء !.. لكننى أعتقد ان الجنسين سواء فى هذه النقيصة .. **بل ان التاريخ يدلنا على أن أكثر المتعصبين كانوا رجالا : فالرجال هم الذين أداروا «محاكم التفتيش» فى اسبانيا .. والرجال هم الذين قتلوا فى اشبيلية وحدها ألفى نسمة بين عام ١٤٨٢ ، ١٤٨٤، بحجة انقاذ أرواحهم من الهلاك !.. والرجال هم المسؤولون عن تعذيب الساحرات وحرقهن فى ألمانيا فى القرن السادس عشر .. والرجال هم الذين ابتدعوا مذاهب النازية والفاشية والشيوعية** .. وبالاختصار ، فان أكثر زعماء التعصب فى التاريخ ينتمون الى جنسنا نحن الرجال.. لكننى لا أعزو ذلك الى قلة تعصب النساء ، وانما الى أن تاريخهن لم يسجل بالتفصيل الذى سجل به تاريخ الرجال .. لسبب بسيط ، هو ان معظم مؤلفى كتب التاريخ .. رجال !

ومن الادلة على تعصب النساء ، انهن ــ ولا سيما العجائز منهن ــ أكثر من الرجال تمسكا بنظرية المحافظة على عفة الفتيات ، ومهاجمة الساقطات منهن ، اللواتى استمتعن بفرص حرمت منها أولئك العجائز بسبب حرمانهن من الجمال ..

وهكذا تبذل العجائز للشابات النصائح الطيبة ، بعد أن لم يعد فى متناولهن أن يقدمن اليهن الامثلة السيئة !

بل ان من أدلة تعصب النســاء ، تطرفهن فى المدح أو القدح ٠٠ وأنا أتبين هذا فى بريدى الخاص ٠٠ فحيثما جاءتنى رسالة مديح تطالب بتعيينى رئيسا للوزارة ، أو رسالة مهاجمة تطالب باعدامى ٠٠ كانت كاتبتهـــا فى الحالين ٠٠ امرأة !!

أما وقد رأينا أن المرأة لا تقل عن الرجل قسوة أو تعصبا، فما الذى يمنعها اذن من الاشتراك فى القتال الفعلى أثنـــاء الحروب ٠٠ سيما وهى تشترك فيها من وراء الستار ، بالعمـل فى مصانع الذخيرة والسلاح ؟ وما الفارق بين أن « تصــنع » المرأة القنبلة ، وبين ان « تلقيها » ؟ الجواب **ان عدم اشتراك المرأة فى القتال تقليد قديم مرجعه الى اعتزاز المجتمع بحيـــاة المرأة ، كى تنجب له نسلا ٠٠ فان عشرين امرأة وعشرين رجلا لا يستطيعون أن ينجبوا من النسل أكثر مما تستطيعه عشرون امرأة ورجل واحد !٠٠ واذن فالتسعة عشر رجلا الباقين يمكن التضحية بهم فى الحرب ، أما النساء فلا يمكن التضحية بواحدة منهن !**

لكن هذه النظرية باتت عقيمة ، بعد أن امتدت مخاطر الحروب الحديثـة من العسكريين الى المدنيين ، فصارت تتعرض لها المرأة ، فى البيت أو الشارع أو المصنع أو المستشفى ، مثل الرجل سواء بسواء ٠٠!

أزمة الخدم ٠٠ وكيف تحل ؟

◆ وأنا من أعداء نظام الخدم الحالى ، ومن رأيى أنه ينبغى أن تتولى البلدية الاشراف على مجموعة من الخدم تطوف بالبيوت فى ساعات معينة من كل يوم كى تتولى تنظيفها ـ كما تتولى البلدية تنظيف الشوارع سواء بسواء ! ـ لا سيما وان ربة

البيت لم تعد محتاجة الى بقاء الخدم فى البيت طيلة النهار ، بعد أن عمت الثلاجات والمكانس والغسالات والمطابخ الكهربائية ، وصار أكثر الطعام يحفظ فى علب فلا يحتاج تناوله الى أكثر من التسخين ٠٠ وبذلك اتسع وقت المرأة كى تلعب التنيس وتذهب الى السينما وحفلات الشاى الراقصة ٠٠ حتى يعود زوجها الى البيت فى المساء ٠

السن ٠٠ والكفاية ٠٠ والمعاش !

◆ هل هناك علاقة ثابتة بين سن الانسان وبين قدرته على العمل والانتاج ؟

لقد ظل برنارد شو محتفظا بحيويته الكاملة الى ما بعد التسعين ٠٠ وقام ونستون تشرشل برسالته الكبرى ومجهوده الاعظم بعد أن جاوز السبعين ٠٠ وأنتج الموسيقى « مندلسون » أروع موسيقاه قبل أن يبلغ السابعة عشرة !٠٠ وكتب « هيوم » ـ أعظم فلاسفة الانجليز ـ مؤلفاته الفلسفية الهائلة قبل أن يصل الى سن السادسة والعشرين ٠٠! أما الموسيقى الايطالى « فردى » فقد لحن أروع أوبراته « عطيل » وهو فى الرابعة والسبعين ، ثم « فولستاف » وهو فى الثمانين ٠٠ وأتم « جوته » مسرحيته الخالدة « فاوست » وهو فى الثمانين أيضا ٠٠ الخ

وهكذا تجد انه لا توجد صلة ثابتة بين السن ، والكفاية ٠٠ وان كان الاغلب أن قوى الانسان الذهنية تنضج كلما تقدم فى السن ٠ ونحن نخلص من هذا الى انه من السخف أن نطلب الى الشيوخ اعتزال أعمالهم لانهم بلغوا سنا معينة ٠

أما فى أمور السياسة والحكم فأنا أعتقد أن العالم لو حكمه حكام دون الخامسة والثلاثين ، واستبعد من المناصب الهامة كل من جاوز الاربعين ، لصرنا فى عالم أفضل !

هل نشرب الخمر ؟

◆ يسألنى البعض عما اذا كنت بحكم تجاربى أؤيدهم فى قولهم ان الرجل الذى يشرب الخمر باعتدال هو أقدر من غيره على التعامل مع الناس فى مهنته ، وفى المجتمع ، وفى شؤون العمل والحياة عامة ٠٠؟

ولكى أجيب على السؤال جديا أقول ان الامر يتوقف على العمل الذى يضطلع به الانسان ، فاذاكان العمل يتصل بقيادة الجماهير أو يتطلب الشجاعة والحماسة ، أو النهوض المؤقت بالروح المعنوية ، فلا بأس فى تناول قليل من الخمر فى هذه الاحوال ٠٠ **أما اذا كان عملنا يتطلب شحذ ذكائنا واستخدام أقصى مواهبنا والاحتفاظ بصفاء ذهننا ، فلست أنصح فى هذه الاحوال بتناول غير القهوة ، دون أى نوع من الخمور ، ولا حتى البيرة الخفيفة !**

ورأيى فى الخمر على العموم هو انها تزيد الظرفاء ظرفا ، والثقلاء ثقلا وسماجة !

القمار ٠٠ أنواع !

◆ أما القمار فأمره يختلف باختلاف اللعبة التى يقـامر المرء عليها ٠٠ وأنا لا أرى بأسا في أن ينسى الانسان متاعبه ساعة أو بعض ساعة فى لعبة مسلية يقتل بها وقت الفراغ ٠٠ ولكن بشرطين : الشرط الاول أن تكون اللعبة من ألعاب الحظ المحض ، التى لا دخل فيها للذكاء أو البراعة ٠٠ والشرط الثانى أن لا تكون من الالعاب التى يضيع فيها ممارسها وقتا طويلا ٠ وهدفى من الشرط الاول أن لا ينغمس المرء فى دراسة اللعبة واتقانها والتدرب عليها ، الى الحـد الذى يجعلها تصبح داء متمكنا منه !

وأنا ، تمشيا مع هذا المبدأ ، أمقت المراهنة على سباق الخيل

أو كرة القدم ، فهما تستغرقان من المرء أوقاتا طائلة يضيعها فى دراسة فرص كل حصان أو كل فريق من فريقى لعبة الكرة، وتاريخ هذا الجوكى أو ذاك ، وهذا اللاعب أو زميله ٠٠ الخ ٠ لكنى لا أرى بأسا فى أن يقضى المرء ساعة فى المراهنة على لعبة « الروليت » ، أو شراء أوراق اليانصيب ٠٠ والاخيرة أخف أنواع القمار ضررا ، فهى ترضى فى المرء نزعة المقامرة وتمده بغير قليل من المتعة غير الضارة ٠٠

الغليون أرحم ٠٠ من السجارة !

◆ أما التدخين ٠٠ فاذا لم يكن منه بد ، فليكن تدخين الغليون لا السجاير ، لان الاول أقل سيطرة على الانسان واستعبادا له ٠٠ وضرر ادمان التدخين انك فى البداية تدخن لانك تشعر من تدخين « كل » سجارة بلذة ايجابية ٠٠ لكنك اذا أفرطت فى التدخين تفقد كل سجارة لذتها الايجابية وتصبح الفترة التى تقضيها بين كل سجارة وأخرى فترة تنغيص وشعور بعدم الارتياح ٠٠ وهكذا ، بعد أن كنت تدخن كى تستمتع بمتعة التدخين ، صرت تدخن كى تنجو من «قريفة» عدم التدخين ٠٠ وبذلك تنتقل متعتك من ايجابية الى سلبية ، وتغدو أسيرا لهذه العادة التى يصعب عليك بعد ذلك أن تتخلص منها ٠٠ وهنا خطر التدخين !

الذكاء ٠٠ والطعام !

◆ هل للطعام صلة بالذكاء ؟

كثيرا ما يقال ان الاكثار من أكل اللحوم يضر بالعقل ويطفىء حدة الذهن ٠٠ وان أكل السمك هو على العكس من ذلك منشط للذهن مغذ للملكات الفكرية ٠٠ الخ

لكنى أعتقد أن الذى يؤثر فى الذكاء والنشاط الذهنى ليس هو نوع الطعام وانما هوكميته !٠٠ فأكثرنا ــ وأنا واحد

منهم – يفرطون فى الطعام أكثر مما يقتضيه النظام الصحى السليم .. **وأستطيع أن أجزم فى هذا الصدد بأننى فى المناسبات التى أقللت فيها من الطعام – سواء بسبب الفقر أو تعب المعدة أوصعوبة الحصول على الطعام الكافى لاى سبب من الاسباب – كانت مواهبى العقلية تنشط وذكائى يشحذ شحذا ملحوظا !.. بعكس الحال فى المناسبات التى يغرينى فيها طعام شهى بأن أكثر منه ، فانى اذا لم أخلد يومئذ الى النوم على الاثر ، أحس بتبلد ذهنى ، وعصبية ، وانقباض .. وغباء لاشك فيه !**

ترى ما تعليل ذلك ؟ لا بد أن هناك سببا « فسيولوجيا »، قد يكون ان المعدة حين تتخم وترهقها عملية الهضم يتدفق الدم اليها كما يتدفق الى أى جزء من الجسم يشتد عليه ضغط وظيفته الطبيعية .. وحين يتدفق الدم الى المعدة ، يقل فى المخ .. فيضعف نشاطه وحيويته .

ثم ان الافراط فى الطعام يؤدى – من الناحية الاخرى – الى حدوث الامساك ، والامساك يحدث نوعا من « التسمم » فى مجرى الدم ، الامر الذى يتعب الذهن ويسبب الصداع .. والتبلد .. والغباء !

والمشاهد ان النساك الزاهدين والمتصوفة والقديسين الذين يعيشون على بعض الخضروات أو الاطعمة الخفيفة تصفو أذهانهم ويشف ذكاؤهم .. فيدركون من أمور الكون أكثر مما يدرك الناس العاديون ، ويتغلغلون الى أعماق مكنونات هذه الحياة .. حتى لتزداد صلتهم قربا من خالقهم وتعبدا له..

وقت الفراغ .. وكيف نقضيه ؟

◆ يقول بعض العلماء المفكرين ان تقدم العلم والمدنية واستخدام الآلات مكان اليد فى أكثر مرافق الحياة سوف يختزل الوقت الذى ينفقه البشر فى العمل والانتاج بنسبة النصف تماما .. فتصبح ساعات العمل للانسان أربعا مثلا بدلا من .

ثمان ، كل أربعة وعشرين ساعة ..

فلو فرضنا أن ذلك حدث فعلا .. فهل يعتبر نعمة .. أم نقمة ؟ أنا شخصيا أعتبر أن ساعات العمل الحالية أكثر من طاقة الانسان ، وانه فى حاجة الى مزيد من أوقات الفراغ .. لكنى أرى أنه قبل أن نعطى الناس فراغا ينبغى أن ندبر لهم كيفية قضائه والانتفاع به على أكمل وجه .. ولعل هذه هى أخطر مشكلة فردية سوف تواجه البشر فى المستقبل !

والآن ، اليك بعض وسائل استغلال وقت الفراغ التقليدية ، ورأيى فيها ، ثم اقتراحاتى بشأن الوسائل الجديدة:

أولا : هناك الالعاب المختلفة ، كالشطرنج والبريدج وغيرها .. ومثل هذه الالعاب علاج ناجع للحزن ، والملل ، وصرف للانسان عن التفكير الذاتى فى نفسه ..

ثانيا : على أن أعظم وسائل انفاق وقت الفراغ فى نظرى هى .. القراءة !.. وأنت لو أحسنت استغلال ساعات فراغك الطويلة فى القراءات المتنوعة ، سواء مايتصل منها باستكمال ثقافتك المهنية ـ المتصلة بعملك ـ أومايتصل بامتاع ذهنك بالطريف الطلى من المواد ، كفلت لنفسك عدة فوائد فى وقت واحد ـ علاوة على استفادتك فى عملك ومتعتك من المادة الطلية: فالقراءة أولا تنمى شخصيتك .. وتجعل الحياة أجمل وأروع .. وتمكنك من تذوق المزيد من الجمال والمزيد من العواطف والانفعالات .. وتعطيك مجالا أوسع تبدى فيه

عطفك وادراكك لقيم جديدة فى الحياة لم تعرفها من قبل ..

ثالثا : الرحلات الى الاماكن الخلوية .. فان فائدة هذه النزهات لا تقدر ، وخاصة اذا اقترن فيها تغيير الهواء والمنظر بتغيير الاشخاص .. ولا شك ان أقل النزهات ترويحا عن النفس هى التى تقضيها فى صحبة نفس الاشخاص الذين تقضى بينهم أيامك الاخرى العادية ، سواء كانوا رفاقك فى العمل ، أو جيرانك ، أو زوجتك وأولادك !.. **والا فكيف يجدد الانسان قوى عقله وجسمه وروحه اذا كان يقضى أوقاته دائما مع الاشخاص بعينهم ، دون أن يتيح لنفسه فرصة سماع آراء جديدة أو أحاديث مغايرة ؟.. كيف تنتعش روحك وتستيقظ انفعالاتك اذا كنت ترى فى كل حين نفس الوجوه فى الجانب المقابل من مائدة الافطار** ؟ .. ان خير اجازة منعشة فى نظرى هى أن ألقى بنفسى فى صحبة جماعة من الناس لم أرهم من قبل ، سواء فى «بنسيون» أو مخيم أو على ظهر سفينة !

وأخيرا هناك الوسيلة التقليدية التافهة « لقتل » أوقات الفراغ ، بالجلوس فى المقاهى وتناول سير الناس ، والثرثرة عنهم وراء ظهورهم !.. وهى عادة كريهة ، لكنها فى نظر ممارسها ممتعة طبعا ، لانها ترضى فيه ميله الغريزى الى التحدث عن الناس بالقدح والذم .. **تنفيسا عن «غيرة» عقله الباطن مما ينغمسون فيه من متع ومباهج تحرمه منها شيخوخته ، أو دمامته ، أو فقره .. الخ .**

وأضرار الثرثرة عن الغير بالسوء لا تقف عند حد « التشنيع » عليهم والانتقاص من احترام المجتمع لهم ، وانما تتعدى ذلك الى الحاق الاذى بهم ، عن طريق غير مباشر .. فكم من فتاة انتحرت وراحت ضحية ثرثرة النساء فى مجتمعاتهن عن سيرتها وسلوكها ، والوشاية بها عند أهلها أو تحريضهم ضدها ؟.. وكم من شاب انطوى على نفسه وأصيب بمرض نفسى ، لان شخصا رآه بصحبة فتاة ، فروى الامر لابيه أو عمه ؟

خلف النوافذ المغلقة

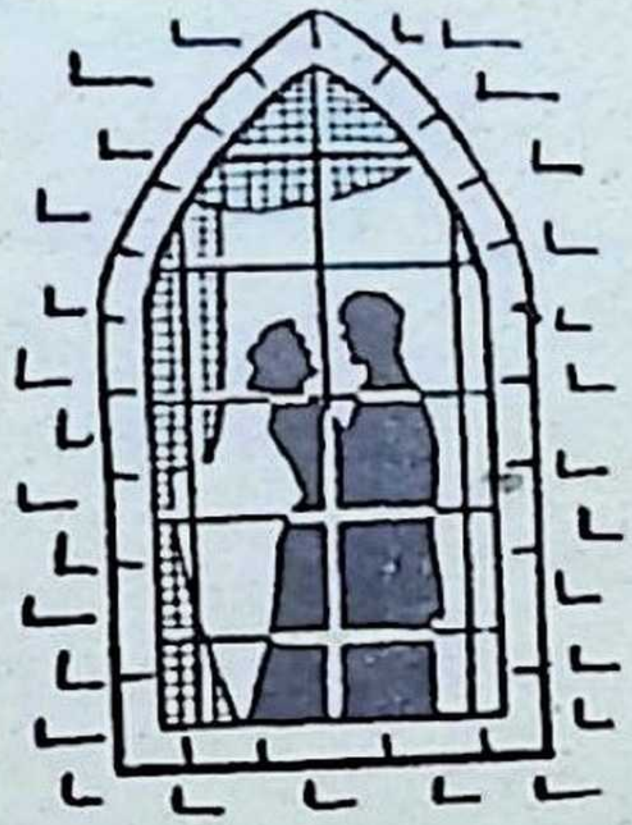

عباقرة الإنسانية في حياتهم الخاصة

عزيزي القارىء ...

قبل أن اقدم لك هذا الفصل الاخير من كتاب «دوديه» الممتع عن الحياة الخاصة لجد زوجته (فيكتور هوجو)، الخص لك فيما يلي فصول الكتاب السابقة :

كان «فيكتور هوجو» في زهرة شبابه، وقمة مجده الادبي، حين اكتشف ذات يوم ان زوجته المحبوبة (أديل)، التي تزوجته بعد علاقة حب دامت أعواما .. تخونه مع أعز صديق له : الناقد المشهور، القبيح الخلقة، سانت بوف! .. فلما كاشفها زوجها بالامر، بعد تردد طويل، اتهمته بأن خياناته المتكررة لها، مع ممثلات المسرح وفتيات الحوانيت، هي المسؤولة عن انصراف قلبها عنه !

وتكررت المواقف الموجعة بين الزوجين، حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق ! .. وبدأت رائحة الفضيحة تفوح، والناس يلوكون اسم الشاعر العظيم في معرض الغمز واللمز .. حتى فكر هوجو في الانتحار !

في تلك الازمة النفسية القاسية التقى فيكتور هوجو، يوم ٢ يناير سنة ١٨٣٢ بالممثلة الشابة « جولييت درويه »

(اقرأ البقية على صفحة ١٦٦)

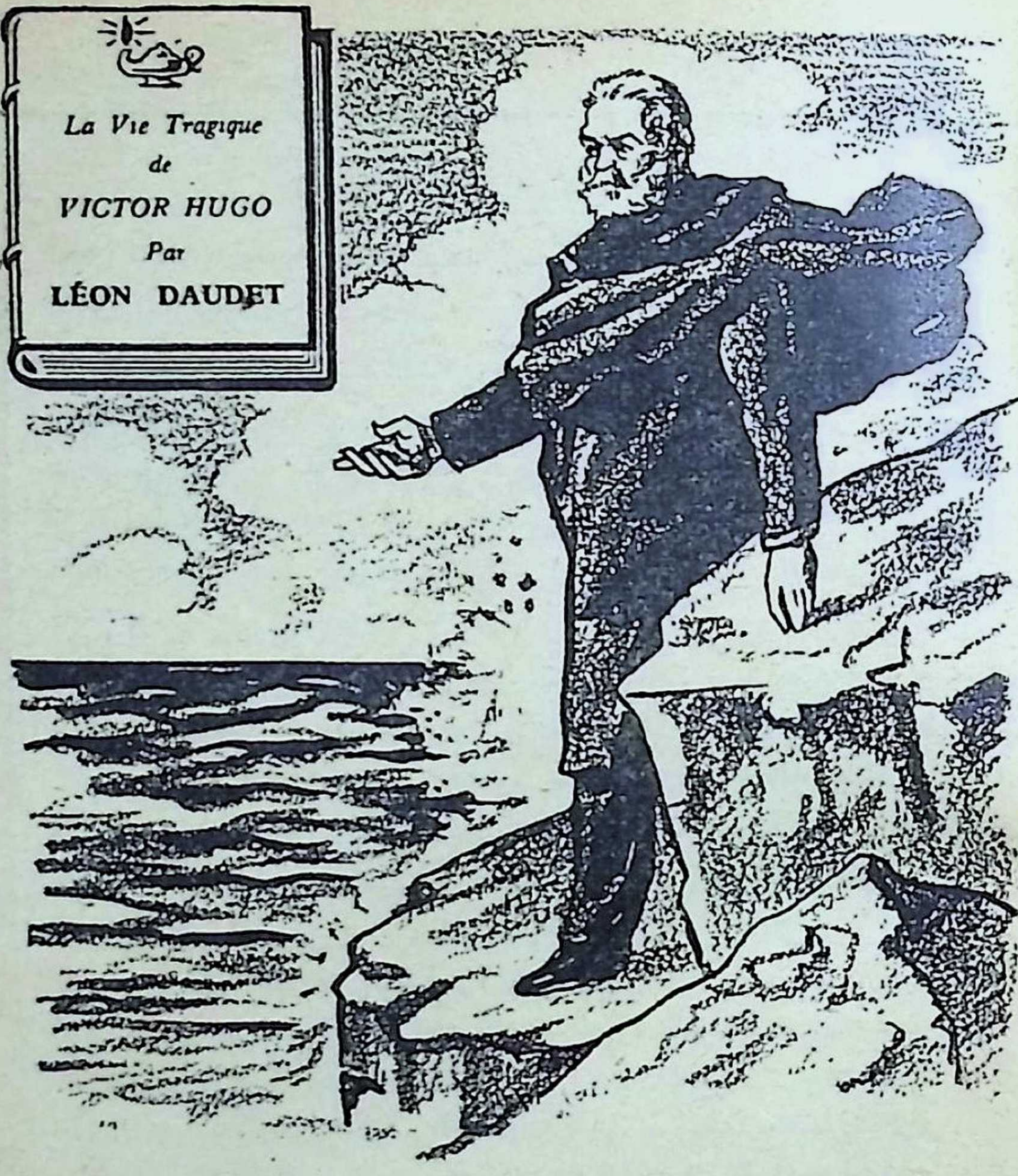

الفصل الأخير من

مأساة قلب

قصة غراميات وفواجع «ڤيكتور هوجو» في شيخوخته

(بقية المنشور على صفحة ١٦٤)

اجمل نساء باريس فى ذلك الوقت ! ــ فتركها تقوده ذات ليلة الى مسكنها الانيق فى «بوليفار سان دونى» !

ونجحت هذه المرأة الساحرة فى تطهير نفسها من ادران ماضيها الملوث ، ورسمت لنفسها (رسالة) أخذت على عاتقها ان تضطلع بها : هى تيسير الحياة وتوفير وسائل الراحة للعبقرى الذى نكب فى زواجه وفى شرفه ، فاعدت له حجرة فى مسكنها كى يزاول فيها انتاجه الادبى الخالد ، وجعلت من نفسها خليلته وخادمته فى آن واحد ، ملكتــه وجاريته ! فاستحوذت على جسمه وعقله معا !

وذات يوم اصيب هوجو بفجيعته الثانية : فقد ابنته الكبرى ، التى غرقت «عروسا» فى نهر السين !.. فعاش الاب المكلوم شهورا فريسة لاقسى الوان العذاب ووخز الضمير . أحس ان اهماله لبيته واولاده ، وانغماسه فى صلته بعشيقته ، هما المسؤولان عن هذه «العقوبة» التى نزلت به من السماء !.. فعاد الى بيته وأسرته المكلومة ، ونبذ عشيقته ..!

ولكن ، بمرور الايام ، عاد الشاعر الحائر سيرته الاولى .. واستردت جولييت سيطرتها على قلبه .. لكن حبه لها لم يكن يمنعه من مغامراته العابرة مع غيرها من النساء ، فضبط يوما مع زوجة حسناء تدعى «مدام دونيه» ، بعد أن أبلغ زوجها البوليس عن مكانهما !.. وكان هوجو يومئذ عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، ومجلس الشيوخ ، والجمعية التشريعية ، والمجلس الاعلى .. فاحدثت الفضيحة ضجة كبيرة فى الاوساط العليا ، كادت ترغمه على الاستقالة من كل تلك الهيئات !.. وانزوى الشاعر اياما فى بيت «جولييت» ــ التى كانت تجهل ما حدث ــ متعللا لها بحجة كاذبة ، مشفقا من أن يخرج الى الطريق فتتقاذفه من المارة عبارات التجريــح . بل انه كف عن قراءة الصحف ، خشية أن يجد فيها اشارة خبيثة الى فضيحته ، التى أحس منها بمذلة قاسية لم يجرب مثلها من قبل !

فى تلك الاثناء كانت تختمر فى ذهن هوجو مطامع جديدة ، واحلام «سياسية» عريضة ، فانضم الى الجماعة التى كانت تناوىء حزب لويس نابليون، فلما وقع فى فرنسا انقلاب سنة ١٨٥١وتولى لويس نابليون مقاليد الامور باسم «نابليون الثالث» ، بادر الى تشتيت شمل المناوئين لـه ، فاضطر هوجو الى الفرار الى بلجيكا نجاة بحياته .. وبصحبته جولييت !

وفى المنفى ، كانت الاخيرة خير معينة للشاعر فى كفاحـه السياسى ، وجهاده الادبى .. لم يكن ينغص عيشها غير خيانات هوجو المتوالية لها ، آنا مع زوجة احد رجال الصناعة البلجيكيين ـ وكانت امرأة فاتنة ، دعته الى مخدعها فى الفندق الذى تقيم فيه ، دون معرفة سابقة ! ـ وآونة مع زوجة قصاب ريفية شهية .. ومرات مع غيرها من النسوة والحسان ، ولاسيما من طبقة العاملات والخادمات ، التى كان هوجو يحس نحو نسائها بجاذبية أو «ضعف» خاص ! .. وفى هذه الاثناء كانت السلطات البلجيكية قد علمت باعتزامه نشر كتاب يهاجم فيه نابليون الثالث ، فاجبرته على مغادرة بلجيكا الى جزيرة صغيرة اسـمها «جرسى» .. ثم عادت فامرته بالانتقال منها الى جزيرة اخرى تدعى «جيرنسى» .. وهناك ، فى تلـك الجزيرة الضائعة وسط البحر الصاخب تبلورت تجارب السنوات الثلاث والخمسون السابقة من حياة هوجو فى صورة أدب حى جرى به قلمـه السيال على الورق .. فانتج خلال السنوات بين ١٨٥٣ و١٨٦٢ آلاف الصفحات من الشعر والنثر توجها بقصته الخالدة «البؤساء» .. وذات يوم ، تلقى هوجو بالبريد مظروفا ارسله اليه غريمه وعشيق زوجتـه «سانت بوف» ـ امعانا فى اذلاله ! ـ يحوى مجموعة من رسائل مدام هوجو المبتذلة الفاضحة اليه ! .. فاصيب هوجو على أثر تصفحها بنوبة ألم ويأس سحقته سحقا ، حتى لقد فكر مرة اخرى فى الانتحار .. ثم هرع من فوره الى جولييت فارتمى بين ذراعيها وهو ينشج بالبكاء كالاطفال !

والآن .. تستطيع أن تتابع القراءة :

ايفا الحسناء !

◆ وفى احدى هذه الخلوات التى اعتاد هوجو أن يفتح فيها قلبه لعشيقته ، تناولت جولييت يديه فى يديها ٠٠ وقالت تناشده بلهجة رقيقة :

– فيكتور ، يا حبيبى ، ينبغى أن تكون على حذر – بسبب شهرتك العالمية – فلا تعرض نفسك لانتقادات حسادك الموتورين!

– ماذا تعنين ؟

– أريد أن أشير الى رؤية الناس لك فى « سان بيير بور » مع تلك الحسناء ، زوجة القصاب ٠ لم يكن ذلك تصرفا حكيما منك ، سيما وان ابنتك قد تسمع بهذه الامور ، فتزداد حالتها النفسية سوءا على سوء !

– جولييت ، لماذا تشغلين فكرك بهذه الامور ؟

– انى أفكر فى سمعتك ، التى هى أغلى على من حياتى ٠٠ فلاتحسبنى أقول ذلك بدافع الغيرة !

– ان مثل هذه التوافه لا شأن لها بسمعتى فى أنحاء العالم ٠٠ لقد شبعت لجاجة كهذه من زوجتى ، فأرجو أن لا تحاولى بدورك القيام بدور « ناظرة المدرسة » !

◆ وانتهى هذا الموقف بينهما الى غير نتيجة ٠٠ ولم يقلع هوجو عن مغامراته !

وكان قد ألف أن يشترط فى كل خادمة يؤتى بها لتخدم فى بيته أن تكون موفورة الجاذبية! ٠٠ وذات يوم أتى له «عديله» المدعو « شينى » بخادمة حسناء تدعى « ايفا » ، لفتت هوجو الى محاسنها منذ أول وهلة ، فلم يرفع بصره عنها وهى تروح وتجىء حوله فى غرفة المائدة ! ٠٠ فلما بدأت ترفع بقايا الطعام أحاط سيدها ساقيها بذراعه دون حياء :

– أوه ، دعنى وشأنى يا سيدى ٠ خذ حذرك ، فسيرونك ٠٠

ـ هراء ، انى شديد الاعجاب بك ، وسوف ألحق بك فى غرفتك الليلة !

ـ سوف تتسبب فى طردى من البيت ..

ـ بودى أن أرى أحدهم يحاول ذلك . أنا السيد هنا ، ولن يستطيع أحد غيرى أن يطردك ..

ـ قد يكون مسيو شارل لاحظ شيئا . انه ينظر الى الآن !

ـ مسيو شارل هذا هو ابنى ، وهو يطيع أوامرى ! ما أجمل شعرك يا ايفا .. انحنى الى الامام ودعينى أضع يدى داخل قميصك .

ـ أوه ، ماذا عساها تقول مدام جولييت اذا رأتنا الآن ؟

ـ لن تجرؤ أن تقول شيئا ، قلت لك اننى السيد هنا.. هيا افرغى بسرعة من رفع الاطباق يا ايفا ، وسألحق بك فورا..!

◆ وفى اليوم التالى قالت ايفا للمدعو « شينى » ، الذى جلبها : « **لم يخطر ببالى يوما اننى سأحظى بهذا الشرف !.. وهل كنت أستطيع أن أرفض طلبا لمثله ؟.. تصور ، فيكتور هوجو العظيم !**

واستمرت العلاقة بين هوجو وايفا ، وكانت تزداد قوة ومتانة كل يوم !.. ولم يغب الامر عن فطنة جولييت ، فكانت تسأل خادمتها الخاصة سوزان كل حين عن التفصيلات التى تستطيع هذه الوقوف عليها .. وذات يوم سألتها :

ـ أما زالت القصة مستمرة مع ايفا يا سوزان ؟

ـ وأسوأ من أى وقت مضى يا سيدتى .. لقد أهداها سيدى خاتما من الياقوت اشتراه لها من متجر « ستيفنسون »، وهى تريه لكل انسان ! ثم .. قد يكون فى الامر « جنين » يا سيدتى ! !

◆ وفى الاسابيع التالية باتت ايفا هى سيدة البيت

الحقيقية ، والآمرة الناهية فيه !٠٠ وكلما احتجت جولييت على تصرفاتها كانت هذه تطالبها بأن لا تدس أنفها فيما لا يعنيها !٠٠ وذات يوم أسر هوجو الى صديقه «شيني» بأن ايفا تملك جسدا من أجمل الاجساد التى رآها فى حياته !

٠٠ فى الوقت الذى كانت فيه فرنسا بأسرها تضج اعجابا بقصة هوجو الجديدة « البؤساء »

مأساة ٠٠ فى الطريق !

◆ وعادت مدام هوجو من باريس ، بعد أن قضت فيها شهورا تعالج مرضا فى عينيها ٠٠ عادت لتستأنف مع زوجها حياتهما المشتركة تحت سقف واحد ، حفظا للمظاهر أمام المجتمع ، وأمام أولادهما ، وابنتهما أديل (التى زعم « سانت بوف » انها ابنته وليست ابنة هوجو !)

لكن عين الام لحظت على ابنتها « أديل » تغيرا ، وشحوبا !٠٠ كانت الفتاة قد وقعت فى هوى ضابط انجليزى شاب يدعى « الملازم بنسون »، بعد أن تعرفت اليه فى مجتمعات بعض الاصدقاء المشتركين٠٠ وبلغ من عنف حبها له أنه أودى بعقلها المضطرب ، فلم تكد تعلم بأن محبوبها يزمع الابحار الى أميركا حتى قررت أن تتزوجه وتبحر معه ٠٠ برغم أنفه ! ٠٠ وهكذا خرجت من بيتها ذات يوم ٠٠ ولم تعد !

وهرعت أمها الى غرفتها ٠٠ فاكتشفت اختفاء كيس نقود الفتاة المدخرة ، وكان يحوى ثلاثة آلاف فرنك !٠٠ ثم انطلق أخواها الى الميناء حيث قاما باستقصاء علما منه أن أختهما قد أبحرت على نفس السفينة التى أبحر عليها الملازم بنسون الى «بلايموث» ليستقل منها الباخرة الكبرى الى أميركا !٠٠ فلما وقف هوجو على هذا النبأ راح يئن أنينا مخيفا كالحيوان الجريح ، بينما ارتمت زوجته على كنبة فى مخدعها ، تبكى وتصلى ٠٠

واقترحت جولييت أن يرسل الاب برقية الى قبطان الباخرة المبحرة الى أميركا ، وأخرى الى الملازم بنسون ، يستفسر فيهما عن أنباء ابنته .. فجاءه الرد من الاول ينبئه بأن الفتاة موجودة على ظهر الباخرة وانها فى صحة جيدة .. أما بنسون فقد أجاب ببرقية نفى فيها اتفاقه مع الفتاة على أى مشروع زواج ، وأضاف انه لم يعلم بركوبها الباخرة الا فى آخر لحظة ، وأنه سيتخذ الاجراءات لاعادتها على أول باخرة !

◆ ورغم ذلك فقد انقضت شهور ، وأنباء « أديل » مقطوعة تماما ! .. فاضطر شقيقها فرانسوا الى السفر للبحث عنها.. وأخيرا عثر عليها خادم زنجى وأعادها الى أسرتها فاقدة العقل والادراك تماما ، عاجزة عن الادلاء بأية معلومات عما جرى لها أو عن المكان الذى كانت فيه طيلة تلك المدة ! .. فوضعت فى مصحة الدكتور « مانيان » الخاصة ، حيث عاشت مخبولة العقل حتى أدركتها منيتها بعد عمر طويل سنة ١٩١٥

عودة المنفى الى وطنه !

◆ ١٨٧٠ .. جلس فيكتور هوجو فى بروكسل ينتظر نافد الصبر أنباء معركة « سيدان » ، بعد أن مضى ولداه شارل وفرنسوا لاستقصاء الانباء .. وكان شارل قد تزوج ، لكنه أصيب بموت طفله الاول عند ولادته . وكانت أمه ـ مدام هوجو ـ قد شاركت الزوجين معيشتهما ، منطوية على آلامها ، لا تكاد تكف عن البكاء ، حتى أوشك نور عينيها أن ينطفىء !

وفيما هوجو ينتظر الانباء ، تناهبت قلبه الحيرة .. لم يدر أيتمنى انتصار فرنسا فى الحرب ، بما ينطوى عليه هذا الانتصار من تقوية مركز الامبراطور ، وبقائه هو فى المنفى حتى الموت ؟.. أم يتمنى هزيمة وطنه ـ كما يتوقع أنصار الجمهورية ـ وما يتبع ذلك من سقوط الامبراطورية ، واحتمال اختياره هو رئيسا للحكومة ؟

كانت عاطفته الوطنية فى حرب مع مطامعه الشخصية ! ·· وقد جلس مع جولييت وزوجة ابنه شارل ينظر الى الساعة كل لحظات ، والقلق ناطق على وجهه !·· وفجأة سمعت خطوات تصعد السلم ، واندفع ولداه :

ـ بابا ·· لقد هزمت فرنسا !

ـ بل انها أسوأ من هزيمة ، انها كارثة ·· وقد سلم نابليون سلاحه وأسر من جيشه مائة ألف جندى !

وقفز هوجو على قدميه : لقد حسمت الاقدار الموقف · ان غريمه قد هزم ، وتخلى عن مكانه له · انه سوف يرى باريس ثانية !·· وضم كلا ولديه الى صدره، وبكوا جميعا ··!

◆ وحين هبط الظلام ، علم الجمهورى الذى فى المنفى بنبأ سقوط الامبراطورية واعلان الجمهورية · لكن اسمه لم يذكر !·· وبعد ساعات تلقى برقية تستدعيه الى باريس · لا بد انهم سوف يسندون اليه مقاليد الحكم ·· وجلس يكتب بيانه الاول الى الشعب ـ بالنثر والشعر ! ـ ويفكر فى لون العلم الذى سيختاره للدولة فى عهدها الجديد !

وفى الصباح استقل الركب القطار الى باريس، فوصلوها فى العاشرة مساء ، **وهناك حملت الجماهير زعيمها العائد من المنفى على الاعناق الى سيارة مفتوحة اخترقت به الشوارع وسط الهتافات المدوية بحياته وحياة الجمهورية ·· ووقف هوجو يحيى مستقبليه : « انكم فى ساعة واحدة قد عوضتمونى عن نفى تسعة عشر عاما ! »**

لكن أحدا لم يفاتحه فى تولى الحكم !·· لقد نسيه زملاؤه فى الانقلاب ، ونسوا خدماته للديمقراطية ·· وفى اليوم التالى تبين هوجو أن زعماء الانقلاب تعمدوا تجاهله خوفا من مغالاته فى الايمان بالشعب وتطرفه فى مبادئه الوطنية !·· كان رجل الشارع يحبه ويؤمن به ، لكن رجل الشارع سريع النسيان والجحود والتقلب ·· فلم ينقض اسبوع حتى نسى

هوجو ، ونسى السنوات التى قضاها فى المنفى ·· فان المأساة القومية قد شغلت الجميع عن الالتفات الى الاشخاص !!

وأدركت جولييت مرارة الاسى الذى يعتصر نفس صاحبها، فحاولت أن تسرى عنه بقدر طاقتها ، وتغريه بمواصلة انتاجه الادبى «كى يثبت لفرنسا انمواهبه العظيمة ما زالت بخير!» ·· وأعانها على التخفيف من غصته مولد حفيديه الطفلين «جورج» و « جين » ، ابنى ابنه شارل ·· فقد كان هوجو يعبد الاطفال، ويغرقهم بعواطفه وتدليله ·· وكثيرا ما صار يرى مصطحبا حفيديه الى المقاهى الصغيرة القريبة من بيته ·· **فقد كان الكاتب الجبار الذى أزعج الملوك ، وأرهب الاباطرة ، وتنبأ بالهزيمة ، وأسس الديمقراطية ·· هو نفس الرجل الذى بات يأخذ الآن حفيده وحفيدته ليتفرجا على الطيور والوحوش فى حديقة الحيوان ·· !**

فجيعة رابعة ·· وخامسة !

◆ وانقضت بضعة أشهر ··· وذات يوم ـ ١٨ مارس سنة ١٨٧١ على وجه التحديد ـ انقضت على هوجو فجيعته الرابعة : حملت اليه فى باريس جثة ابنه الاكبر شارل ، الذى مات فجأة فى بوردو على أثر اصابته بنوبة قلبية !··

وسار هوجو يشيع ابنه الى القبر : كم أخذ الموت من أحبائه ، وأعدائه ؟·· أباه ، وأمه ، وأخاه ـ الذى جن يوم زواج الشاعر من أديل ، بسبب اشتراكهما فى حبها ! ـ ثم زوجته « مدام هوجو » ، التى ماتت بعد أن ظفرت بصفح زوجها عن خيانتها ·· ثم عشيقها « سانت بوف » ، الذى لحق بها بعد وفاتها بعام !

وفى شتاء ذلك العام ، نكب هوجو نكبته الخامسة، بوفاة ابنه الثانى ـ الباقى ـ « فرانسوا » ، الذى مات بالسل ·· بعد اذ عجز عن أن يتعزى عن وفاة خطيبته ! ·· وقد حزن عليه

هوجو حزنا مفرطا لعله فاق حزنه على ابنه الاكبر شارل ، فقد كان فرانسوا شخصا محبوبا ، مرهف الاحساس ، واسع الافق ، صبورا على الكد والعمل ...

عود الى المجون !

◆ وبرغم « الانحلال » الذى شاب حياة فيكتور هوجو الخاصة ، طيلة حياته ، فانه احتل فى فرنسا ـ وهو على قيد الحياة ـ مركزا نادرالمثال ، حتى غدا أشبه بالاسطورة الخيالية ! .. وتركزت عواطفه العائلية وأبوته الجريحة المنكوبة ، فى حبه لحفيديه «جورج » و « جين » ، اللذين جلبا شعاعا من الشمس الى حياة تلبدت سماؤها بالغيوم ..

ولئن كان الحب الجنسى يبدو طبيعيا فى أيام الشباب ، و «مقبولا» فى الكهولة ، فان يغدو كريها فى الشيخوخة المتقدمة .. ومع ذلك فان هوجو ـ فى حماية من مكانته الممتازة الشبيهة بالاسطورة ـ استمر ينحدر ، ذلك الانحدار الذى أبدع فى وصفه « بلزاك » ! .. **فأخذت أسراب المغامرات ، والعاملات ، والخادمات ، يلقين بأنفسهن عند أقدام الاسد الذى يعيش فى القفص ، بشعره الابيض ، وقسماته المغضنة ، وعيونه المنتفخة .. فيخنقنه بقبلاتهن ! .. وكان من سوء حظه ، وسط هذا المهرجان من التهتك، أنه التقى بخادمة جولييت المدعوة «بلانش مارى» .. وكانت امرأة جذابة ، أنشأت تحت سمع سيدتها الطيبة وبصرها « مدرسة » للرذيلة ! ..** وكان من السهل على جولييت أن تتصور المواقف المزرية لعشيقها مع معشوقته الجديدة ، فحاولت كثيرا أن تحتمل تلك المذلة المهينة بشجاعة .. ثم بدأت تفقد صبرها ، فاحتجت .. شفهيا وكتابة ! .. وأخيرا ، حين طفح الكيل ذات صباح ، هجرت مسكنها غير الشرعى وذهبت لتعيش مع بعض الاصدقاء ، وليس فى جعبتها غير دراهم معدودات .. !

لكن هوجو ، وقد استبدت به الحيرة والقلق ، أرسل خطابا الى « الهاربة » يستدعيها اليه ·· فلما عجزت عن مقاومة ندائه سارعت بالعودة مرة أخرى الى ·· عبوديتها !·· وعلى أثر ذلك اختفت «بلانش» !·· ولكن لتأخذ مكانها طاهية ، صار هوجو يشترى وصالها بجنيه ذهبى كل يوم !

◆ وتعاقبت الاحداث والتقلبات فى حياة هوجو : أصدر « كليمنصو » قرارا بتعيينه عضوا فى مجلس الشيوخ ·· وأحبت أرملة ابنه (مدام شارل هوجو) صحفيا من خصوم الشاعر يدعى «لوكروى» ، وكانت فى حاجة الى رجل يحميها وولديها الصغيرين ، لكن هوجو عارض فى اتمام زواجها من غريمه ، فازداد حقد هذا عليه ·· وحين تم الزواج آخر الامر برغم معارضته آلى الزوج الجديد على نفسه أن ينغص حياة هوجو بقية حياته ، فى كل صغيرة وكبيرة ، ويمعن فى اهانته واثارة أعصابه !

أعوامه الاخيرة ··

◆ وفى صيف سنة ١٨٧٨ أصيب هوجو باضطراب فى الهضم وصعوبة فى النطق أقلقتا أهله عليه ، فنصحهم الاطباء بنقله الى مكان خلوى ، لتغيير الهواء ·· **فسافرت الاسرة الى جزيرة « جيرنسى » ، حيث قضى هوجو فى الماضى سنوات سعيدة ، لم يكن ينغصها غير حرارة شوق المنفى الى وطنه ·· لكنه فى هذه المرة عاش فى الجزيرة أياما تعسة · كان كل شئ فيها يذكره بأولاده الذين فقدهم : شارل ، وفرنسوا ، وأديل !**

وحين اشتد البرد والامطار ، وغلف الغمام سماء الجزيرة ، عاد الركب فى شهر نوفمبر الى باريس ·· حيث واصل «لوكروى» ـ زوج أرملة شارل هوجو ـ اضطهاده لصهره الشيخ وعشيقته جولييت · صار لايكف عن توجيه الاهانات الى هوجو فى كل مناسبة ·· **ويعاقبه على أبسط « مخالفة »**

بحرمانه من رؤية أحفاده بضـــعة أيام ٠٠ وعبثا كان الشيخ يبكي ويتوسل !٠٠ ورغم طيبة قلب الارملة الشابة فانهـــا كانت ضعيفة أمام زوجها الجديد ، فكانت ترضخ لهذه الاوضاع صاغرة !٠٠ وتناثرت أنباء مسلك لوكروى الشائن نحو الاديب الكبير ، فبلغ من نخوة أحد أفراد الشعب - وكان سائقا للتاكسى من المعجبين بهوجو - أنه توجه الى مقر عمل الشاب وأطلق عليه من مسدسه رصاصة ، أخطأته !

وذات يوم من شتاء سنة ١٨٨١ أقبلت على بيت هوجـو مظاهرة ضخمة مؤلفة من عشرات الالوف من المعجبين من جميع الطبقات، تحيي الاديب العظيم يوم عيد ميلاده الثمانين٠٠ فوقف - مستندا على كتفي حفيديه - يرد تحية الجماهير وقد احتبست دموع التأثر فى عينيه !

◆ فى تلك الايام كانت جولييت تصارع داءها الدفين : السرطان ٠٠ فلم تمض شهور حتى لفظت أنفاسها ، بعد أن كرست حياتها ووجودها للاديب العظيم طيلة خمسين سنة كاملة (من سنة ١٨٣٢ - ١٨٨٢)

وهنا حدث أمر عجيب !

٠٠ فمنذ رحيلها عن دنياه ، انقطع فيكتور هوجـــو عن الكتابة ، وكأن الراحلة قد استلت القلم من يده !٠٠ والرجل الذى لم يتوقف يوما عن تسجيل أفكاره علــى الورق ، بالنثر والشعر ، فى كل الظروف ، وكل الاجواء ، فى السراء والضراء ٠٠ أغلق الآن محبرته الى الابد !

وبعد عامين ٠٠ أصيب هوجو ذات ليلة ، وهـــو يودع ضيوفه عند الباب ، ببرد شديد والتهاب رئوى حاد ، قضى عليه فى الثانى والعشرين من مايو سـنة ١٨٨٥ ٠٠ فأغمض عينيه الى الابد وقد احتضن الى صدره ٠٠ حفيديه !

انتهى الكتاب

بيبسى كولا
PEPSI-COLA
PEPSI-COLA
PEPSI-COLA
بيبسى كولا
لذيذة
فوارة
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش م م
SPMO

محتويات الكتاب

الموضوع **صفحة**

الحصاد : قصة مصرية للمحرر ٥

عندما ترفع الستار : روائع المسرح العالمى ١٤
جيوكندا : دراما تمثيلية كبرى لـ«دانونزيو» ١٥

الخالدون : عظماء .. فى غير السياسة ٢٨
تشايكوفسكى : صور من شقاء عبقرى ٢٩

حوافز الحياة : النفس والجنس والمجتمع ٥٤
كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة : للعالم النفسانى
جون كنيدى ٥٥

الحياة قصة : روائع القصص العالمى ٧٢
جريمة حب : للروائى الفرنسى الكبير «بول بورجيه» ... ٧٣

حدث ذات يوم : من قصص التاريخ ومآسيه ١١٨
لغز قيصر : للمحقق المؤرخ مالكولم ستيوارت ١١٩

اقرأ معى : كتاب الشهر ١٣٦
آراء جريئة فى الحياة : للمفكر الانجليزى المعاصر «جود» ١٣٧

خلف النوافذ المغلقة : العباقرة فى حياتهم الخاصة ١٦٤
مأساة قلب : لليون دوديه ١٦٥

كتابى

السادس

محتويات الكتاب

الحصاد: قصة مصرية للمحرر ● جيوكندا: دراما من روائع المسرح العالمى، للكاتب الأيطالى الأشهر "دانونزيو" ● كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة: للعالم النفسانى «جون كينيدى» ● تشايكوفسكى: قصة حياته وسر شقائه المفجع - من قصص العظماء .. فى غير السياسة ● جريمة حب (مأساة الخيانة الزوجية): من روائع القصص العالمى - للروائى الفرنسى الكبير «بول بورجيه» ● كتاب الشهر: آراء جريئة فى الحياة!.. للمفكر المعاصر (جود)، خليفة برنارد شو ● لغز "قيصر": من قصص التاريخ ومآسيه الشائقة ● نهاية فيكتور هوجو: من قصص العباقرة فى حياتهم الخاصة ... الخ